علـوم اللغــة

دراسات علمية مُحكّمة تصدر أربع مرات فى السنة

كتــاب دوري

(٢٠)

المجلد الخامس | العدد الرابع | ٢٠٠٢

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

علوم اللغة

دراسات علمية محكمة تصدر أربع مرات في السنة

كتاب دوري

مج ٩ ع ٤ ٢٠٠٦

قيمة الاشتراك السنوي :

٨٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٨٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

سعر العدد :

٢٠ جنيهًا مصريا (داخل جمهورية مصر العربية)

٢٠ دولارا أمريكيا (خارج جمهورية مصر العربية شاملا البريد)

أسعار خاصة للطلبة :

المراسلات :

توجه جميع المراسلات الخاصة إلى :

دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

ص . ب (٥٨) الدواوين - القاهرة ١١٤٦١ القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ٧٩٥٤٣٢٤

المحتويات

البحوث | الصفحة

تقديم

هـذا هو العدد العشرون من علوم اللغة فى عامها الخامس (٢٠٠٢) ، تم بإشراف عالم لغوي هـو الأستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري أسـتاذ علوم اللغة فى كلية الألـسن بجامعة عين شمـس . وهو نائب تحرير «علوم الـلغة» . وقد تولى مهمة هذا العدد ، ومن واجب أسرة الـتحرير أن تشكر له جهوده فى هذا المجال وإشرافه على هذا العدد العشرين من هذه السلسلة .

البحوث فى هـذا العدد كتبها متخـصصون فى علوم اللغة ، وكـلها أعمال جادة كان علينا أن نرحب بنشرها ، وتخضع البحوث المنشورة فى هذه السلسلة للتحـكيم العلمى ، وتـفتح «علوم اللغـة» مجال النشر لكـل الدراسات الجادة المتخصصة فى العربية والدراسات المقارنة .

والله ولى التوفيق ،،،

أسرة التحرير

شروط النشر

- يقبل هذا الكتاب نشر الدراسات والأبحاث فى علوم اللغة ، ونتائج البحوث الاستكشافية ، والمراجعات العلمية ، وتقارير الممارسات والمشروعات والأنشطة العلمية، وعروض الكتب اللغوية المتخصصة العربية أو الأجنبية .
- يفضل أن تكون الدراسة فى حدود ١٥٠٠٠ كلمة ، والمراجعة العلمية فى حدود ٦٠٠٠ كلمة ، والتقرير فى حدود ٢٠٠٠ كلمة ، وعرض الكتاب فى حدود ١٥٠٠ كلمة .
- يشترط ألا يكون العمل قد سبق نشره أو قدم للنشر فى أى مكان آخر .
- تخضع الأعمال المقدمة للتحكيم ، ويخطر صاحب العمل بقبوله أو بملاحظات التحكيم أو الحاجة إلى المراجعة .
- تقدم الأعمال بخط واضح ، أو مطبوعة ، على الحاسوب .
- تقدم الرسومات بشكل جاهز للاستنساخ المباشر .
- يراعى فى الاستشهادات المرجعية الدقة فى التوثيق واكتمال بيانات الوصف ، والاطراد فى ترتيب عناصر البيانات .
- يعبر ما ينشر فى هذا الكتاب عن رأي كاتبه ولا يمثل بالضرورة رأي المحرر أو الناشر.
- لا يعاد نشر أى عمل مما ينشر فى هذا الكتاب الدوري إلا بإذن كتابى من الناشر .
- يخضع ترتيب المواد فى النشر لاعتبارات فنية ولا علاقة له بمكانة المؤلف أو قيمة العمل.

ظواهر صوتية
فى كتاب البيان
فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى

د. قبارى محمد شحاته
قسم اللغة العربية - كلية الألسن -
جامعة عين شمس

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد النبى الأمى الكريم ، وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأتم التسليم .

. . . فهذا بحث يتناول بالدراسة والتحليل بعض الظواهر الصوتية الواردة فى كتاب « البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى» . وهو كتاب كبير وضعه مؤلفه لبيان وتفسير ما قيل من غريب فى إعراب بعض كلمات القرآن الكريم ، كما ضمنه مؤلفه كذلك بعض القراءات القرآنية لبعض كلمات القرآن ، ثم قام بتوجيه هذه القراءات توجيهاً صوتياً أو نحوياً . والمؤلف فى أثناء بيانه غريب إعراب القرآن يلجأ أحياناً لبعض التفسيرات الصوتية لبعض الصيغ القرآنية .

ونظراً لضخامة هذا الكتاب ، إذ يقع فى مجلدين كبيرين، قصرت دراستى على الجزء الأول منه فقط. فقمت بجمع بعض الظواهر الصوتية الواردة فى هذا الجزء ، وقمت بتصنيفها ودراستها . وكان تصنيفى لها على هيئة أقسام عامة وفق ما جاء فى كتب الصرف العربى ، وأدرجت تحت هذه الأقسام المهمة

أقساماً فرعية ، وضعت لها عناوين وفق ماذكر ابن الأنبارى . ثم قمت بتفسير وبيان هذه الظواهر الصوتية التى أوردها ابن الأنبارى فى هذا الكتاب ، وذلك بالرجوع للعلماء القدامى من أمثال : سيبويه والمازنى وابن جنى وابن يعيش والرضى وغيرهم. وما ذكره القدماء تفسيراً وتحليلاً له ، وكانت وجهة نظرى وفق ما جاء فى علم الأصوات عند المحدثين من علماء اللغة .

إذن دراستى لبعض الظواهر الصوتية الواردة فى كتاب البيان لها جانبان : أولهما : قديم ، والآخر : حديث ، وتعتمد المنهج الوصفى الذى يقوم على وصف الظاهرة اللغوية وتفسيرها وتحليلها . ومعروف لمن يطالع كتب التراث العربى أن مؤلفيها اعتمدوا هذا المنهج ، هو إذن منهج وصفى تفسيرى أو تعليلى .

وجاءت دراستى فى هذا البحث وفق المنهج التالى :

أولاً : قدمت البحث بتمهيد ، تناولت فيه نقطتين : الأولى : ترجمة موجزة عن ابن الأنبارى مؤلف كتاب البيان ، حتى يقف القارئ على شىء من حياة هذا المؤلف وعلمه ودوره فى الدرس اللغوى وما خلفه من تراث .

والنقطة الثانية : خصصتها للحديث عن كتاب البيان فى غريب إعراب القرآن ، ومنهج ابن الأنبارى فيه.

ثانياً : موضوع البحث ، ويتناول عرض بعض الظواهر الصوتية الواردة فى كتاب البيان ، وجاء تقسيمها على النحو التالى :

القسم الأول : الإعلال : وتناولت فيه ثلاثة أنواع ؛ هى :

١ - الإعلال بالقلب ، وشمل :

أ - قلب الواو ياء

ب - قلب الياء واواً

جـ - قلب الواو والياء ألفاً .

د - قلب الواو والياء همزة .

هـ - قلب الواو تاء .

و - قلب الألف ياء .

٢ - الإعلال بالنقل ، وتناولت فيه :

أ - نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله . وهذا فى :

- المضارع المبنى للمعلوم والماضى المبنى للمجهول من الأجوف .
- الأسماء التى تشبه الفعل المعتل (الأجوف) من نحن معيشة ، وغيرها .

ب - نقل حرف مكان حرف (قلب مكانى)، وذلك فى اسم الفاعل من الأجوف فى لغة لبعض العرب ، من نحو : هارٍ ولاثٍ ، وغيرهما.

٣ - الإعلال بالحذف ، وتناولت فيه :

أ - حذف الحرف . وذلك فى نوعين ، هما :

- حذف الواو من مضارع المعتل الأول (المثال) ومصدره .
- حذف لام المعتل الآخر عند إسناده إلى واو الجماعة .

ب - حذف الحركة : أي حذف حركة فاء الماضي المبني للمجهول من الأجوف .

القسم الثانى : الإدغام :

وقدمت هذا القسـم بالحديث عن قسمى الإدغام اللذين ذكـرهما ابن جنى فى كتاب الخصائص وهما :

١ - الإدغام الأكير : وهو على نوعين :

أ - إدغام المتماثلين .

ب - إدغام المتقاربين .

٢ - الإدغام الأصغر : والمقصود به تقريب الحرف من الحرف من غير إدغام .

وقد اعتمدت هذا التقسيم، وأوردت تحته ماذكر من أمثلة فى كتاب البيان .

القسم الثالث : تخفيف الهمزة وتناولت فيه نوعين :

الأول : تخفيف الهمزة المفردة ، وذلك بـ :

أ - إبدالها .

ب - حذفها .

والثانى : تخفيف الهمزتين ، والمقصود بذلك تخفيف الثانية ، وذلك بـ :

أ - إبدالها .

ب - جعلها بين بين .

جـ - حذفها .

القسم الرابع : تخفيف الحرف الثانى : وذلك بحذف حركتـه، وهذا يكون فى الكـلمات الثـلاثية فـى لغة بكـر بن وائل وكـثير من تمـيم ، ويكون فيما ورد من كلمات على وزنى : فعل ، وفعل

القسم الخامس : التقاء الساكنين : وتحريك أولهما بالكسرة ، وهى الأصل فى التحريك عند التقاء الساكنين ، وقد يحرك بالضمة للإتباع، وأخيراً أنهيت البحث بخاتمة ضمنتها أبرز النتائج التى توصلت إليها ، وقائمة للمراجع التى اعتمدتها فى هذه الدراسة .

ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير.

دكتور / قبارى محمد شحاتة

تمهيد :

نتناول فى هذا التمهيد نقطتين : الأولى : ترجمة ابن الأنبارى مؤلف كتاب البيان . والثانية : التعريف بكتاب البيان فى غريب إعراب القرآن ، لابن الأنبارى ، موضوع الدراسة . وفيما يلى بيان ذلك .

١ - ترجمة ابن الانبارى

هو عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله بن أبى سعيد ، ويكنى بأبى البركات كمال الدين الأنبارى ، وهو معروف بأبى البركات كمال الدين ابن الأنبارى أو الأنبارى . ويشار إليه فى كتب النحو بابن الأنبارى . والأنبار المنسوب إليها قرية قديمة على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

وكان مولده فى ربيع الآخر ، عام ٥١٣ هجرية .

حياته :

ليس فى كتب التراجم التى ترجمت لابن الأنبارى معلومات وافية عن حياته ، وكلها معلومات قليلة تكاد تجمع عليها جميع هذه الكتب لاتتناسب ومكانة هذا الرجل العلمية الكبيرة ، ولعل السبب فى ذلك يعود إلى أن ابن الأنبارى قد عاش حياة علمية خالصة لم يختلط بحياة الناس العامة ، وإن كان يشير بنفسه إلى اختلاطه حين يذكر بعض المسائل التى كان يحاج بها أساتذته، من أمثال : الجو اليقى وابن الشجرى .

وتشير كتب التراجم إلى أنه انقطع فى آخر عمره فى بيته، واشتغل بالعلم والعبادة وترك الدنيا ومجالسةَ أهلها ، وكان لايخرج إلا يوم الجمعة .

وتروى المصادر التى ترجمت له أنه تزوج وله ولد، وأنه أخذ العلم من أبيه، ولم تشر هذه المصادر إلى مكانة هذا الولد من الناحية الاجتماعية أو العلمية .

تلقيه العلم :

تلقى ابن الأنبارى العلم فى بلدين ، هما : الأنبار وبغداد . ففى الأنبار سمع من أبيه ، ومن خليفة بن محفوظ المؤدب . أما فى بغداد فقد تلقى علومه ، وقد جاءها فى صباه . فقد قرأ الفقه الشافعي بالمدرسة النظامية على أبى منصور سعيد بن الرزاز وعلى من بعده ، وقد برع فى هذا المذهب، وحصل طرفاً من الخلاف ، كما صار معيداً بهذه المدرسة، وكان يعقد مجلس الوعظ .

وقرأ الأدب على أبى منصور الجواليقى ، وشرح الكثير من الدواوين، وروى كثيراً من كتب الأدب .

وأخذ النحو عن ابن الشجرى حتى برع فيه ، وصار من المشار إليهم فى هذا العلم .

كما سمع الحديث عن عدد من العلماء ، منهم : أبى منصور محمد بن خيرون ، وعبد الوهاب بن المبارك الأنماطي، ومحمد بن عبد الله بن حبيب العامرى ، والقاضى أبى بكر محمد بن القاسم الشهرزُورى ، وغيرهم . وقد حَدَّث باليسير، وتخرج عليه عدد من العلماء .

صفاته :

كان ابن الأنبارى إماماً تقياً ، ورعاً ، زاهداً ، عفيفاً ، مناظراً ، غزير العلم ، خشن العيش فى مأكله وملبسه ، لم يتلبس من الدنيا بشئ .

ومما يدل على زهده فىَ الدنيا أن المستضيء حمل إليه خمسمائة دينار ، فردها ، فقال : اتركها لولدك ، فقال : إن كنت خلقته فأنا أرزقه .

مذهبه الفقهي:

كان ابن الأنبارى شافعى المذهب ، وقد تخرج فى المدرسة النظامية التى قامت لإحياء المذهب الشافعى ، وكان لايتصدى للتدريس بها إلا من نبغ فى هذا المذهب، وقد أخلص لهذه المدرسة التى درس فيها وعمل فيها أيما إخلاص ، فطالما صَدَّر كتبه بأنه ألفها حين طلب منه المشتغلون عليه بالمدرسة النظامية أن يؤلف لهم . غير أنه فى أخريات حياته اعتزل المدرسة والعمل وتفرغ لإكمال تآليفه، ولعقد حلقات الوعظ والدرس ، واقترب اقتراباً شديداً من التصوف وخاصة بعد اتصاله بالشيخ أبى النجيب الصوفى .

مؤلفاته :

ترك لنا ابن الأنبارى تراثاً صخماً من المؤلفات بلغت نحو مائة وثلاثين مؤلفاً فى فروع علمية مختلفة ، فى اللغة والنحو ، والأصول، والزهد والأدب . ومن هذه المؤلفات .

١ - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين .

٢ - الإغراب فى جدل الإعراب .

٣ - غريب إعراب القرآن .

٤ - حواشى الإيضاح .

٥ - مسألة دخول الشرط على الشرط .

٦ - البلغة فى القرن بين المذكر والمؤنث .

٧ - تصرفات لو .

٨ - شفاء السائل فى بيان رتبة الفاعل .

٩ - ديوان اللغة .

١٠ - زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والظاء .

١١- البلغة فى أساليب اللغة .

١٢- الأضداد .

١٣- النوادر

١٤- هداية الذاهب فى معرفة المذاهب .

١٥- الجوهرة فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه العشرة.

١٦ - نكت المجالس فى الوعظ .

١٧- أصول الفصول فى التصوف .

١٨ - اللمعة في صنعة الشعر .

١٩- شرح ديوان المتنبى .

٢٠ - شرح الحماسة .

٢١ - شرح السبع الطوال

٢٢- شرح مقصورة ابن دريد .

كما كان ابن الأنباري شاعراً ، وقد أوردت كتب التراجم بعضاً من هذا الشعر . من ذلك قوله (البسيط)

إذ ذكرتُك كاد الشوقُ يقتلني ... وأرقتني أحزانٌ وأوجاعُ

وصار كُلِّي قلوباً فيك داميةً ... للسقم فِيها وللآلام إِسراعُ

فإن نطَقتَ فكلى فيك ألسنةٌ ... وإن سمِعتَ فكُلِّى فيك أسماعُ

وكذلك قوله (الكامل)

العِلْم أوفي حليةً ولباس ... والعقلُ أوقى جُنَّةِ الأكياسِ

كُن طالباً للعلم تحىَ فإنما ... جهل الفتي كالموت في الأرماسِ

وصُن العلوم عن المطامع كلها ... لتري بأن العِز عز الياسِ

والعلمُ ثوبٌ والعفاف طِرازُه ... ومطامعُ الإنسان كالأوناسِ

والعلم نورُ يهتدى بضيائه ... وبه يسود الناسُ فوق الناسِ

وفاته :

كانت وفاة ابن الأنباري رحمة الله ليلة الجمعة التاسع من شعبان عام ٥٧٧ هجرية عن أربع وستين سنة . وُدفِن بباب أبرز ، إحدى مقابر بغداد ، بتربة الشيخ أبى إسحاق الشيرازى[١] .

٢ - كتاب البيان في غريب إعراب القرآن لابن الانباري

كتاب البيان كتاب يهتم بعرض الأوجه الغريبة في إعراب القرآن الكريم ، وهو يقع فى جزئين كبيرين ، حققه الدكتور / طه عبد الحميد طه - رحمه الله - يضم الجزء الأول عشر سور ، تبدأ بالفاتحة وتنتهى بيونس، ويضم الجزء الثانى ، وهو أكبر من الأول ، باقى سور القرآن الكريم.

ومن أهم ملامح منهج ابن الأنبارى فى هذا الكتاب ما يأتى :

١ - لايكتفى بعرض هذه الأوجه الغريبة فى إعراب بعض كلام القرآن، وإنما يتعقبها بالبيان والإيضاح ، لأن هذه الأوجه قد تكون عامة أو مبهمة ، فتوضيحها أمر ضرورى ، ويبين موقفه منها. من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (يوم) فى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا﴾

«سورة البقرة : آية ٤٨» .

«يوماً منصوب لأنه مفعول (اتقوا) لاعلى الظرف؛ لأنه كان يوجب تكيلفهم يوم القيامة، وليس المعنى كذلك، وإنما المعنى: واتقوا عذاب يوم .

---

(١) انظر فى ترجمة ابن الأنبارى السابقة المصادر الآتية :

البداية والنهاية ١٢/ ٣١٠ وطبقات الشافعية ٢/ ١٠ والوافي بالوفيات ١٨/ ٢٤٧-٢٥٠ وفوات الوفيات ٢/ ٢٩٢-٢٩٥ وسير أعلام النبلاء ٢١/ ١١٣ - ١١٥ وشذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٢٥٨ - ٢٥٩ وبغية الوعاة ٢/ ٨٦ - ٨٨ والكنى والألقاب ١/ ١٩ ومعجم المؤلفين ٥/ ١٨٣ ومقدمة محقق كتاب البيان فى غريب إعراب القرآن ١/ ٥-١٨ .

فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى : ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ «سورة غافر : آية ١٨» أى عذاب يوم الآزفة ، أى : القيامة»[1] .

٢ - يهتم ابن الأنبارى فى أثناء عرضه لغريب إعراب القرآن بذكر الآراء النحوية، وبخاصة آراء البصرة والكوبة، باختصار، ويحيل القارئ إلى تفصيل ذلك فى كتابه (الإنصاف فى مسائل الخلاف) .

من ذلك مثلاً تعليقه على قوله تعالى إن بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ»

« اختلف النحويون فى موضع الجار والمجرور على جهتين . فذهب البصريون إلى أنه فى موضع رفع ، لأنه خبر مبتدأ محذوف ، وتقديره : ابتدائى بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، أى : كائن بسم الله . ولايجوز أن يكون متعلقاً بالمصدر؛ لئلا يبقى المبتدأ بلا خبر .

وذهب الكوفيون إلى أنه فى موضع نصب بفعل مقدر ، وتقديره : ابتدأت بسم الله .

وكذلك اختلفوا فى اشتقاق الاسم ، فذهب البصريون إلى أنه مشتق من السمو وهو العلو. وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من الوسم. وهو العلامة . والصحيح ماذهب إليه البصريون. وقد بيناه فى كتابنا الموسوم بالإنصاف فى مسائل الخلاف وغيره من كتبنا »[2] .

وننبه إلى أن ابن الأنبارى لايتعرض لإعراب كل كلمة فى القرآن الكريم، وإنما ليكون تعرضه لما يحتاج منها إلى إعراب، وقد اختلف فى إعرابها، أما الكلمات التى لاتحتاج إلى إعمال فكر فقد تركها .

٣ - ليتعرض كثيراً لبيان أصل بعض الكلمات القرآنية ، من ذلك مثلاً لفظ الجلالة (الله) فذكر أنه اختلف فى أصله على النحو التالى :

---

(١) البيان ١ / ٨٠ .

(٢) البيان ١/ ٣١ - ٣٢ .

فقيل : أصله (إلاه) من (ألِه) إذا عَبِدَ ، وهو مصدر بمعنى مألوه ، أى معبود ، كقولهم : خَلْق الله ، بمعنى : مخلوق الله .

وقيل : من (ألِهْتُ) أى تحيرت ، وسمى (إلهاً) لتحير العقول فى كنه ذاته وصفاته ، ثم دخلت عليه الألف واللام، وحذفت الهمزة وألقيت حركتها على اللام الأولى ، فاجتمعت لامان فسكنت الأولى وأدغمت فى الثانية .

وقيل : أصله (وِلاهٌ) من الوَلَه ، لأنه يُوْلَهُ إليه فى الحوائج وأبدلوا من الواو المكسورة همزة ، كقولهم فى وِشاح : إشاح ، وفى وسادة : إسادة، ثم أدخلوا الألف واللام وحذفوا الهمزة وأدغموا اللامان كما فى الوجه السابق . . . »[1] .

٤ - يذكر ابن الأنبارى الظواهر الصوتية الخاصة ببعض الكلمات، فيردها إلى أصولها ، ويتتبع ماطرأ عليها من مراحل صوتية حتى وصلت إلى الصورة المنطوقة أو المستعملة . من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (يَوَدُّ) فى قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «سورة البقرة : آية ١٠٥» .

«يود أصله (يَوْدَدُ) لأنه مضارع (وَدِدْتُ) إلا أنه نقلت الفتحة عن الدال الأولى إلى ماقبلها ، فسكنت وأدغمت فى الدال الثانية»[2] .

وكذلك قوله عن (بيت طائفة) فى قوله تعالى : ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ «سورة النساء : آية ٨١» .

«قرئ (بَيَّتْ طائفةٌ) بسكون التاء والإدغام و(بَيَّتَ) بتاء مفتوحة غير مدغمة . فأما من قرأ (بَيَّتْ طائفةٌ) بسكون التاء مدغمة فأصلها (بَيَّتْ) بتاءين : تاء

(١) السابق ١/ ٣٢/ ٣٣.

(٢) البيان ١ / ١٠٥ .

التأنيث ، وتاء هى لام الكلمة ، فحذفت التاء التى هى لام الكلمة كراهبة لإجماع المثلين . ومن قرأ (بَيَّت) بفتح التاء جعلها لام الكلمة ولم يأت بعلامة التأنيث ، وذكر الفعل لتقدمه وأن تأنيث الفاعل غير حقيقى»[1] .

٥ - يتعرض لذكر القراءات لبعض كلمات القرآن الكريم، ويوجهها ويتخذ منها موقفاً . من ذلك مثلاً تعليقه على كلمة (الصابئين) فى قوله تعالى : ﴿وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ٦٢» .

«قُرِئَ بالهمز وتركه . فمن قرأه بالهمز أتى به على الأصل ؛ لأنه مأخوذ من قولهم : صبأ ناب البعير ، إذا خرج . والصابئون جمع صابئ ، وهو الخارج عن الدين . ومن ترك الهمز حذفه استثقالاً طلباً للتحقيق . وهذا الحذف على خلاف القياس»[2] .

ويلاحظ أنه فى هذه القراءات نادراً مايعزوها إلى قرائها ، فقد عرض فى الجزء الأول مثلاً نسبة القراءات لأصحابها فى ستة مواضع فقط، وذلك على كثرة القراءات فى هذا الجزء ، وهؤلاء القراء الستة هم : أبو عمرو ١/ ١٦٦والحسن وابن مجاهد ١/ ١٩٣ و ٢٠٦ وابن كثير ١/ ٢٠٨ وابن عامر ١/ ٣٤٣ و ٣٤٨ وأبى ١/ ٣٥٩ .

٦ - يستشهد ابن الأنبارى على موقفه من أى قضية من القضايا التى يعرضها أو أى موقف من المواقف بكلام العرب . من ذلك مثلاً قوله عن (إياك) .

ومن العرب من يبدل الهمزة فى (إياك) هاء ، فيقول (هياك)

قال الشاعر :

فهيَّاكَ والأمرَ الذى إن توسعت   موارِدُه ضاقَتْ عليه المصادرُ

(١) السابق ١/ ١١٦ .

(٢) البيان ١ / ٨٨ .

أراد : إياك .

وقال آخر :

يا خالِ هلا قلتَ إذ أعطيتنى هَيَّاكَ هَيَّاك وضواءَ العُنُقْ .

أراد : إياك .

وهم يفعلون ذلك ، فإنهم يقولون فى إبْرِيَّة : هِبْرِيَّة وهو الحزاز فى الرأسل ، وفى أرحت الدابة : هرحت ، وفى أنَرْتُ الثوبَ : هَنَرْتُه ، وقالوا مُهَيْمِن وأصله : مُؤَيْمِن ، إلى غير ذلك »[1] .

وكذلك أيضاً يستشهد بالقرآن الكريم ولغات العرب .

وأخيراً . يلاحظ أن ابن الأنبارى فى هذا الكتاب يتمتع بثقافة عامة، تشمل مجالات عدة : لغوية ، وأدبية ، وفقهية، وكذلك علمه بالتفسير والحديث الشريف . ويبدو أن هذا الكتاب والله أعلم - من آخر ما ألف ، حيث أودعه خلاصة علمه وخبرته فى المجالات السابقة .

(١) البيان ١ / ٣٧ .

الظواهر الصوتية

القسم الأول : الإعلال

القسم الثاني : الإدغام

القسم الثالث : تخفيف الهمزة

القسم الرابع : تخفيف الحرف الثاني بحذف حركته في الكلمات الثلاثية

القسم الخامس : التقاء الساكنين

القسم الأول : الإعلال

الإعلال : هو تغيير حرف العلة ، أى الألف والواو والياء ، بالقلب أو الحذف أو الإسكان .

والإعلال ينقسم إلى ثلاثة أقسام بحسب وروده فى كتاب البيان فى غريب إعراب القرآن لابن الأنبارى ، هى :

١ - الإعلال بالقلب .

٢ - الإعلال بالنقل .

٣ - الإعلال بالحذف . وفيما يلى عرض هذه الأقسام .

أولاً : الإعلال بالقلب

يتناوله الإعلال بالقلب كما ورد فى كتاب البيان ستة أنواع، هى :

١ - قلب الواو ياء .

٢ - قلب الياء واواً .

٣ - قلب الواو والياء ألفاً .

٤ - قلب الواو والياء همزة.

٥ - قلب الواو تاء .

٦ - قلب الألف ياء . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) قلب الواو ياء :

تقلب الواو ياء فى ثلاثة مواضع ؟ هى :

١ - إذا سكنت وانكسر ما قبلها :

يقول : ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ «سورة الفاتحة : آية ٥» .

«أصل نستعين: (نَسْتَعْوِنُ) نستفعل من العون ، فنقلت الكسرة من الواو إلى ماقبلها ، فسكنت الواو وانكسر ما قبلها، فقلبت ياء ، نحو: ميعاد وميزان وميقات ، وأصلها : مِوْعَاد ومِوْزَان ومِوْقَات ، لأنها من الوعد والوزن والوقت»(١) .

ويقول فى موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى : «اهدنا بالصراط المستقيم» الفاتحة » المستقيم أصله : (مُسْتَقْوِمُ) فنقلت الكسرة إلى ماقبلها فسكنت الواو وانكسر ماقبلها ، فقلبت ياء على مابينا فى نستعين»(٢) .

وهناك مرحلة أخيرة لم يذكرها ابن الأنبارى، وهى تحول هذه الياء الساكنة إلى حرف مد ، وهذه هى الصورة المنطوقة ، ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن ابن الأنبارى وغيره من القدماء يعتبرون الياء المسبوقة بكسرة، وكذلك الواو المسبوقة بضمة ، والألف المسبوقة بفتحة حروف مد، ويعتبرونها حروفاً ساكنة . وهنا مخالف لما عليه علم اللغة الحديث ، لأن حروف المد حركات طويلة للحروف التى تسبقها وليست هناك حركات قصيرة من جنس هذه الحروف تسبقها ، ذلك أن الحركة الطويلة تعد بمثابة حركتين قصيرتين، فلا يتصور أن يكون الحرف محركاً بثلاث حركات .

ويرى ابن جنى أن الكسرة هى السبب فى قلب الواو ياء فيما سبق، مع أن الحركة أضعف من الحرف، وقد قويت الحركة، لأن الحرف إذا سكن ضعف ومات، من هنا تغلبت الكسرة على الواو فقلبتها ياء(٣) .

(١) البيان ١ /٣٨ (٢) البيان ١/ ٣٩

(٣) سر صناعة الإعراب ٢/ ٢٣٤ وانظر كذلك : شرح التصريف ٢/ ٣.

ويرى ابن يعيش أن الواو قد قلبت ياء لتشبه ألف المد، وذلك أن الياء عندما تكون ساكنة ومسبوقة بحركة من جنسها وهى الكسرة فإنها تصير حرف مد، وتشبه فى هذه الحالة ألف المد المسبوقة بحركة من جنسها وهى الألف[1] .

وأرى أن ما حدث للمثالين السابقين بعد نقل حركة الواو إلى الساكن الذى قبلها يرجع إلى قانون المماثلة الصوتية Assimilation، فالواو وقعت فى نهاية مقطع مغلق (ص ح ص) وسبقت بكسرة ، فماثلت الكسرة فقلبت ياء (مماثلة تقدمية) . وبذلك يحدث الانسجام بين الكسرة والياء ، ثم بعد ذلك ماثلت الياء الساكنة الكسرة السابقة عليها فقلبت كسرة مثلها ، ثم تحولت الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة[2] .

ويمكن تطبيق ذلك صوتياً على نستعين ومستقيم على النحو التالى :

١ - ن - َ س ت - َ ع و - ِ ن - ُ > ن - َ س ت - َ ع - ِ و ن - ُ > ن - َ س ت
- َ ع - ِ ى ن - ُ > ن - َ س ت - َ ع - ِ / - ِ ن ُ / > ن - َ س ت - َ ع - ِ - ِ
ن - ُ

٢ - م - ُ س ت - َ ق و - م - ُ ن > م - ُ س ت - َ ق - ِ و م - ُ ن > م - ُ س
ت - َ ق - ِ ى م - ُ ن > م - ُ س ت - َ ق - ِ / - ِ م - ُ ن > م - ُ س ت
- َ ق - ِ - ِ م - ُ ن

٢ - تقلب ياء شذوذاً إذا حركت بالفتحة وسبقت بالكسرة .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «سورة الأنعام: آية ١٦١» .

(١) شرح المفصل ١٠/ ٣٠ .

(٢) انظر تفصيل قانون المماثلة على مايشبه هذين المثالين فى مدخل فى الصوتيات ١٨٣ - ١٨٤ ودراسات فى علم أصوات العربية ١٩ و ٢٣ .

«قرئ (قِيَماً)[1] بالتخفيف على فِعَل ، أى ، ديناً ذا استقامة ، فكان القياس أن يأتى بالواو ، فتقول (قِوَماً) نحو : حِوَل وعِوَض ، إلا أنه جاء شاذاً عن القياس»[2] .

ويرجع السبب فى هذا الشذوذ فى القياس إلى أن الواو إذا حركت صارت حرفاً قوياً، وأصبحت مثل الحروف الصحيحة ، ومن ثم لاتستطيع الكسرة فى هذه الحالة أن تجذبها إليها ، فجاز هنا مخالفة الواو ماقبلها من الحركات كالعِوض والطِّوَل. والأمر كذلك بالنسبة للياء عندما تحرك بالفتحة وتسبق بالضمة ، فتبقى كما هى ، كالغُيَر جمع غيور[3] .

ويرى الرضى أن (عِوَض) ونحوه لم تقلب فيه الواو ياء لأنه ليس بمصدر ، بينما قلبت فى قوله تعالى : ديناً قيماً » لأنه فى الأصل مصدر.

وشرح محققو شرح الشافية رأى الرضى السابق، فبينوا أن (قِيَماً) فى الأصل مصدر قام، مثل : الصِّغَر والكِبَر ، وقد أُعِلَّت الواو لأنها تُعَلُّ فى المصدر والجمع بقلبها ياء ، ثم نقل من المصدرية إلى الوصفية، فوصف به فى الآية كما يوصف بالمصادر من أمثال: عَدْل ورضَى وغَوْر كما فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً﴾ «سورة الملك : آية ٣٠» ، وأُبقِى على أصله من الإعلال[4] .

ورأى أن قلب الواو ياء فى (قِيَماً) من باب الحمل على قلب الواو الساكنة ياء إذا سبقت بكسرة ، وهذه مرحلة متأخرة، والمرحلة المتقدمة تتمثل فى الإبقاء على هذه الواو دون قلب لتحركها كما فى عِوَض وحِوَل وطِوَل وغيرها .

---

(١) هذه قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى وخلف والأعمش لله معجم القراءات ٢/ ٥٩٩ .

(٢) البيان ١/ ٣٥١ .

(٣) سر صناعة الإعراب ١ / ٣٥ .

(٤) شرح الشافية ٣/ ١٣٧ - ١٣٨ .

٣ - تقلب ياء إذا اجتمعت مع ياء وسبقت إحداهما بالسكون، ثم يدغمان .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى السابق : ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ «سورة الأنعام: آية ١٦١» .

«قُرئ (قِيماً)[1] بالتشديد. أصله : (قَيْوِم) على وزن فَيْعِل ، إلا أنه لما اجتمعت الياء والواو والسابق منهما ساكن، فقلبت الواو ياء وجعلتا ياء مشددة»[2] .

ويرى علماء الصرف أن الواو والياء وإن لم يتقاربا فى المخرج حتى يدغم أحدهما فى الآخر، لكن لما اجتمعا حدث ثقل ، فكان لابد من التخفيف ، فكان التخفيف بالإدغام، والذى سهل ذلك كونهما من حروف المد واللين وأنهما أكثر دوراناً فى الكلام من غيرهما من سائر الحروف، والذى سوغ هذا التخفيف الإدغامى كون أولهما ساكناً لأن شرط الإدغام سكون أول الحرفين، وحتى يحدث الإدغام قلبت الواو ياء ، وإن كان القياس فى إدغام المتقاربين قلب الأول إلى الثانى لا العكس ، أى كان يجب فى كلمة (قيوم) أن تقلب الياء إلى الواو ، ولم يحدث هذا وحدث العكس وهو قلب الواو ياء لسببين ، الأول : أن الياء أخف من الواو ، ولو قلبت الياء إلى الواو لصارا واواً مضعفة وهذا غاية فى الثقل ، بل هو أثقل من اجتماع الواو والياء .

والثانى: أنهم قد قلبوا ليدغموا والإدغام فى حروف الفم أقوى لكثرتها، والياء من الفم والواو من حروف الشفة، وهى قليلة والإدغام فيها أضعف[3] .

ورأى أن ما حدث للمثال السابق (قيِّم) وأصله (قَيْوِم) يرجع إلى قانون

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (معجم القراءات ٢ / ٦٠٠)

(٢) البيان ١/ ٣٥١ .

(٣) انظر فى ذلك : سر صناعة الإعراب ٢/ ٢٣٤ وشرح التصريف ٤٧٥ وشرح المفصل ١٠/ ٢٣ وشرح الشافية ٣/ ١٣٩ - ١٤٠ .

المماثلة ، فالواو ماثلت الياء ، والذى سهل ذلك كونها سُبِقَت بياء كما أنها محركة بالكسرة والكسرة من جنس الياء ، فكأنها بذلك بين ياءين، فالتقت حينئذ ياءان ، والأولى منهما ساكنة ، فأُدْغِمت فى الثانية .

ق ـَ ى > و ـِ م ـُ ن > ق ـَ ى/ ى ـِ م ـُ ن > ق ـَ ى ى ـِ م ـُ ن .

(٢) قلب الياء واواً

تقلب الياء واواً فى موضعين، هما :

١ - إذا سكنت وسبقت بضمة.

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٤» .

«قوله تعالى: (يوقنون) أصله (يُؤَأْقِنون) على وزن يُؤَفْعِلون من اليقين ، يقال : أَيْقَن يُوْقِن ، وأصله (يُؤَيْقِن) فحذفت الهمزة، فبقيت الياء ساكنة مضموماً ما قبلها، فقلبت واواً ، كقولهم : مُوسِر وأصله : مُيْسِر لأنه من اليسر ، إلا أنه لما وقعت الياء ساكنة مضموماً ما قبلها قلبت واواً، وكذلك : مُوْقِن ، أصله : مُيْقِن ، فقلبت الياء منه واواً لما بينا ، وهذا قياس مطرد فى كل ياء ساكنة قبلها ضمة ، ونظائره كثيرة»[١] .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق أن العلة فى قلب الياء واواً أنها وقعت ساكنة إثر ضمة، وذلك نحو : مُوْسِر ، والأصل : مُيْسِر وقعت الياء ساكنة مسبوقة بضمة فقلبت واواً، يقصد واو المد، وهناك مرحلة وسطى لم يذكرها ، وهى تحول هذه الياء الساكنة إلى واو ساكنة مثلها، ولعل السر فى إغفاله ذكرها يرجع إلى أن حرف المد فى نظره ونظر غيره من علماء العربية القدامى حرف

(١) البيان ١/ ٤٨ .

ساكن مسبوق بحركة من جنسه ، أما هو فى علم اللغة الحديث فحركة طويلة غير مسبوقة بحركة من جنسها ، وليس حرفاً ساكناً .

ويرى ابن جنى أن السر فى وجوب قلب الياء الساكنة واواً إذا انضم ما قبلها، أنها لما سكنت ضَعُفَت، فقويت الضمة عليها ، فقلبتها واواً، كما قويت الكسرة على الواو الساكنة فقلبتها ياء كما فى مِيزان ونحوها والأصل: (مِوْزان) كما يرى أن الياء إذا تحركت لم تقو عليها الضمة، لأنها صارت حينئذ حرفاً قوياً ، نحو : مُيُقِن ، وهذا هو حال الواو كذلك كما فى نحو : حِوَل وطِوَل[1] .

ويستطرد فى بيان سبب قلب الياء واواً ، فيذكر أن الحركات أبعاضُ حروف المد واللين ، فالفتحة بعضُ الألف والكسرة بعض الياء والضمة بعض الواو، والدليل على ذلك أننا لو أشبعنا هذه الحركات، أى أطلنا نطقها، لحدث بعدها الحرف الذى هى منه، ويتابع كلامه فيذكر أنك إذا بدأت بالضمة فكأنك بدأت ببعض الواو، لأن الضمة بعضها كما سبق أن ذُكِر، وإذا جاء بعدها ياء فيكون ذلك أمراً غير متوقع؛ لأن المتوقع أن يلى الضمة واو لا ياء ؛ لأن بين الضمة والياء مخالفة، لأجل ذلك قلبت الياء واواً ليحدث الانسجام[2] .

وأرى أن قلب الياء واواً يعود إلى قانون المماثلة ، حيث وقعت الياء الساكنة فى نهاية مقطع مغلق (ص ح ص) فماثلت الياء والضمة السابقة عليها (مماثلة تقدمية) فقلبت واواً ، ثم ماثلت الواو الضمة السابقة عليها فقلبت ضمة مثلها ، فالتقت ضمتان قصيرتان فأنجزتا ضمة طويلة[3] . ويمكن كتابة ما حدث لموقن وموسر صوتياً على النحو التالى :

---

(١) المنصف ١/ ٢٢١ .

(٢) سر الصناعة ١/ ٣٣ - ٣٥ .

(٣) انظر هذا القانون فى : مدخل في الصوتيات ١٨٣ - ١٨٤

- م ـُ ى ق ـ ن ـُ ن > م ـُ و ق ـِ ن ـُ ن > م ـُ / ـُ ق ـِ ن ـُ ن > م ـُ ـُ ق ـِ ن ـُ ن .
- م ـُ ى س ـِ ر ـُ ن > م ـُ و س ـِ ر ـُ ن > م ـُ / ـُ س ـِ ر ـُ ن > م ـُ ـُ س ـِ ر ـُ ن .

٢ - إذا وقعت لاما لاسم على وزن فَعْلَى .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : **﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾**
«سورة المائدة : آية ٨» .

«التقوى : مؤنثة ، وأصلها : (وَقْيَا) لأنها من وقيت ، إلا أنهم أبدلوا من الواو تاء، كما قالوا : تُجاه وتُراث وتهمة وتُخَمة ، وأبدلوا من الياء واواً ؛ لأن كل ما كان اسماً ولامه ياء وهو على (فَعْلَي) فإنه تقلب ياؤه واواً كالبَقْوَى من : بقيت ، والشَّرْوَى من : شريت ، والرَّعْوَى من : رعيت ، كما يقلبون ما كان وصفاً على (فُعْلَي) ولامه واو أو ياء ، كالدنيا من: دنوت ، والعلياء من : علوت . وإنما فعلوا ذلك لضرب من التقاصِّ والتعويض، وحملوا بنات الياء على الواو وبنات الواو على الياء لما يجمعهما من النسب فى الإعلال والغنة»[٢] .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق أن قلب الياء واواً لايكون إلا فى الاسم الذى على وزن (فَعْلَى)، ولا يكون فى الصفة التى على الوزن نفسه ، فكأن الباعث على ذلك التفرقة بين الاسم والصفة[٣]، ويرجع السبب فى

---

(١) سنعالج ذلك عند الحديث عن قلب الواو تاء .

(٢) البيان ١ / ٢٨٥ .

(٣) لايلزم التفريق بين الاسم والصفة فيما كانت لامه واواً ، فتقول فى الاسم : دعوى وعدوى، وفى الصفة : شهوى وتشوى ، فالجميع بالواو (شرح المفصل ١٠ / ١١٢) ولم تقلب الواو ياء : « لاعتدال أول الكلمة وآخرها بالفتحة والواو ، فلو قلبت ياء لصار طرفا الكلمة ضعيفين » .

اختصاص الاسم بذلك دون الصفة، أن الواو كما يقول ابن يعيش: « مستثقلة والصفة أثقل من الاسم ، إذ كانت فى معنى الفعل، فلم تُزَد ثِقلاً بالواو ، وحيث كان الاسم أخف عليهم جعلوه بالواو ليعادل ثقل الواو وثقل الصفة» .

ويستطرد مبيناً اختصاص اللام بذلك دون الفاء والعين ، فيقول : «واختصوا بذلك اللام دون الفاء والعين لضعفها وتأخرها، والضعيف مطموع فيه»[1] .

كما يفهم كذلك من كلام ابن الأنبارى أن قلب الياء واواً فيما كان على (فُعْلَى) من الأسماء محمول على قلب الواو ياء فيما كان على (فعلى) من الصفات ، كالدنيا وأصلها : الدُّنْوَى ، من : دَنَوْت ، والعليا وأصلها : العُلْوَى ، من : عَلَوْت . فحملت الكلمات التى آخرها ياء على ما آخرها واو و ما كان آخرها واواً على ما آخرها ياء ، وذلك لاشتراك الواو والياء فى الإعلال والغُنَّة .

(٣) قلب الواو والياء ألفا

١ - عن قلب الواو ألفاً ، يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ١٧» .

«أضاءت أصلة: (أَضْوَأَت) لأنه من الضوء، إلا أنهم نقلوا فتحة الواو إلى ماقبلها، وقلبت ألفاً لتحركها فى الأصل وانفتاح ماقبلها الآن، فصارت : أضاءت»[2] .

(١) شرح المفصل ١٠/١١١ - ١١٢ .

(٢) البيان ١ / ٥٩ .

● ويقول فى موضع آخر معلقاً على قوله تعالى : «**فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ**» «سورة البقرة : آية ٧١» « أصل كاد يكاد : (كَوِدَ يَكْوَدُ) مثل : خاف يخاف، أصله : خَوِفَ يَخْوَفُ ، فقلبت الواو فى الماضى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وقلَبت فى المضارع ألفاً، لأنهم نقلوا حركتها إلى ماقبلها فتحركت فى الأصل وانفتح ماقبلها الآن »[١] .

٢ - وعن قلب الياء ألفاً ، يقول تعليقاً على قوله تعالى : ﴿**إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ**﴾ «سورة البقرة : آية ٢٤٨» .

« آيَةَ فيها أربعة أوجه : أحدها : أن يكون أصلها : (أَيَيَة) عينها ياء ولامها ياء ، فقلبت العين التى هى الياء الأولى ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . . . »[٢] .

● كما يقول عن لغة بنى الحارث بن كعب الذين يقلبون الياء ألفاً فى التثنية وإن كانت ساكنة : «يقولون : مررت برجلان ، وقبضت منه درهمان . فيقلبون الياء ألفاً لانفتاح ماقبلها فقط ، ولايعتبرون حركتها فى نفسها، فيكتفون فى القلب بأحد الشرطين . . . وهذا إنما حكى عنهم فى التثنية »[٣] .

من خلال ما سبق نستطيع أن نقول : إن انقلاب الواو والياء ألفاً عند ابن الأنبارى مشروط بـ :

● أن تتحرك الواو أو الياء[٤] ، ويُفْتَح ما قبلها ، وقد تكون الحركة فيهما

---

(١) السابق ١/ ٦١ - ٦٢ .　　(٢) السابق ١/ ١٦٦ .　　(٣) السابق ١/ ٣٠٠ - ٣٠١ .

(٤) يشترط فى هذه الحركة أن تكون أصلية ليست منقولة من غيرهما إليهما، كما فى: لَوَ انَّهُمْ فى: لَوْ أَنَّهُمْ ، ولا فى قوله تعالى: « **اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى**» «سورة البقرة : آية ١٦ أو فى قوله تعالى: ﴿**لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ**﴾ «سورة التكاثر : آية ٧» فحركة الواو فى الآيتين بسبب التقاء الساكنين . (شرح التصريف ٢٩٥) .

ظاهـرة، وهذا واضـح فى الـفعل المـاضى: كـاد وأصلـه (كَوَدَ) وآية وأصلها: (أَيَيَة) وكـذلك قام وباع وأصلهـا : (قَوَمَ)و (بَيَعَ) وقد تكون حركتهـما باعتبار الأصل ، أى لـيست ظاهرة، وإنما نقـلت إلى الحرف الساكن الـذى قبلها فصار مـتحركاً ، وحتى يـكون تحريكه سبباً لقلب الواو أو الـياء ألفـاً ، وهذا واضح فـى مضـارع كاد، وهو : يـكاد ، وأصله (يكْوَد) والذى تحول بعد ذلك إلى : (يكَوْدُ) ثم أخيراً إلى : (يكاد) و الأمـر كذلك بالنسـبة للمضـارع المبنى للمـجهول : يُبَاعُ ، وأصله: (يُبْيَعُ) الذى تحول إلى: (يُبَيْعُ) ثم أخيراً إلى : (يُبَاعُ) .

أما فى لغة بنى الحارث من كعب فإنهم يقلبون الياء فى المثنى ألفاً دائماً وإن كانت ساكنة ، اكتفاء بشرط واحد فقط ، وهـو فتح ماقبلها ، كما فى قولهـم : مررت برجلان، والأصل : حررت برجلين .

واشترط الصـرفيون شرطين آخرين إضـافة إلى الشرط المتـقدم الذى ذكره ابن الأنبارى :

الأول : أن تكون الواو والياء عينين أو لامين ، ولـم يُقْلَبا فاءين كما فى : أَوَدٌ ، وأَيَلٌ . **والثانى** : ألا يكون قبلهما ولا بعدها ساكن[1] .

والسبـب فى قلب الواو واليـاء ألفاً كما يرى ابـن جنى يرجع إلى اجـتماع ثلاثة أشياء متجانسة، هى : الفتحة > والواو أو الياء ، وحركة الواو أو الياء ، فهربوا من الـواو والياء إلى لفظ تؤمن فـيه الحركة وهو الألف وسوغهـا انفتاح ماقبلـها، ويقصد بقولـه : إلى لفظ تؤمن فـيه الحركة ، أن حركة الفـتح التى تسبق الألف لن تقلبها إلى حرف آخر[2] .

---

(١) شرح التصريف ٢٩١ وشرح الشافية ٣/ ٩٥

(٢) سر الصناعة ١ /٣٧ .

ويرى ابن جنى أن أصول الماضى والمضارع من الأفعال المعتلة أصول مفترضة محمولة على نظائرها من الأفعال الصحيحة ، كما أن تلك الأصول المفترضة لاتعنى أن العرب قد نطقت بها يوماً ما وإن كان بعضها قد نطق به ، كما فى قولهم : استنوق الجمل ، أى صار مستذلاً كالناقة . يقول : « وينبغى أن يُعْلَم أنه ليس معنى قولنا : إنه كان الأصل فى قام وباع : (قَوَمَ وبَيَعَ) وفى أخاف وأقام : (أَخْوَفَ وأَقْوَمَ) وفى استعان واستقام : (اسْتَعْوَنَ واسْتَقْوَمَ) أننا نريد به أنهم قد كانوا نطقوا مدة من الزمن بقوم وبيع ونحوهما مما هو مُغَيَّر ثم إنهم أضربوا عن ذلك فيما بعد.

وإنما نريد بذلك أن هذا لو نطق به على مايوجبه القياس بالحمل على أمثاله لقيل : قَوَمَ وبَيَعَ واسْتَقْوَمَ واسْتَعْوَنَ . ألا ترى أن استقام بوزن استخرج، فقياسه أن يكون اسْتَقْوَمَ، إلا أن الواو قلبت ألفاً لتحركها الآن وانفتاح ما قبلها فى الأصل ، أعنى : قوم ، ويدل على ذلك أيضاً ما يخرج من المعتلات على أصله ، ألا ترى إلى قولهم : اسْتَرْوَحَ واسْتَنْوَقَ الجمل واسْتَتْيَسَتَ الشاة، فدل ذلك على أن أصل استقام : اسْتَقْوَمَ ، وقال الشاعر :

صددتِ فأطولتِ الصدودَ وقلما وِصالٌ على طُول الصدودِ يدومُ

فقول : (أَطْوَلْت) يدل على أن أصل : أخاف (أَخْوَفَ) وقد قالوا : أطال ، وقالوا أَحْوَجْتُ زيداً إلى كذا وكذا ، وأَغْيَلَتِ المرأة وغير ذلك .

فهذا الأشياء الشاذة إنما خرجت على التنبيه على أصول ما غير، وأنه لولا مالحقه من العلل العارضة لكان سبيله أن يجىء على غير هذه الهيئة المستعملة»[1] .

وأرى أن ماذهب إليه ابن جنى فى هذه الأصول المفترضة صحيح جداً

---

(١) المنصف ١/ ١٩٠ - ١٩١ .

لثلاثة أسباب، أولها : أن لها نظائر من الصحيح ، وثانيها : أن فى اللغة بقايا من هذه الأصول ، وثالثها : أن فى بعض اللغات السامية ما يدل على هذه الأصول ، ففى الحبشية مثلاً : qawama Qoom : قام[1] و bayana በየነ : تحقق و dayana ዳየነ : دان[2] .

وأختلف مع ابن الأنبارى وابن جنى وغيرهما من القدماء فى علة قلب الواو والياء ألفاً لأنه لاعلاقة صوتية بين الواو أو الياء والألف . وعليه فالأصل المفترض للفعلين قام وباع هو : قوم وبيع ، ثم حدث لهما أن حذفت الواو والياء لوقوعهما بين حركتين متماثلتين (من جنس واحد) ثم نتج عن هذا الحذف التقاء حركتين قصيرتين، ثم تحولتا إلى فتحة طويلة .

ق ـَ و ـَ م ـَ > ق ـَ × ـَ م ـَ > ق ـَ ـَ م ـَ

ب ـَ ى ـَ ع ـَ > ب ـَ × ـَ ع ـَ > ب ـَ ـَ ع ـَ[3] .

ويمكن تطبيق ذلك على الفعل الماضى « كاد » على النحو التالى :

ك ـَ و ـِ د ـَ > ك ـَ و ـَ د ـَ تماثلت حركة الواو مع حركة الكاف فقلبت فتحة مثلها > ك ـَ × ـَ د ـَ > ك ـَ ـَ د ـَ .

أما فى المضارع من الأفعال المعتلة فإنه يعد نقل حركة الواو أو الياء إلى الساكن الذى قبلهما نتج الصوتان المركبان (ـَ و > و < ـَ ى) اللذان تحولا إلى (ـَ ـَ) ومن الأمثلة : يكاد ويباع .

---

(١) المدخل إلى علم الأصوات ٧١ .

(٢) فى قواعد الساميات ٣٣٤ .

(٣) انظر تفسير ما حدث لقام وباع وما أشبههما فى : دراسات فى علم أصوات العربية ٣٤ ومدخل فى الصوتيات ١٧١ - ١٧٢ .

ى ـَ ك و ـَ د ـَ > ى ـَ ك ـَ و د ـُ > ى ـَ ك ـَ ـَ د ـُ .

ى ـُ ب ى ـَ ع ـُ > ى ـُ ب ـَ ى ع ـُ > ى ـُ ب ـَ ـَ ع ـُ .

(٤) قلب الواو والياء همزة .

تقلب الواو والياء همزة فى ثلاثة مواضع، هى :

١ - تقلب الواو والياء همزة إذا وقعنا طرفين بعد الألف الزائدة .

يقول ابن الأنبارى عن كلمة (مكاء) فى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاءً وَتَصْدِيَةً﴾ «سورة الأنفال : آية ٣٥» .

« الهمزة فى (مكاء) بدل من الواو ، وأصله : (مكاو) لأنه من : مكا يمكو مكاء إذا صفر ، والمكاء : الصفير، إلا أنه لما وقعت الواو طرفاً وقبلها ألف زائدة قلبت همزة .

وقيل : قُلِبَت ألفاً ، ثم قُلِبَت الألف همزة لئلا يلتقى ساكنان، وقلبت همزة لأنها أقرب الحروف إليها »[1] .

- كما يقول فى موضع آخر عن كلمة (السماء) إنها : «جمع ، سماوة، كبُرَّة وبُرّ ، وذَرَّة وذَرّ ، فلما حذفت الهاء انقلبت الواو همزة لوقوعها طرفاً وقبلها ألف زائدة .

وقيل : قُلِبت ألفاً لأن الألف التى قبلها زائدة خفيفة ساكنة والحرف الساكن حاجز غير حصين ، فكأنها قد تحركت وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، فاجتمع ساكنان وهما لايجتمعان، فقُلبت المنقلبة همزة لالتقاء الساكنين وكان قلبها إلى الهمزة أولى لأنها أقرب الحروف إليها »[2] .

---

(١) البيان ١/ ٣٨٧

(٢) السابق ١/ ٦٨ - ٦٩ .

يُفْهَم من كلام ابن الأنبارى السابق أن هناك اتجاهين فى قلب الواو همزة بعد الألف الزائدة :

الأول: أنها قلبت همزة مباشرة، والسبب فى ذلك تطرفها بعد ألف زائدة .

والثانى : أن الواو قد قُلِبَت ألفاً أولاً ، والسبب فى هذا : تحركها وانفتاح ماقبلها، والمقصود بالذى قبلها هنا هو الحرف الذى قبل الألف الزائدة . معنى هذا أن الألف هنا لايُعْتَد بها[١] ؛ لأنها كما ذكر حرف ساكن[٢] والحرف الساكن حاجز غير حصين[٣] . وبعد القلب التقى ألفان هكذا : مكا ا ، وسما ا ، وهما ساكنان كما أشار ابن الأنباري، واجتماع الساكنين ممتنع فى العربية فلا بد من التخلص منهما بالتحريك أو الحذف، ولم تُفَضِّل اللغة هنا الحذف ؛ لأن حذف الألف الأولى يُفَوِّت المد، وبذلك تصير الكلمة مقصورة بينما المراد المد، وحذف الألف الثانية يُفَوِّت لام الكلمة[٤] . فلم يبق إلا التحريك، ولم تُفَضِّل اللغة تحريك الألف الأولى لسببين ، الأول : أن هذه الألف زينت للمد، ولاحظ لها فى الحركة. والثانى: أنها لو تحركت لانقلبت همزة وبعدها ألف ، فتصير الكلمة حينئذ مقصورة والمراد المد . فحركت الألف الثانية على خلاف الأصل فى التحريك عند التقاء الساكنين للسببين السابقين، ولسببين آخرين، أحدهما : أن الألف الثانية لها أصل فى الحركة على أساس أنها الحرف الأخير من الكلمة والحرف الأخير يظهر عليه الإعراب . والسبب الآخر : أن هذه

---

(١) عبر الرضى عن هذه الألف فى هذه الحالة بأنها فى حكم العدم. شرح الشافية ١٠١/٣

(٢) هذا تعبير ابن الأنبارى وغيره من القدماء عن الألف وغيرها من حروف المد، وهى فى علم اللغة الحديث حركات طويلة .

(٣) أشار بعض العلماء إلى أن الألف يمكن الاعتداد بها، وفى هذه الحالة تنزل منزلة الفتحة لأنها من جوهر الألف ومن مخرجها ، لذلك قلبوا الواو والياء ألفاً بعدها ، كما يقلبونهما مع الفتحة ، بل قلبهما مع الألف أولى . راجع : سر صناعة الإعراب ١٠٧/١ والمنصف ١٣٧/٢ وشرح المفصل ٩/١٠.

(٤) شرح المفصل ٩/١٠ وشرح التصريح ٣٦٨/٢ .

الألف لو تحركت ستصير همزة وقبلها ألف ، وفى هذه الحالة يكون المد الذى أرادوه[١] .

معنى هذا أن الألف الثانية لما تحركت قلبت همزة ، وكان قلبها إلى الهمزة أولى لأن الهمزة أقرب الحروف إلى الألف .

مكاو > مكا ا > مكاء .

سماو > سما ا > سماء .

فالهمزة بدل من الألف ، والألف بدل من الواو .

وما ذكره ابن الأنبارى ينطبق كذلك على الياء المتطرفة بعد الألف الزائدة كما فى نحو ، غطاء ورداء وسقاء على النحو التالى :

غطاء / الأصل : غطاى > غطا ا > غطاء .

رداء / الأصل : رداى > ردا ا > رداء .

سقاء / الأصل : سقاى > سقا ا > سقاء .

٢ - تُقْلَب الياء والواو همزة فيما جُمِع على «فعائل» إذا كانت مدتين زائدتين فى المفرد .

يقول ابن الأنبارى عن كلمة < معايش > فى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ «سورة الأعراف : آية ١٠» .

« . . . ولا يجوز همزها لأن فيها الياء أصلية ، وأصلها فى الواحد أن تكون متحركة ، ولو كانت زائدة أصلها فى الواحد السكون ، نحو : كَتِيْبَة على فعيلة لهمزت فى الجمع ، نحو : كتائب . وقد قرئ

(١) شرح التصريف ٣٣١.

(معائش[1] > بالهمزة على تشبيه الأصلية بالزائدة ، وهى قراءة ضعيفة فى القياس»[2] .

يفهم مما سبق أن الياء فى المفرد وكذلك الواو تقلبان فى جمع التكسير الذى على زنة (فعائل) همزة بشرط أن تكونا مدتين زائدتين فى المفرد ، أما إذا كانت إحداهما أصلية فلا يجوز همزها فى الجمع .

وأصل قلب حرف المد : (الواو أو الياء) همزة فى الجمع أن يكون القلب لألف المد، ثم حمل عليها واو المد ويائه ، يقول ابن جنى :

«اعلم أن الهمز فى باب (فعائل) إنما أصله لباب: (رسالة وكنانة)؛ وذلك أنك لما جمعت رسالة على فعائل جاءت ألف الجمع ثالثة ووقعت بعدها ألف رسالة، فالتقت ألفان، فلم يكن بد من حذف إحداهما أو تحريكها، فلو حَذَفْتَ الألف الأولى لبطلت دلالة الجمع، ولو حذفت الثانية لتغير بناء الجمع؛ لأن هذا الجمع لابد له من أن يكون بعد ألفه الثانية حرف مكسور بينها وبين حرف الإعراب فيكون كمفاعل، ولم يجز أيضاً تحريك الألف الأولى مخافة أن تزول دلالتها على الجمع لأنه إنما تدل عليه مادامت ساكنة على لفظها، ولو حركت أيضاً لانقلبت همزة وزالت دلالة الجمع، فلم يبق إلا تحريك الألف الثانية بالكسر ليكون كعين مفاعل، فلما حركت انقلبت همزة فصارت: (رسائل وكنائن) كما ترى، ثم شُبِّهَت الياء فى: (صحيفة) والواو فى: (عجوز) بألف (رسالة) لأن قبل كل واحدة منهما بعضها وهى ساكنة، فَجَرَتا من هذا مجرى الألف، وأصل الباب فى هذا الهمزة إنما هو للألف؛ لأنها أقعد فى المد منهما»[3] .

---

(١) قرأ بذلك : أسيد عن الأعرج وزيد بن على والأعمش وخارجة بن مصعب عن نافع وحميد بن عمير وابن عامر فى رواية وأبو جعفر . معجم القراءات ٣/ ٩ .

(٢) البيان ١/ ٣٥٥.

(٣) المنصف ١/ ٣٢٦ - ٣٢٧ .

غير أنه ورد همز اليـاء الأصلية فى المفرد عند الجمع فى كـلمات ، منها : معائش ، ومصائب .

١ - معائش : وردت قـراءة لـ : (معايش) كما ذكـر ابن الأنبارى فى تعـليقه السابق على الآية ، ووصف هذه القراءة بأنها ضعيفة فى القياس ، أى أن المفروض فيها أن تكون بلا همز ؛ لأن اليـاء أصلية فى المفرد (معيشة) إذ أصلها الحركة : (مَعْيِشَة) .

وقد هوجمت هذه القراءة هجوماً عنيفاً لكونها خارجة عن القياس :

يقول أبو عـثمان المازنى : « فأما قـراءة من قرأ من أهل المدينـة (معائش) بالهمز فهى خـطأ ، فلا يلتفت إليها ، وإنما أخذت عن نافـع عن أبى نعيم ولم يكن يدرى ما العربية ، وله أحرف يقرؤها لحناً نحواً من هذا»[1] .

ويقول ابـن جـنى: «قـد اختلفت الـرواية عن نافع، فأكثر أصـحابه يروى عنه ، (معايش) بلا همز ، والذى روى عنه بـالهمز خارجة بن مصعب ، وإنما كان همزها خطأ عنده ؛ لأنها لاتخلـو من أن تكون جمع (معاش) أو (معيشة) أو (مَعِيش) فقد قال رؤبة :

إليك أشكو شِدَّةَ المَعِيش

يريد المعاش . وكل واحد من هذه عينه متحركة فى الأصل ، فأصل معاش (مَعْيَش) ، وأصل معـيشة (مَعْيِشَة أو مَعْيُشَة) علـى مذهب الخلـيل، وأصل مَعِيْش (مَعْيِش) مكسور العين لـيس غيـر ؛ لأنه لـيـس فى الأحاد اسم عـلى مفعل بضم العين »[2] .

ويقول الزجاج : «وأكثَر القراء على تـرك الهمزة فى معايش، وقد رووها

---

(٢) المنصف ١ / ٣٠٧ ،

(١) السابق ٣٠٨/١ .

من نافع مهموزة . وجميع النحويين البصريين يزعمون أن همزها خطأ ، فأما ماارواه نافع من (معائش) بالهمزة فلا أعرف له وجهاً ، إلا أن لفظ هذه الياء التى من نفس الكلمة أُسْكِن فى معيشة فصار على لفظ صحيفة ، فحمل الجمع على ذلك .

ولا أحب القراءة بالهمزة؛ إذ كان أكثر القراء يقرأون بترك الهمز ، ولو كان مما يهمز لجاز تحقيقه وما ترك همزه ، فكيف وهو مما لا أصل له فى الهمز ؟ ! وهو كتاب الله عز وجل الذى ينبغى أن يُمَال فيه إلى ماعليه الأكثر ؛ لأن القراءة سنة ، فالأولى فيها الاتباع والأولى اتباعُ الأكثر »[١] .

٢ - مصائب : هوجمت هذه الكلمة كذلك كما هوجمت (معائش) السابقة .

يقول أبو حيان :

« وحكى الزجاج عن الأخفش أن الهمزة فى مصائب بدل من الواو التى اعتلت فى مصيبة . قال : وهذا رديء ، ويلزمه أن يقول : مقائم فى المقام ، ومعائن فى المعونة »[٢] .

وهمز هاتين الكلمتين يمكن أن يكون من باب حمل الياء الأصلية فى مفردها على الزائدة فى نحو : صحيفة وكتيبة ونحوها ، كما صرح ابن الأنبارى من قبل . ويمكن حملهما على التوهم[٣] كما صرح بذلك سيبويه ، أى أن الذى تكلم بهمزها ظن أن المفرد فيها على زنة (فعيلة) ، بينما هو فى الأصل على زنة (مفعلة) كما فى معيشة، أو (مفعلة) كما فى مصيبة .

---

(١) معجم القراءات ٣/ ٩ .

(٢) الارتشاف ١ / ٢٦١ .

(٣) مصطلح التوهم عند سيبويه يقابل كذلك مصطلحى : الحمل أو القياس الخاطئ . انظر التطور اللغوى ١١٤ .

يقول سيبويه : « فأما مصائب فإنه غلط منهم ، وذلك أنهم توهموا أن مصيبة فعيلة ، وإنما هي مُفْعِلَة»[1] .

٣ - تقلب الواو همزة في حالتين : الأولي : إذا كانت مضمومة. والثانية : إذا كانت مكسورة

ا - إذا كانت مضمومة :

يقول ابن الأنبارى عن كلمة (اشتروا) فى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ١٦» .

« أجاز الكسائى همزها لانضمامها. وهو ضعيف ؛ لأن الواو إنما تقلب همزة إذا انضمت ضماً لازماً ، وهذه ضمة عارضة لالتقاء الساكنين فلا تقلب لأجلها همزة »[2].

يُفْهَم مما سبق أن قلب الواو المضمومة همزة يكون بشرط أن تكون الضمة أصلية وليست عارضة كما فى (اشتروا الضلالة) حيث التقى ساكنان : واو الجماعة والضاد الأولى المدغمة فى مثيلتها ، وللتخلص منهما حرك أولهما (واو الجماعة) بالضمة لأنها أنسب الحركات للواو .

كما يفهم كذلك أن قراءة الكسائى بهمز الواو (اشترؤا الضلالة) من باب تعميم القاعدة أو الحمل على ما كانت الضمة فيه أصلية .

وقلب الواو المضمومة همزة كما يرى ابن يعيش إنما هو من باب الحمل على الواوين المجتمعتين، حيث إن اجتماع الواوين يُوجِب الهمزة، كما فى نحو : واصلة وأواصل ، والأصل (وواصل) ولأن الضمة من الواو،

---

(١) الكتاب ٢/٣٦٧ .

(٢) البيان ١/٥٩ .

فصارت الواو والضمة فرعاً عن الواوين ، وهذا القلب فى الواو المضمومة جائز لا واجب[1]، وواجب مع الواوين ، وذلك حتى يكون هناك فرق بين الأصل والنوع. ومن الأمثلة على قلب الواو المضمومة همزة سواء فى فاء الكلمة أو عينها : وُجُوه وأُجُوه ، ووُقِّتَتْ وأُقِّتَتْ، وأدؤر فى جمع دار، وأثؤب فى جمع ثوب [2].

ب - إذا كانت مكسورة فى أول الكلمة :

يقول ابن الأنبارى فى عرضه الأوجه المفسرة لأصل لفظ الجلالة (الله) فى قوله تعالى ، « بسم الله الرحمن الرحيم » .

« وقيل أصله : (وِلاه) من الوَلَه؛ لأنه يُوْلَهُ إليه فى الحوائج، فأبدلوا من الواو المكسورة همزة، كقولهم فى وشاح : إِشاح ، وفى وِسادة : إِسادة، ثم أدخلوا عليه الألف واللام، وحذفوا الهمزة، وأدغموا وفخموا » [3].

إذن أصل لفظ الجلالة - كما يفهم مما سبق - أصله : وِلاهٌ > إله بقلب الواو المكسورة همزة > الإله بإدخال أل للتعريف > الله بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على لام التعريف الساكنة ، فيلتقى حرفان من جنس واحد ، فيدغمان بعد تسكين الحرف الأول بحذف حركته > الله وتفخم اللام المضعفة لأنها مفتوحة .

وإبدال الهمزة من الواو المكسورة إنما هو على التشبيه بالواو المضمومة، يقول ابن يعيش :

---

(١) يرى الرضى أن قلب الواو المضمومة همزة « جائز جوازاً مطرداً لاينكسر ، وذلك لأن الضمة بعض الواو ، فكأنه اجتمع واوان » شرح الشافية ٣/ ٧٨ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١١ - ١٢ .

(٣) البيان ١/ ٣٣.

«شبهوا الواو المكسورة بالواو المضمومة لأنهم يستثقلون الكسرة كما يستثقلون الضمة، ألا ترى أنك تحذفها من الياء المكسور ما قبلها كما تحذف الضمة منها من نحو : هذا قاض، ومررت بقاض ، إلا أن همز الواو المكسورة وإن كثر عندهم فهو أضعف قياساً من همز الواو المضمومة وأقل استعمالاً ، ألا ترى أنهم يكرهون اجتماع الواوين فيبدلون من الأولى همزة ، نحو : الأواقي ، ولايفعلون ذلك في الواو والياء ، نحو ، وَيْح ووَيْس ووَيْل ويَوْم ، فلما كان حكم الضمة مع الواو قريباً من حكم الواو مع الواو وجب أن يكون حكم الكسرة مع الواو قريباً من حكم الياء مع الواو » (١).

ويرى الرضى أن الأولى ألا يكون ذلك قياسياً ، وأن يقتصر على السماع، كما يرى أن القلب قد جاء في الواو المكسورة لأن الكسرة فيها أثقل أيضاً ، وإن كان أقل ثقلاً من الضمة على الواو ، كما يرى أن ذلك قد استثقل في أول الكلمة دون وسطها ؛ لأن الابتداء بالمستثقل أشنع (٢).

وقلب الواو المكسورة همزة لغة لهذيل، وعلى هذه اللغة قرأ ابن جبير (إعاء) في (وعاء) في قوله تعالى : ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ «سورة يوسف : آية ٧٦» (٣).

وأري أن التفسير الذى قدمه ابن الأنبارى - وغيره من القدماء - لانقلاب الواو والياء همزة فيما سبق لايمكن قبوله من الناحية الصوتية ، لأنه لاعلاقة صوتية بين الواو أو الياء والهمزة ، والأمر كذلك بالنسبة لقلب الواو والياء ألفاً ، ثم قلب هذه الألف همزة ، فليس هناك تقارب بين الألف والهمزة ، إذ الألف حركة طويلة ، والهمزة صوت صامت .

---

(١) شرح المفصل ١٠/ ١٤ .

(٢) شرح الشافية ٣/ ٧٨ - ٧٩ .

(٣) المدخل إلى علم الأصوات ١٩٢ وفى معجم القراءات ٤/ ٣١١ أن الإبدال همزة فى «وعاء» الأولى وهى قراءة سعيد بن جبير وعيسى بن عمر وأبى بن كعب واليمانى وأبان وعبيد بن عمير .

وأرى أن السبب فى قلب الواو والياء همـزة فى جميع ما تقدم يعود إلى أن المتكلم آثر استبدال الصوتين الانزلاقين[1] (aaw) و (aay) فى نحـو : سماء ورداء والأصل : سماو ورداى .

وكذلك (wi) و (wu) فى نحو : إله وأجوه والأصل : وِلَه ، وُجُوه .

(yi) و (wi) فى نحو : معائش وعجائز ، والأصل : معايِش ، وعجاوِز. بصوت قطعى هو الهمزة .

وظاهرة تحقيق الـهمزة فى الكلمات المهموزة الأصـل، وهمز الواو والياء فى الكلمات التى لاتـشكل الهمزة فيها صوتاً أصلياً خـاص بأهل البادية، يقول الدكتور إبراهيم أنيس :

« وتميز نطق البدو زمـن تدوين اللغة بظاهرة سماها الـقدماء (النبر) وهى لاتقتصر عـلى تحقيق الهمز فـى الكلمة المهموزة الأصـل ، بل تجاوز ذلك إلى تهمـيز ماليس بمـهموز أصلاً ، فكـانوا يهمزون الـهاء ويهمزون الـواو والياء ، ولذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر » [2] .

---

(١) الصوت الأنزلاقى glide consonant مصطلح يطلـق على صوتى العلة الواو والياء، ويطـلق عليهما كذلك مصطحـا : أنصاف الحركات semi-vowels وأنصاف السواكن semi-consonant وهذان الصوتان يـأتيان إما مسبـوقين أو متبعوين بـحركة أو يتوسطان بـين حركتين . وسمى هـذان الصوتان انزلاقين لأنهـما قريبين من الضمـة والكسـرة، فعند الـنطق بالواو (w) يرتفـع مؤخر اللـسـان فى اتجاه الحنك اللين (الطبق) عند موضع النطق بالضمة (u) ويصحب ذلك استدارة تامة للشفتين . وبانزلاق اللـسان من موضـع النطق بالضمة أو إليه ينشـأ الأثر السمعى للصامت الانزلاقـى أو شبه الحركة الواو (w) . أما عند النطق بالياء فإن ذلك يتطلب صعود مقدمة اللـسان فى اتجاه الحنك الصلب (الغار) إلى موضع النطـق بالكسرة (i) وبانزلاق الـلسان من هذا الموضـع أو إليه ينشأ الأثـر الـسمعى للـصامت الانزلاقى أو شبه الحركة الياء (y). دراسة الـسمع والكلام ١٨٢ - ١٨٣ من خلال التعريـف السابق نلاحظ أن الحركة المصاحبة للواو والياء إما أن تكون قصيرة أو طويلة .

(٢) الأصوات اللغوية ٩٨ .

كما يقول فى موضع آخر عن ظاهرة النبر التى لاحظها عيسى بن عمر فى نطق تميم :

« أما النبر فلعهم أرادوا به تلك العملية النطقية التى مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توتراً شديداً ، وهذه هى الظاهرة التى يمكن أن تطلق عليها التهميز glottalization أى إيثار الهمز فى كثير من الكلمات، وقد لاحظ عيسى بن عمر هذه الظاهرة بين تميم والتى تمثل فى مثل هذه الروايات القبائل البدوية ، ولا سيما حين تُقَابل بقريش أو الحجاز .

أى أن اللغويين الأولين من أمثال عيسى بن عمر قد لاحظوا فى نطق الأعراب أمراً عجيباً هو توتر الحنجرة بشكل ظاهر مع كل همزة أصلية، وكذلك مع مايشبه الهمزة من أصوات كالهاء والياء والواو. فمالوا إلى نبر الهاء وقالوا فى (هَزَّ) : (أزَّ) ، كما مالوا إلى نبر حروف المد فقال رؤبة فى (العالم) : (العألم) . وظهر أثر هذا فى قراءة الأعراب لآيات كثيرة ، منها : « إِعاء أخيه» بدلاً من : «وِعاء أخيه» ، «أُجُوهم مسودة» بدلاً من : «وجوههم مسودة » ، «خُطُؤات » بدلاً من : «خطوات»، « تفاؤت » بدلاً من : «تفاوت» ، « فتأمموا صعيداً » بدلاً من : «فتيمموا صعيداً» ، «معائش» بدلاً من: «معايش» ، «فإما ترئن من البشر أحداً » بدلاً من « فإما ترين» ، « اشترؤا الضلالة » بدلاً من : «اشتروا الضلالة » ، «أتتخذنا هُزُؤاً » بدلاً من : «هزُواً » ، «على سُؤْقِه» بدلاً من : « على سُوْقِه » .

وهكذا اتسع مجال النطق بما يشبه الهمزة لدى البدو ، ولم يعد مقصوراً على ما هو مهموز أصلاً ، ولا غرابة لذلك أن سموا بأصحاب النبر » [1].

---

(١) السابق ٩٩ .

(٥) قلب الواو تاء .

ورد قلب الواو تاء فى كتاب البيان فيما اشتق من وزن افتعل . ويمكن التمثيل لذلك بما يأتى :

١ -. يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ٢» .

« المتقين أصله: (مُوْتَقِيين) على وزن مُفْتَعِلين، من: (وقيت) فأبدلوا الواو تاء ، وأدغمت فى تاء الافتعال ، فصارت تاء مشددة . . . » (١).

ولم يذكر لنا ابن الأنبارى السبب فى قلب الواو تاء فى اسم الفاعل السابق المجموع جمع مذكر سالماً . واسم الفاعل هذا مشتق من الفعل (اتقى) كما ذكر ابن يعيش ، وأصله : (اوتقى) على وزن افتعل ، فقلبوا الواو تاء وأدغموها فى تاء افتعل ، ويرى أنهم فعلوا ذلك لأنهم لو لم يقلبوا هذه الواو تاء لوجب عليهم قلبها ياء إذا انكسر ماقبلها ، نحو : ايتعد وايتزن وايتلج ، وفى الأمر : ايتعدْ وايتزنْ وايتلجْ . وإذا فتح ما قبلها وجب عليهم قلبها ألفاً ، نحو : ياتعد وياتلج، وذلك على لغة من يقول فى : يوجل : (ياجل)(٢) وإذا ضم ماقبلها وجب عليهم ردها إلى أصلها وهو الواو، نحو: مُوْتَعِد ومُوْتَزِن ، ثم يقول ابن يعيش بعد ذلك . «ولما رأوا تغير مصيرها فى تغيرها لتغير أحوال ماقبلها قلبوها إلى التاء لأنها حرف جلد قوى لايتغير بتغير أحوال ماقبله، وهو قريب المخرج من الواو ، وفيه همس يناسب لين الواو ، ليوافق لفظه لفظ ما بعده ، فدغم فيها ويقع النطق بهما دفعة واحدة» (٣).

---

(١) البيان ٤٦/١ .

(٢) هذه لغة بنى الحارث بن كعب ، حيث يحولون الصوت المركب (aw) و (ay) إلى فتحة طويلة (aa) فيقولون : ياتزن فى (يوتزن) وياءس فى (ييأس) . انظر التطور اللغوى ٨١ - ٨٢

(٣) شرح المفصل ٣٦/١٠ .

وعلى هذا نستطيع أن نقول إن قلب الواو تاء فى اسم الفاعل السابق (متقين) وإدغامها فى تاء الافتعال من باب الحمل على الفعل المشتق منه وهو (اتقى) وذلك حتى يطرد الباب على وتيرة واحدة .

٢ - ويقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ «سورة المائدة : آية ٨» «التقوى مؤنثة ، وأصلها: (وَقْيا) لأنها من (وَقَيْتُ) إلا أنهم أبدلوا من الواو تاء ، كما قالوا فى : تُجَاه وتُرَاث وتُهَمَة وتُخَمَة ، فأبدلوا من الياء واواً ، لأن كل ماكان اسماً ولامه ياء وهو على فَعْلَى فإنه تقلب ياؤه واواً » [(١)].

يُفْهَم مما سبق أن كلمة التقوى فيها تغييران : الأول : قلب الواو تاء كما فى كلمات مثل : تجاه وتراث وتهمة وتخمة ، وأصلها : وُجاه ووُراث ووُهَمة ووُخَمة ، لأنها جميعها من : وجه وورث ووهم ووخم .

والثانى : قلب الياء واواً لوقوعها لاماً فى اسم على وزن فَعْلَى .

٣ - ويقول فى موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى : ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ «سورة آلة عمران : آية ٢٨» .

«تقاة أصلها : (وُقَيَة) فأبدلوا من الواو تاء ومن الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها ، فصارت : تُقَاة » [(٢)].

ويُفْهَم كذلك مما سبق أن فى كلمة (تقاة) تغييرين ، أولهما : قلب الواو تاء كما حدث فى الكلمات السابقة تراث وتجاه وتهمة وتخمة . وثانيهما : قلب

---

(١) البيان ١/ ٢٨٥ .

(٢) السابق ١/ ١٩٩ .

الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها : و(تقاة) على وزن فُعَلَة جمع تكسير ومفردها (تُقِيّ) وأصلها (وَقِيّ) .

والحق أن قلب الواو تاء في وزن افتعل وما اشتق منه ليس لسبب صوتى ؛ إذ الصفات الصوتية فى كلا الصوتين مختلفة، فالواو : شبه صائت شفوى احتكاكى مجهور ، أما التاء فصوت صامت أسنانى انفجارى مهموس[1] . إذن هما لايشتركان فى أى من الصفات الصوتية السابقة وهذا يعنى أن القلب ليس لسبب صوتى .

وأرى أن المتكلم قد آثر تحويل الصوت الانزلاقى أو الصوت المركب[2] (iw) فى الفعل (اوتقى) وكذلك الصوت الانزلاقى (uw) فى اسم الفاعل (موتقين) إلى صوت قطعى هو (التاء) . والذى حدا بالمتكلم إلى ذلك شيئان :

الأول : أن الصوت التالى مباشرة (تاء)، ومن ثم يدغم الصوتان المتماثلان، وينتج عنهما صوت واحد ينطق به دفعة واحدة .

والثانى : أن التاء صوت قوى لايتأثر بما قبله من حركات كما تتأثر الواو . وهذان الشيئان أو الأمران واضحان من قول ابن يعيش السابق ذكره.

وأما قلب الواو تاء فى (التقوي) و (تقاة) فيمكن حمله على الفعل المشتقين منه وهو اتقى ، وأصله : (اوتقى) .

أما بالنسبة للكلمات الواردة فى تعليق ابن الأنبارى السابق ، وهى : تجاه وتراث وتهمة وتخمة فلها تفسيران كما أرى :

---

(١) علم اللغة مقدمة القارئ العربى١٥٥ و ١٨٠ .

(٢) الصوت المركب هو صوت انزلاقى يتضمن انزلاقاً مقصوداً ، إذ تبدأ أعضاء النطق متخذة الوضع الخاص بصائت من الصوائت ثم تنتقل مباشرة نحو الوضع الخاص بصائت آخر . ويتميز الصوت المركب بأنه يتكون من مقطع واحد، أى أن الانزلاق أو الانتقال من الصائت الأول إلى الصائت الثانى يتم بدفعه واحدة من النفس . (علم اللغة مقدمة للقارئ العربى ١٨٥) .

أولهما: أن تحمل على أساس أن المتكلم بهذه الكلمات آثر استبدال الواو المحركة بالضمة (الصوت الانزلاقى uw) بصوت قطعى هو (التاء) لأن الواو والضمة ثقيلان . ومن المعروف - كما ذكر العلماء من قبل - أن الضمة من الواو ، فإذا كانت الواو محركة بضمة فهذا كما لو أن الكلمة مبدوءة بواوين . وبهذا تكون محمولة على وزن افتعل ومشتقاته كما ذكرنا من قبل .

وأما التفسير الثانى فهو أن تُحْمَل على أنها من القياس الخاطئ على الفعل تَبِعَ يَتْبَعُ [١]. ويمكن توضيح ذلك على النحو التالى :

١ - تُجاه : وهوالوجه الذى يُقْصَد، وأصله : وُجاه ، من الفعل : وجه، ثم قِيس الفعل خطأ على الفعل تَبِعَ ، فظُنَّ أن الواو أصلها تاء ؛ لأن الفعلين على وزن واحد، فصار الفعل : تُجِهَ يَتْجَهُ على نمط الفعل : تَبِعَ يَتْبَعُ [٢].

٢ - تُراث : أى الإرث ، أصله : وُراث ، من الفعل : وَرِثَ ، ثم قيس خطأ على ، تَبِعَ يَتْبَعُ ، فصار : تَرِثَ يَتْرَثُ ، على نمط : تَبِعَ يَتْبَعُ .

٣ - تُهَمَة : أى الاتهام ، أصله : وُهَمَة من الفعل وَهِمَ ، ثم قيس خطأ على تَبِعَ يَتْبَعُ ، فصار : تَهِمَ يَتْهَمُ على نمط : تَبِعَ يَتْبَعُ [٣].

٤ - تُخَمَة : داء بسبب الطعام الوخيم، أى الثقيل الذى لا يُهْضَم، من الفعل : وَخِمَ ، ثم قيس خطأ على : تَبِعَ يَتْبَعُ، فصار : تَخِمَ يَتْخَمُ على نمط : تَبِعَ يَتْبَعُ .

---

(١) انظر نظرية فى القياس الخاطئ : التطور اللغوى ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) يمكن أن يكون قلب الواو تاء فى (تجاه) كذلك من باب الحمل على الفعل المشتق منه الذى على وزن افتعل ، وهو : (اتجه إليه) اى : اقبل بوجهه عليه . والأصل (اوتَجه).

(٣) يمكن أيضاً أن يكون قلب الواو تاء من الحمل على الفعل المشتق منه على وزن افتعل ، وهو (اتهم) وأصله : (اوتَهم) .

(٦) قلب الألف ياء

تقلب الألف ياء فى الاسم المقصور عند الإضافة إلى ياء المتكلم فى لغة هُذَيل . يقول ابن الأنبارى تعليقاً على قوله تعالى : ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٣٨» .

« قُرِئَ (هُدَيّ) وذكر أنها قراءة النبى ﷺ[١] ، ووجه هذه القراءة : أنه قلب الألف ياء وأدغمها فى ياء المتكلم ؛ لأن ياء المتكلم لايكون قبلها إلا مكسوراً ، فجعل قلبها إلى الياء لأنها من جنس الكسرة »[٢].

يفهم من تخريج ابن الأنبارى للقراءة السابقة أن الاسم المقصور (هدى) قد أضيف إلى ياء المتكلم ، ومن المعروف أن الاسم المضاف إلى ياء المتكلم يحرك فيه الحرف الذى يسبق ياء المتكلم بالكسرة ، وهى التى تعرف بحركة المناسبة ، ولما كان آخر الاسم المقصور (هدى) ألف لم يمكن كسرها لأنها حرف تقدر عليه الحركة ، فقلبت ياء لأن الياء من جنس الكسرة .

وماذكره ابن الأنبارى ليس هو ماعليه العربية الفصحى ، لأن الاسم المقصور عندما يضاف إلى ياء المتكلم فيها فإن ألفه تبقى ولا تقلب ياء كما هى الحال فى القراءة السابقة ، وما فعل فى هذه القراءة هو ماعليه أهل هذيل فى لغتهم كما نسبه إليهم بعض النحاة .

ويرى الدكتور / عبد الجواد الطيب أن الألف لم تقلب ياء عند الإضافة إلى ياء المتكلم عند هزيل ، إنما هذه الياء هى الأصل فى لغتهم، وهذه الياء لم تتحول عندهم إلى ألف كما فى الفصحى ، وهذا يعنى أن ألف المقصور ياء فى الأصل ، وأن هذيلاً حافظت عليها . يقول :

---

(١) فى معجم القراءات ١/ ٨٧ أنها قراءة النبى ﷺ ، وقرأ به : عاصم الجحدرى وعبد الله بن أبى اسحق ، وعيسى بن عمر ، وأبو الطُفَيل .

(٢) البيان ١/ ٧٦ .

«لم تقلب الألف ياء ، إنما الياء هذه أصل ، وكذلك الواو فى الاسم المقصور، وذلك قبل أن تقلب هذه الواو والياء ألفاً . من ذلك قولهم: (أَفْعَوْ) يريدون : أفعى ، و (قَفَيْ) يقصدون : قفا ، و (عَصَوْ) فى: عصا ، و(هُدَىْ) فى : هدى .

وعند الإضافة إلي ياء المتكلم تدغم الياء في الياء ، مثل : بُشْرَىْ تصير : (بُشْرَيّ) وتقلب الواو ياء في الكلمات الواوية، وذلك لاجتماع الواو والياء وسبق إحداهما بالسكون، ثم تدغم فى ياء المتكلم، مثل: عَصَوْ، فتصير إلى : (عَصَيّ) . وهذه هى لغة هذيل كما نسبها إليهم كثير من كتب اللغة والنحو والأدب، وقد وردت الرواية بذلك عنهم عن كثير من الرواة واللغويين القدامى كالرياشى وغيره .

وقد ورد لهذه اللغة شاهد نحوى من شعر أبى ذؤيب فى كتب اللغة والنحو، وهو قوله فى رثاء أبنائه :

سَبَقُوا هَوَيَّ وأعنقوا لهواهمُ   فتُخرِّموا ولكلِّ جنبٍ مَصْرَعُ .

وقد شارك هذيلا فى ذلك أيضاً بعض القبائل البدوية، مثل طئ، وكذلك بنو سعد الذين تربى بينهم الرسول الكريم ﷺ»[1].

(١) من لغات العرب - لغة هذيل من ٧٦ إلى ٨٠ .

ثانياً : الإعلال بالنقل

يتناول الإعلال بالنقل كما ورد فى كتاب البيان نقطتين :

الأولى : نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله .

الثانية : نقل حرف مكان حرف آخر . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) نقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله .

تنقل حركة عين المعتل إلى الساكن الذى قبله فى موضعين ، هما :

١ - فى المضارع المبنى للمعلوم والماضى المبنى للمجهول من الأجوف .

أ - فى المضارع المبنى للمعلوم :

يقول ابن الأنبارى عن أصل (يقول) فى قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ «سورة البقرة : آية ٨» .

« يقول أصله : (يَقْوُلُ) على (يَفْعُلُ) بضم العين، فنقلت الضمة عن الواو التى هى العين إلى القاف التى هى الفاء لاعتلالها فى الماضى وهو (قال)؛ لأنه الأصل فى الإعلال فى الكلام »[1].

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق أمران :

الأول: انتقال حركة الواو الواقعة عيناً فى المضارع المبنى للمعلوم إلى الساكن الذى قبلها وهو فاء الفعل، وهذا قانون مطرد لا شذوذ فيه - كما أعلم - وبعد الانتقال وجد أن الواو مجانسة للضمة المنقولة، لذلك بقيت كما هى دون تغيير، هذا هو ظاهر النص السابق، وهو يتفق مع مايشيرون إليه دائماً من مجانسة الواو لما قبلها وإن كنت أختلف معهم فى ذلك وسيُبيَّن فى التعليق النهائى .

---

(١) البيان ١/ ٥٤ .

والثاني : أن الاعتلال بالنقل في المضارع محمول على اعتلال الواو في الماضي، أي بقلبها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها - كما يقولون - لأن الماضي قال وأصله (قَوَلَ). وهذا يعني أن الإعلال بالنقل في المضارع محمول على الإعلال بالقلب في الماضي ، يقول ابن يعيش :

« الذي يدل على أن الماضي هو الأصل في الإعلال ، أنه إذا صَحَّ الماضي صَحَّ المضارع ، ألا ترى أنهم لما قالوا: عَوِر وحَوِل فصححوهما قالوا : يَعْوَر ويَحْوَل ، وعاوِر وحاوِل . فصححوا هذه الأمثلة لصحة الماضي» [1].

كما يشير ابن يعيش إلى أن العكس يمكن أن يحدث ، أي أن الماضي قد يعتل لاعتلال المضارع ، يقول :

« وكما أعلوا المضارع لإعلال الماضي أعلوا الماضي أيضاً لاعتلال المضارع، ألاتراهم قالوا : أغزيت وأدعيت وأعطيت ، وأصلها الواو لأنها من : عزا يغزو ودعا يدعو وعطا يعطو ، فقلبوا الواو فيها ياء حملاً على المضارع الذي هو يغزى ويدعى ويعطي، طلباً لتماثل ألفاظها وتشاكلها من حيث إن حكم كلها جنس واحد » [2].

وأرى أن ماحدث للمضارع (يقول) وأصله (يَقْوُلُ) يمكن رده إلى واحد من أمرين :

الأول : أن الواو ماثلت الحركة المرتفعة اللاحقة (الضمة)، وذلك لورود حرف اللين (الواو) بعد مقطع منغلق بحرف غير لين (حرف صحيح) وبعد المماثلة تلتقي ضمتان قصيرتان ، ثم تتحولان إلى ضمة طويلة [3].

---

(١) شرح المفصل ١٠/٦٦.

(٢) السابق ، الصفحة ذاتها .

(٣) مدخل في الصوتيات ١٨٤ - ١٨٥ .

ى ـَ ق و ـُ ل ـُ > ى ـَ ق ـُ / ـ ل ـ > ى ـَ ق ـُ ـُ ل ـُ .

وهذا التفسير يبين أن الحركة لم تنقل .

والثانـى : أن الضمة نقلـت كما ذكر ابن الأنـبارى من قبل ، ثم مـاثلت الـــواو الضمة السـابقة عليـها فتحولـت إلـى ضمـة مثلها ، فـتلتقى ضـمتان قصيرتان ، فتتحولان إلى ضمة طويلة هكذا :

ى ـَ ق و ـُ ل ـُ > ى ـَ ق ـُ و ل ـُ > ى ـَ ق ـُ / ـُ ل ـُ > ى ـَ ق ـُ ـُ ل ـُ .

ب - فى الفعل الماضى المبنى للمجهول:

يقول ابن الأنـبارى عن أصل (قيل) فى قولـه تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ١١» .

«قيل أصله : (قُوِلَ) فنقلت الكسرة مـن الواو إلى القاف ، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ماقبلها» (١) .

ونقل الكسرة إلى القاف لايكون إلا بعد تسكينها بحذف الضمة لأن الحرف الواحد لايتحمل حركتين مختلفتين، يقول الثمانينى شارحاً ماسبق:

« الأصل : قُوِلَ وبُيِعَ ، فاسـتثقلـوا الكسرة فى الـياء والواو ، فأسـقطوا الضمة من الفاء ، فلـما سكنت الفاء نقلوا إليها كسـرة الياء والواو ، فإن كانت ياء صحـت لسكونـها وانكسـار ماقبلـها، نحو : بِيعَ وهِيبَ. وإن كـانت واواً انقلبت ياء لسكونها وانكسـار ماقبلها ، نحو : قِيلَ وخِيفَ وقِيمَ فى هذا المكان وصِيغَ الخاتم، و﴿سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «سورة الملك : آية ٢٧»(٢) .

---

(١) البيان ١/٥٦ .

(٢) شرح التصريف ٤٤٨ .

ويرى ابن يعيش أن إعلال العين فى المبنـى للمجهول من الأجوف محمول على إعلالها فى المبنى للمعـلوم، حيث إن أصل قال : (قَوَلَ) فقلبت الواو ألفاً لتحركها وانفتاح ماقبلها [١].

ويتضح من خلال مـا سبق أن الماضى المبنى للمجـهول من الأجوف يكون فيه إعلالان؛ أحدهمـا بالنقل والآخر بالقلب، ويـكون فى الأجوف الواوى ، لأن الواو لا تنسجم مع الـكسرة المنقولة فتقلب ياء ، ويـكون فيه إعلال واحد بالنقل فى الأجوف اليائى لأن الياء تنسجم مع الكسرة المنقولة.

وأرى أن هناك واحداً من تفسيرين للماضى المبنى للمجهول قيل، وأصله: (قُوِل) .

الأول :

١ - حذف صـوت اللين (الواو) لـوقوعه بين حـركتين قـصيرتين، أولاهـما الضمة (منخفضة) وثانيتهما الكسرة (مرتفعة) .

٢ - ماثلـت الضمة الـكسرة لارتفاع الـكسرة عن الضـمة فى سلـم الجهر[٢]، فتتحول إلى كسرة مثلها.

٣ - تحولت الحركتان القصيرتان المتماثلتان إلى حركة طويلة [٣].

ق ـُ و ـِ ل ـَ > ق ـُ × ـِ ل ـَ > ق ـِ × ـِ ل ـَ > ق ـِ ـِ ل ـَ

وإذا كان الأحرف يـائياً مثل بِيْعَ وأصلـه (بُيِعَ) فإنه يحدث لـه ماحدث للواوى السابقة :

---

(١) شرح المفصل ١٠/ ٧٤ .

(٢) ترتيب الحركـات فى سلم الجهر هكذا : الـفتحة ← الكسرة الضمة ← فالفتحة هى الأعـلى وتليها الكسرة وأضعفها الضمة . مدخل فى الصوتيات ١٧٨ .

(٣) السابق ١٧٩ .

ب ـُ ى ـِ ع ـَ > ب ـُ × ـِ ع ـَ > ب ـِ × ـِ ع ـَ > ب ـِ ـِ ع ـَ

الثانى :

١ - تماثل الضمة الكسرة فتتحول إلى كسرة مثلها .

٢ - تماثل الواو الكسرة السابقة عليها ، فتقلب ياء .

٣ - تسقط الياء لوقوعها بين حركتين متماثلتين .

٤ - بعد السقوط تلتقى حركتان قصيرتان ، فتتحولان إلى حركة طويلة (كسرة طويلة) .

ق ـُ و ـِ ل ـَ > ق ـِ و ـِ ل ـَ > ق ـِ ى ـِ ل ـَ > ق ـِ × ـِ ل ـَ > ق ـِ ـِ ل ـَ . ويحدث للأجوف اليائى (بِيْعَ) وأصله (بُيِعَ) ماحدث للواوى ماعدا المرحلة الثانية .

ب ـُ ى ـِ ع ـَ > ب ـِ ى ـِ ع ـَ > ب ـِ × ـِ ع ـَ > ب ـِ ـِ ع ـَ

٢ - فى الاسماء التى تشبه الفعل المعتل .

يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمة (معيشة) فى قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ «سورة الأعراف : آية ١٠» .

« معايش جمع معيشة ، وأصل معيشة: (مَعْيِشَة) على وزن: (مَفْعِلَة) إلا أنه نقلت كسرة الياء إلى العين ، والميم فيها زائدة لأنها مَفْعِلَة من العيش» [(١)] .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق أن نقل حركة الياء التى تقع موقع العين إلى الساكن الذى قبلها وهو يقع موقع الفاء ، من باب الحمل على الفعل المضارع المبني للمعلوم من نحو : يقول وأصله (يَقْوُلُ) والميم تقابل الياء في المضارع .

---

(١) البيان ١/ ٣٥٥ .

ومعيشة يمكن أن يكون أصلها مَفْعِلَة أو مَفْعُلَة عند سيبويه . يقول الثمانيني : « فأما معيشة فعند سيبويه يجوز أن تكون : (مَفْعِلَة) أصلها : مَعْيِشَة > فنقلوا كسرة الياء إلي ماقبلها، فثبتت لأنها ساكنة وقبلها كسرة . ويجوز أن تكون : (مَفْعُلَة) أصلها : مَعْيُشَة ، فنقلوا ضمة الياء إلي العين، فسكنت الياء وقبلها ضمة ، فقلب من الضمة كسرة لقرب الياء من الطرف؛ لأنه لايعتد بتاء التأنيث، فقال : مَعِيشَة »[1].

وأرى أن أحد التفسيرين السابقين للمضارع المعتل العين ينطبق على معيشة : وأصلها (مَعْيِشَة) هكذا :

الأول : تماثل الياء حركتها اللاحقة فتقلب كسرة مثلها ، فتلتقي كسرتان قصيرتان ، ثم تتحولان إلي كسرة طويلة .

م ـَ ع ي ـِ ش ـَ ة ـُ ن > م ـَ ع ـِ / ـِ ش ـَ ة ـُ ن > م ـَ ع ـِ
ـِ ش ـِ ة ـُ ن .

الثاني : تنقل الكسرة إلى الساكن السابق ، ثم تماثل الياء الكيرة السابقة فتتحول إلى كسرة مثلها فتلتقي كسرتان ، ثم تتحولان إلى كسرة طويلة :

م ـَ ع ى ـِ ش ـَ ة ـُ ن > م ـَ ع ـِ ى ش ـَ ة ـُ ن > م ـَ ع ـِ /
ـِ ش ـَ ة ـُ ن > م ـَ ع ـِ ـِ ش ـَ ة ـُ ن .

٢ - نقل حرف مكان حرف آخر (قلب مكانى) .

يتمثل ذلك فى اسم الفاعل من الأجوف فى لغة لبعض العرب .

- يقول ابن الأنبارى مبيناً أصل (هار) فى قوله تعالى : **﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾** «سورة التوبة : آية ١٠٩» .

---

(١) شرح التصريف ٤٦٦ .

« أصل هارٍ : (هائر) فقلب كما قالوا : لاثٍ فى : لائثٍ ، وشاكٍ فى : شائكٍ ، ووزنه (فالع) ، فحذفت اليـاء كما حذفت فى نحو : قاضٍ ورامٍ فى الرفع والجر» [1].

يفـهم مما سـبق أن هارٍ اسـم فاعل مـن الأجوف الواوى (هـار) . ومن المعروف أن اسم الفاعـل من الأجوف الواوى أو اليائى الثلاثى يـبنى على وزن فاعل ، أى كـان يجب أن يكـون : (هائر)، غير أنـه قبل أن يصـل إلى هذه الصورة، وفراراً من قلب الواو أو الياء همـزة نقلوا العين إلى موقع اللام وهى لغة لبعض العرب[2] ، ثم أعل إعـلال اسم الفاعـل من المعتـل الآخر (قاض ورام) ونحوهما فى الرفع والجر .

وقد بنى ابن الأنبارى تحليله لأصل (هار) على ماورد فى كلام العرب من نحو قـولهم : لاث فى : لائث ، وشـاكٍ فى : شائكٍ . وقد أشـار إلى ذلك سيبـويه ، يقول : «وأما الخلـيل فكان يزعـم أن قولك جاءٍ وشاءٍ ونحـوهما، اللام فيـهن مقلـوبة ، وقال : ألزموا ذلـك هذا واطرد فيـه؛ إذ كانوا يقـلبون كراهية الهمزة الواحدة ، نحو قولهم للعجاج :

لاثٍ به الأشاءُ والعُبْرِىُّ

وقال لطريف بن تميم العنبرى

فتعرفونى أننى أنا ذاكم شاكٍ سلاحى فى الحوادث مُعْلِمُ [3].

ويشرح الثمانينى ما حدث لقاضٍ، والذى حُمِل عليه هارٍ ولاثٍ وشاكٍ بعد نقل العين فيها إلى موضع اللام ، بقوله :

---

(١) البيان ١/٤٠٦ .

(٢) شرح الشافية ٣/١٢٩ .

(٣) الكتاب ٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨ .

«قولهم: هذا قاض، ومررت بقاض. الأصل فيه: (قاضيٌ) فى الرفع و (قاضيٍ) فى الجر، فاستثقلوا الضمة والكسرة على الياء الخفيفة التى قبلها كسرة فأسقطوها، فبقيت الياء ساكنة والتنوين بعدها ساكن، فاجتمع ساكنان: الياء والتنوين، فأسقطت الياء لالتقاء الساكنين ، وكانت أولى بالإسقاط لأنها قبلها كسرة تدل عليها وتُغْنِى عنها، ولم يجز أن يحركوها لأنهم قد فروا من حركتها، ولم يجز أن يحركوا التنوين لالتقاء الساكنين، لأن التنوين إنما يحرك بعده لا لساكن قبله» [1].

وهذا يعنى أن الزائد وهو التنوين قد غلب الأصلى وهو الياء ؛ لأن الزائد هنا ذو معنى ، يقول ابن جنى فى باب غلبة الزائد للأصلى :

« أما إذا كان الزائد ذا معنى فلا نظر فى استبقائه وحذف الأصلى لمكانه، نحو قولهم : هـذا قاضٍ ومعطٍ . ألا تراك حذفت الياء التى هـى لام للتنوين؛ إذ كان ذا معنى، أعنى الصرف ؟ » [2].

من خلال ما سبق يمكن أن نبين ما حدث لـ : هـارٍ وشاكٍ ولاثٍ كما يري ابن الأنبارى وغيره من العلماء على النحو التالى :

١ - الصيغة الأصلية فى الرفع والجزء هى : هاوِر / شاوِك / لاوِث

٢ - تنقل العين إلى موضع اللام : هارِو / شاكِو / لاثِو .

٣ - تقلب الواو ياء لتطرفها إثر كسرة : هارِى / شاكِى / لاثِى .

٤ - تحذف الضمة والكسرة استثقالاً لهما على الياء: هارِيْن / شاكِيْن/ لاثِيْن .

٥ - يلتقى ساكنان : الياء والتنوين ، فحذف الياء : هارٍ / شاكٍ / لاثٍ .

وأرى أن ماحدث للكلمات السابقة على النحو التالى :

١ - الصيغـة الأصلية في الرفع والجر كـما ذكروا : هـ ـَ ـَ و ـ ـِ ر ـُ ـِ ن / ش ـَ ـَ و ـ ـِ ك ـُ ـِ ن / ل ـَ ـَ و ـ ـِ ث ـُ ـِ ن .

---

(١) شرح التصريف ٣٨٦ .

(٢) الخصائص ٢/٤٧٩ .

٢ - تنقل العين إلي موضع اللام كما ذكروا : هـ ـَ ـَ ر ـِ و ـُ ن / ش ـَ ـَ ك ـِ و ـُ ن / ل ـَ ـَ ث ـِ و ـُ ن .

٣ - تماثل ضمة الواو في حالة الرفع كسرة الحرف السابق عليها ، فتقلب كسرة مثلها (مماثلة تقدمية) هـ ـَ ـَ ر ـِ و ـِ ن / ش ـَ ـَ ك ـِ و ـِ ن / ل ـَ ـَ ث ـِ و ـِ ن . في هذه المرحلة تشبه حالة الرفع حالة الجر .

٤ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين : هـ ـَ ـَ ر ـِ × ـِ ن / ش ـَ ـَ ك ـِ × ـِ ن / ل ـَ ـَ ث ـِ × ـِ ن .

٥ - تلتقي كسرتان قصيرتان فتتحولان إلي كسرة طويلة : هـ ـَ ـَ ر ـِ ـِ ن / ش ـَ ـَ ك ـِ ـِ ن ل ـَ ـَ ث ـِ ـِ ن .

٦ - تقصر الكسرة الطويلة لوقوعها في مقطع مغلق[1] : هـ ـَ ـَ ر ـِ ن / ش ـَ ـَ ك ـِ ن / ل ـَ ـَ ث ـِ ن .

ملاحظة :

يجوز أن يعامل اسم الفاعل السابق الذى نقلت عينه إلى موضع اللام معاملة الصحيح لكثرة الاستعمال ، ومفهوم هذه اللغة التى ذكرها ابن الأنبارى أن العين محذوفة كالسابق ، غير أنه لايعامل معاملة الناقص من نحو : قاضٍ ورامٍ ، ونحوهما ، إنما يعامل معاملة الصحيح، أى تظهر عليه الضمة فى الرفع والفتحة فى النصب والكسرة فى الجر ، هذا هو مفهوم كلام ابن الأنبارى الذي ذكره عقب نصه السابق :

(١) أشار إلى تقصير الحركة الطويلة فى المقطع المغلق المستشرق الألمانى بروكلمان، يقول : « وفى المقاطع المغلقة لاتتحمل اللغات السامية أصلاً إلا الحركات القصيرة ، فإذا جاء فى بناء الصيغة حركة طويلة فى مقطع مغلق فإنها تقصر ، وذلك مثل : qāmta < qamta < qawamta : قُمْتُ (عبرى) .... ولا تتحمل العربية القديمة الحركة الطويلة إلا فى المقاطع المغلقة عن طريق التضعيف ، مثل : daallūna = ضالون . وكذلك فى تلك المقاطع التى لم تُغلق إلا بعد سقوط حركة آخر الكلمة فى الوقت ، مثل : daallūn = ضالون » . فقه اللغات السامية ٤٣ - ٤٤ .

«وقد يجوز ألا تقدر المحذوف لكثرة الاستعمال، ويجرى مجرى الصحيح، كقولهم : يومٌ راحٌ ، وكبشٌ ضافٌ » [1].

وهذا على خلاف مايراه سيبويه ، فعنده فى هذه اللغة أن العين لم تنقل إلى موضع اللام، بل باقية كما هى، ثم قلبت همزة كما هى الحال فى اسم الفاعل المتعارف عليه فى الفصحى، ثم حذفت الهمزة. يقول [2]:

« وأكثر العرب يقولون : لاثٌ وشاكٌ سلاحه ، فهؤلاء حذفوا الهمزة» أى أن الذى حدث هكذا :

لاوِثٌ / شاوِكٌ > لائِثٌ / شائِكٌ > لاثٌ / شاكٌ .

أما ابن يعيش : فيتفق مع سيبويه فى أنه لانقل للعين إلى موضع اللام، ويختلف معه فى قلب العين همزة ثم حذفها ، فهو يرى أن العين قد قلبت ألفاً فى الماضى لتحركها وانفتاح ما قبلها ، ثم جاءت ألف فاعل ، فالتقى ألفان وهما ساكنان ، فحذفت الثانية وهى العين ، ولم تحذف الأولى لأنها تدل على اسم الفاعل، أى ذات معنى .

يقول : «تقول : هذا شاكٌ ولاثٌ ، ورأيت شاكاً ولاثاً ، ومررت بشاكٍ ولاثٍ . ووجه ذلك أن الماضى منه : شاك ولاث ، فسكنت العين بانقلابها ألفاً ، وجاءت ألف فاعل ، فالتقت ألفان ، فحذفت الثانية لأنها أبلغ فى الإعلال والتخفيف » [3].

والفعل : شاك / لاث > شااك / لااث > شاك / لاث .

ويتفق الرضى مع ابن يعيش فى أنه لانقل للعين إلى موضع اللام، ويرى أن العين قد قلبت ألفاً فى اسم الفاعل، وليس فى الفعل كما ذكر ابن يعيش ،

---

(1) البيان ١/٦-٤٠ .

(2) الكتاب ٤/٣٧٨ .

(3) شرح المفصل ١٠ / ٧٧ .

فالتقى ألفان فحذفت الألف الثانية التى هى العين، ولم يحركوها، لأنهم لو حركوها لتحولت همزة وهم قد قلبوا ألفاً ليقروا من الهمزة. يقول :

« . . . فكأنهم قد قلبوا العين ألفاً ، ثم حذفوا العين للساكنين ، ولم يحركوها فراراً من الهمزة ، والظاهر أن المحذوفة هى الثانية ، لأن الأولى علامة الفاعلية » [1].

شاوِكٌ / لاوِثٌ > شاالكٌ / لااثٌ > شاكٌ ولاثٌ .

ويلاحظ فى تحليل ابن يعيش والرضى أن الزائد وهو ألف اسم الفاعل قد تغلب على الأصلى وهو العين؛ لأن الزائد هنا قد جاء لمعنى وليس كذلك العين.

وأرى أن ماحدث لاسم الفاعل : هارٌ / شاكٌ / لاثٌ على النحو التالى :

١ - الصيغة الأساسية : هـ ـَ ـَ و ـِ ر ـُ ن / ش ـَ ـَ و ـِ كٌ / ل ـَ ـَ و ث ـُ ن .

٢ - تماثل حركة الواو الفتحة الطويلة السابقة : هـ ـَ ـَ و ـَ ر ـُ ن / ش ـَ ـَ و ـَ ك ـُ ن / ل ـَ ـَ و ـَ ث ـُ ن .

٣ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين، ثم تلتقى حركتان من جنس واحد .

هـ ـَ ـَ × ـَ ر ـُ ن / ش ـَ ـَ × ـَ ك ـُ ن / ل ـَ ـَ × ـَ ث ـُ ن.

٤ - تتحول الحركتان إلي حركة طويلة [1].

هـ ـَ ـَ ر ـُ ن / ش ـَ ـَ ك ـُ ن / ل ـَ ـَ ث ـُ ن .

---

(١) شرح الشافية ٣/١٢٩ .

(١) إذا كانت الحركتان قصيرة وطويلة من جنس واحد انجزتا حركة طويلة، نظراً إلى أن العربية لاتفرق صوتمياً إلا بين الحركة القصيرة والحركة الطويلة بقطع النظر عن طول مدى الطويلة . (مدخل فى الصوتيات ١٧٨) .

ثالثاً: الإعلال بالحذف

الإعلال بالحذف كما ورد فى كتاب البيان نوعان ؛ هما :

الأول : حذف الحرف

الثانى : حذف الحركة . وفيما يلى بيان ذلك :

(١) حذف الحرف

ورد حذف الحرف فى موضعين ؛ هما :

١ - حذف الواو من مضارع الفعل المعتل الأول (المثال) ومصدره.

أ - حذف الواو من مضارع المعتل الأول.

يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (اليسع) فى قوله تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «سورة الأنعام: آية ٨٦» .

« قيل الأصل فى (اليسع) بلام واحدة (يَسَع) وهو فعل مضاع سمى به وأدخل عليه الألف واللام، والأصل فى يسع : (يَوْسَعٌ) وأصل يَوْسَعُ : (يَوْسِعُ) لأنه مما جاء على فَعِل يَفْعِل، نحو : وَطِئ يَطَأ ، وأصله: (يَوْطِئ)إلا أنه فتحت العين لمكان حرف الحلق، وحذفت الواو منه على تقدير الأصل كما حذفت فى يَعِد ويَزِن ، وحذفت فى يعد ويزن لوقوعها بين ياء وكسرة ، وذلك مستثقل » (١).

يُفْهَم مما سبق أن العلة فى حذف الواو من مضارع المعتل الأول تكمن فى أن الواو وقعت بين ياء وكسرةَ(٢)، فكأن المضارع هنا على وزن يَفْعِلُ وماضيه قد

---

(١) البيان ١/ ٣٣٠

(٢) قيل الكسرة ياء صغيرة ، فكأن الواو وقعت بين ياءين فثقلت عليهم. (شرح التصريف ٣٧٦).

يكون على فَعَلَ كوَعَدَ يَعدُ ، أو على وزن فَعِلَ كوَسِعَ يَسَعُ والأصل : (يَوْسِعُ) ووَطِئَ يَطَأُ والأصل (يَوْطِئُ) وتحولت الكسرة فى مضارع الفعلين إلى فتحة لأن اللام حرف حلق، فكأن حذف الواو هنا بالنظر إلى الأصل، وهذا يعنى أن الكسرة فى حكم المنطوق بها .

ويشرح ابن يعيش ماحدث ليعد ويزن ونحوهما بقوله :

«الأصل : يَوْعِد ويَوْزِن ، فحذفت الواو لوقوعها بين ياء وكسرة ، فحذفت استخفافاً وذلك أن الواو نفسها مستقلة، وقد اكتنفها ثقيلان الياء والكسرة، والفعل أثقل من الاسم وما يعرض فيه أثقل مما يعرض فى الاسم، فلما اجتمع هذا الثقل آثروا تخفيفه بحذف شيء منه، ولم يجز حذف الكسرة لأنه بها يُعْرَف به وزن الكلمة ، فلم يبق إلا الواو ، فحذفت وكان حذفها أبلغ فى التخفيف لكونها أثقل من الياء والكسرة مع أنها ساكنة ضعيفة، فقوى سبب حذفها ، وجعلوا سائر المضارع محمولاً على يعد ، فقالوا : تَعِدُ ونَعِدُ وأَعِدُ ، فحذفوا الواو وإن لم تقع بين ياء وكسرة لئلا يختلف بناء المضارع ويجرى فى تصريفه على طريقة واحدة مع ما فى الحذف من التخفيف »[1]. والدليل على أن السبب فى إسقاط الواو وقوعها بين ياء وكسرة أنها لو كانت بين ياء وفتحة أو ضمة لم يجز حذفها، يقول الثمانيتى :

«والعلة فى إسقاطها هى وقوعها بين الياء والكسرة يدلك على ذلك أنها إذا زالت الكسرة بعدها صحت ولم تسقط، نحو قولهم : وَجِلَ يَوْجَلَ ووَحِلَ يَوْحَلُ ووَسِنَ يَوْسَنُ ووَجِرَ يَوْجَرُ ووَضُأَ يَوْضَؤُ . ويضبط هذا كله قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ «سورة الإخلاص : آية ٣» سقطت الواو من (يلد) لوقوعها بين ياء وكسرة، وثبتت فى قوله تعالى : ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ لوقوعها بين ياء وفتحة . وكذلك لو قلت : يُوْعَدُ ويُوْزَنُ لثبتت الواو لوقوع الفتحة بعدها»[2].

---

(١) شرح المفصل ١٠ / ٥٩ .

(٢) شرح التصريف ٣٧٤ - ٣٧٥ .

ويرى الفراء إن حذف الواو ليس لوقوعها بين ياء وكسرة ، وإنما لأن الفعل الموجـودة فيه متـعد ، كما يـرى أن الفعل إذا كـان لازماً لاتحذف منـه الواو، وهاجمه المبرد فى رأيه هذا ، وقد عرض ذلك ابن جنى . يقول :

«قال الفراء : إن الواو إنما حذفت مـن : (يَعِد ويَزِن) لأنها متعديان، قال : وكذلك كل متعد ، قال : ألا ترى أنهم قالوا : وَجِل يَوْجَلُ ووَحِلَ يَوْحَلُ، فأثبتوا الواو لما كان وَجِل ووَحِل غير متعديين ؟

وتعجب أبـو العباس من هذا القـول واستطرفه، وقال : إن التـعدى وغير التعـدى لاوجه لذكره فى هذا المـوضع ، ألا ترى أنهم قـد قالوا : وَقَع يَقَع ، ووَضَع فى الـسير يَضَع ، ووَقَدت النـار تَقِد ، ووَبَل المطر ويَبِل ووَأَل مما كان يحذره - أى نجا - يَئِل ، ونحو ذلك ، فحـذفوا الواو ، وإن لم يكن فى هذه الأفعال فعل متعد .

وأما (يَوْجَل ويَوْحَل) فلم تثبت فيه الواو من قبل أنه غير متعد، إنما ذلك من قبل أنه لاكسرة بعد الواو يجب به لاجتماع الياء معها الحذف»[1].

ب - حذف الواو من مصدر الفعل المعتل الأول

يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (شيَة) فى قوله تعالى : ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ وَلا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لاَّ شِيَةَ فِيهَا﴾ «سورة البقرة: آية ٧١» .

«الهاء فى (شيَة) عوض عن الواو التى هـى فاء الكلمة، وأصله : (وَشْىٌ) لأن ماحذف منه الفاء من هذا النحو عوض الهاء فى آخره، نحو: وَعَدَ وعِدَة ، ووَزَنَ وزِنَة وما أشبه ذلك » [2].

(١) المنصف ١/ ١٨٨ .

(١) البيان ١/ ٩٤ .

يفهم من كلام ابن الأنبارى السابق : أن الأصل فى مصدر المعتل الأول الذى على وزن فَعَلَ يَفْعِلُ أن يكون بلا حذف على وزن فَعْل أى مفتوح الواو ، مثل : وَشَى يَشِى وَشْياً ، ووَعَدَ يَعِدُ وَعْداً ، ووَزَنَ يَزِنُ وَزْناً ، ثم حذفت الواو ولم يصرح بسبب الحذف ، إذ الواو ليست بين ياء وكسرة كما سبق فى الفعل ، والظاهر أن الحذف من باب الحمل على الفعل طرداً للباب على وتيرة واحدة . وبعد الحذف عوض عنها بتاء فى آخر المصدر وكُسِرت العين، فأصبح المصدر على وزن (عِلَة) نحو : شِيَةٌ ، وعِدَةٌ ، وزِنَةٌ .

ويرى ابن يعيش أن الأصل فى المصدر أن يكون مكسور الواو أى على وزن (فِعْل)[1] ثم اعتلت الواو بنقل حركتها إلى العين الساكنة ، فصار على وزن (فِعِل) ثم حذفت الواو لأنها لوبقيت لجيء بهمزة وصل مكسورة، وكان مصيرها سيكون بقلبها ياء لسكونها وانكسار ماقبلها، وكان حذفها لسببين الأول : لأنها مكسورة والكسرة ثقيلة على الواو، والثانى حتى تحمل على الفعل فى الاعتلال يقول : « الذى أوجب حذف الواو هنا أمران، أحدهما : كون الواو مكسورة والكسرة تستثقل على الواو ، والآخر : كون فعله معتلاً ، ألا تراك تقول : قُمْتُ قِياماً ولُذْتُ لِياذاً والأصل: قِواماً ولِواذاً فاعللتهما بالقلب لاعتلال الفعل، ولوصح الفعل لم يعتل المصدر، وذلك نحو قولك: قَاوَمَ قِواماً ولَاوَذَ لِواذاً ، فيصح المصدر فيهما لصحة الفعل لأن الأفعال والمصادر تجرى مجرى المثال الواحد، فاجتماع هذين الوصفين علة حذف الواو من المصدر . فلو انفرد أحد هذين الوصفين لم تحذف له الواو، نحو : الوعد والوزن ، لما انفتحت الواو وزالت الكسرة لم يلزم الحذف وإن كان الفعل معتلاً فى يَزِن ويَدَع ، وقالوا : واددته وِداداً وواصلته وِصالاً ، فالواو ثابتة ههنا وإن كانت الواو مكسورة لاعتلال الفعل . .

---

(١) يبدو لى أن ابن يعيش متأثر هنا بقول ابن جنى : «إنما الزموا مصدر باب وَعْد (فِعْلَة) مكسورة الفاء لتحذف الواو فى المصدر أيضاً استثقالاً لها » المنصف ١/١٩٦ .

واعلم أن إعلال نحو عِدَة وزِنَة إنما هو بنقل كسرة الفاء التى هى الواو إلى العين، فلما سكنت الواو ولم يمكن الابتداء بالساكن ألزموها الحذف لأنهم لو جاءوا بهمزة الوصل مكسورة أدى ذلك إلى قلب الواو ياء لانكسار ماقبلها وسكونها، فكانوا يقولون : ايعْد بياء بين كسرتين، وذلك مستثقل، فصاروا إلى الحذف ، فإذا القصد الإعلال بنقل الحركة والحذف وقع تبعاً » [1].

ويرى الرضى عكس ذلك فعنده أن الواو فى المصدر مفتوحة، أى على وزن (فَعْل)، ويرى أن حذفها ليس واجباً بل هو جائز، فتقول : وَعَد يَعِد وَعْداً وعِدَة لأن المصدر هو الأصل فى الاشتقاق ، والدليل على أن الحذف جائز أن الواو هنا ليست مكسورة، ثم يرى أن حذف الواو من باب حمل الأصل على الفرع وقد حذفت مع حركتها ، فليس فيه نقل الكسرة إلى العين الساكنة ، وبعد الحذف أصبحت الكلمة تبدأ بحرف ساكن وهو العين فحركت بالكسرة لسببين، الأول : أنها الأصل فى تحريك الساكن والثانى حتى تناسب العين عين الفعل المكسورة ، ولأجل هذه المناسبة لم يؤت بهمزة وصل . يقول : «وأما المصدر فلما كان أصل الفعل فى الاشتقاق لم يجب إعلاله بإعلال الفعل، إلا إذا كان جزءٌ مُقْتَضِى الإعلال فيه ثابتاً كالكسرة فى قيام أو كان مناسباً للفعل فى الزيادة المصدرة كإقامة واستقامة، فلهذا جاز حذف الواو من مصدر يعد وإثباتها ، نحو : عِدَة ووَعْد ، إذ ليس فيه شئ من علة الحذف ولا المناسبة المذكورة ، وإذا حذفت منه شيئاً بالإعلال لم تذهل عن المحذوف رأساً ، بل تعوض منه هاء التأنيث فى الآخر. كما فى : عدة واستقامة ؛ وذلك لأن الإعلال فيه ليس على الأصل إذ هو إتباع الأصل للفرع، وإنما كسر العين فى عِدَة وأصله (وَعْدٌ) لأن الساكن إذا حرك فالأصل الكسر وأيضاً ليكون كعين

(١) شرح المفصل ١٠/٦٦ .

الفعل الـذى أجرى هـو مـجراه؛ فلـهذا لم يجتلب همزة الـوصل بعد حذف الفاء »[1].

نخلص مما سبق إلى أن الأصل فى المصدر أن يكون مفتـوح الواو على وزن (فَعْل) كما يرى ابن الأنبارى والرضى ، وأن كسـر العين تفسيره واحد من أمرين :

الأول : أن هذه الكسرة منقولة من الفـاء كما يرى ابن يعيش ، إذ الفاء قد ألزموها الكسر حتى تحذف كما حذفت فى الفعل كما يرى ابن جنى فى الهامش السـابق، وحتى يـطرد البـاب على وتيـرة واحدة، وعلـى رأى ابن يعيـش فإن المصدر يـكون فيه إعـلالان؛ أحدهما بالـنقل (نقـل الكسرة) والآخـر بالحذف (حذف الواو) .

والثانى : أن هذه الكـسرة ليسـت منقولـة، إنما هى حركـة عارضة بسـبب سكون العين، إذ بعد حذف الواو أصبحت الـعين، ساكنة، وقد جيء بالكسرة لأنها الأصل فى تحريك الساكن وحتى تناسب حركة الفاء فـى المضارع فتحذف كما حذفت فيه، ويكون فى المصدر هنا إعلال واحد فقط هو إعلال بالحذف، من باب حمل الأصل هو المصدر على الفرع وهو الفعل ، كما يرى الرضى.

٢ - حذف لام المعتل الآخر عند إسناده إلى واو الجماعة

يقول ابن الأنبارى مبيناً أصـل كلمة (اشْتَرَوْا) فى قوله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِيـنَ اشْتَرَوُا الـضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِيـنَ﴾ «سورة البقرة : آية ١٦» . « أصل اشتروا: (اشْتَرَيُوا) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وحذفت الألف لسكونها وسكـون واو الجماعة بعدها، وكان حذفها أولى لأن الواو دخلت لمعنى ، والألف ما دخلت لمعنى، فكان حذفها أولى .

---

(١) شرح الشافية ٣/ ٨٩ .

وقيل : استثقلت الضمة على الياء فحذفت تخفيفاً ، فاجتمع ساكنان الياء والواو ، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين، وكانت أولى بالحذف لما قد بينا فى الوجه الأول، وهو أقيس القولين ؛ وحُرِكت الواو لالتقاء الساكنين، ولم تُحَرك بالكسر على الأصل فى التحريك لالتقاء الساكنين، فرقاً بين واو الجمع والواو الأصلية، نحو : لو استطعنا . وكانت الضمة أولى لثلاثة أوجه:

الأول : أنها واو الجمع ، فضُمت كما ضمت النون فى (نحنُ) .

والثانى : أنها حركت بمثل حركة الياء المحذوفة قبلها .

والثالث : لأن الضمة فى الواو أخف من الكسرة التى هى الأصل؛ لأنها من جنسها» [1].

– ويقول فى موضع آخر مبيناً أصل كلمة (تَنْسَوْن) فى قوله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٤٤» «تَنْسَوْنَ أصله : (تَنْسَيُون) فتحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً ، فاجتمع ساكنان الألف والواو ، فحذف الألف لالتقاء الساكنين.

وإن شئت أن تقول : استثقلوا الضمة على الياء فحذفوها ، فبقيت الياء ساكنة والواو ساكنة، فحذفت الياء لالتقاء الساكنتين، وكانت الياء أولى لما بينا فى : اشتروا » [2].

يُفْهَم مما سبق أن أصل : اشْتَرَوْا وتَنْسَوْنَ هو : اشْتَرَيُوا وتَنْسَيُونَ ، وحتى وصول هذا الأصل إلى الصورة المنطوقة حدث له واحد من أمرين:

الأول : تقلب الياء ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها : اشْتَرَاوْا / تَنْسَاوْنَ، فيلتقى ساكنان : الألف وواو الجماعة ، فتحذف الألف وإن كانت حرفاً أصلياً

(١) البيان ١/ ٥٨ (٢) السابق ١/ ٧٩ .

(١) السابق ١/ ٧٩ .

دون الواو ؛ لأن الواو جاءت لمعني، بينما الألف ليست كذلك ، فصار الفعلان اشْتَرَوْا / تَنْسَوْنَ .

والثانى : تحذف حركة الياء وهى الضمة للاستثقال ؛ إذ ليست من جنس الياء ، فيلتقى ساكنان : اشْتَرَيْوْا / تَنْسَيْوْنَ ، فتحذف الياء دون الواو جاءت لمعنى، فصار الفعلان : اشْتَرَوْا / تَنْسَوْنَ. وهذا الوجه هو الرجح عند ابن الأنبارى .

وأختلف مع ابن الأنبارى فى تفسيره السابق، لأن الياء ليست محركة بالضمة ، فحركتها هى واو الجماعة وهى ضمة طويلة ، فليست هذه الضمة الطويلة حرفاً ساكناً مسبوقاً بحركة من جنسها هى الضمة ، وتلك عادة القدماء دائماً وأرى أن ماحدث للفعلين السابقين يمكن أن يكون كالتالى :

- الصورة الأصلية كما ذكر ابن الأنبارى : اشْتَرَيُوْا وتَنْسَيُونَ

(١) ش ت ـَ ر ـَ ى ـُ ـُ / ت ـَ ن س ـَ ى ـُ ـُ ن ـَ .

١ - تحذف الياء ، فتلتقى حركة قصيرة منخفضة (الفتحة) وحركة طويلة مرتفعة (الضمة الطويلة) .

(١) ش ت ـَ / ـَ × ـُ ـُ / ت ـَ ن س ـَ × ـُ ـُ ن ـَ .

٢ - تقلب الحركة الطويلة إلى مايقاربها صوتياً ، فتقلب واواً [1] .

(١) ش ت ـَ ر ـَ و / ت ـَ ن س ـَ و ن ـَ

(٢) حذف الحركة .

ويكون هذا فى الماضى المبنى للمجهول من الأجوف .

---

(١) انظر ماحدث لما يشبه هذين الفعلين فى : مدخل فى الصوتيات ١٨٠ .

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (قِيل) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ١١» .

«وقيل أصله : (قُوِلَ) فنقلت . الكسرة من الواو إلى القاف فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها . . . وحكى عن بعض العرب إخلاص ضمة القاف ، وحذفت كسرة الواو ، وإبقاء الواو على حالها »[1].

يُفْهَم مما سبق أن حذف الحركة من الماضى المبنى للمجهول من الأجوف (قُوِلَ) أصل (قِيل) قد وقع فى موضعين :

الأول : فى الفاء ، حيث حذفت ضمة القاف، ونقلت إليها حركة الواو وهى الكسرة، فأصبحت الواو ساكنة وقبلها كسرة ، فقلبت ياء :

قُوِلَ > قِوْلَ > قِيْلَ .

وبهذا يكون فى هذا الفعل ثلاثة أنواع من الإعلال : إعلال بالحذف (حذف ضمة القاف) وإعلال بالنقل (نقل كسرة الواو إلى القاف) وإعلال بالقلب (قلب الواو ياء) . وهذا هو ماعليه الفصحي، وقد تحدثنا عن ذلك بالتفصيل فى الإعلال بالنقل.

والثانى : فى العين، حيث حذف كسرة الواو ، وأبقى على ضمة القاف دون حذف، كما أبقى على الواو دون قلب لأنها تنسجم مع الضمة السابقة عليها لأنها من جنسها :

قُوِلَ > قُوْلَ . وهنا لايكون إلا إعلال واحد ، هو إعلال الحذف (حذف كسرة العين) وهذه لغة لبعض العرب.

وما حدث للأجوف الواوى السابق فى اللغة الثانية يحدث كذلك للأجوف

(١) البيان ١/ ٥٦ .

اليائى ، غير أن الياء تقلب واواً ؛ لأن اليـاء لاتنسجم مع الضمـة، يقول ابن يعيش : «وإن كان الأجوف يائـياً انقلبت الياء واواً لسكونها وانضـمام ما قبلها نحو : بوع المتاع وعُوب زيد » .

ثم يقول عـن هذه اللغة إنهـا: «فى مقابل اللـغة السابقة ، مـن حيث إن الأولى تُرْجِع ذوات الـواو إلى الـياء [1] ، بينمـا هنا تـرجـع ذوات الياء إلى الـواو» [2].

وأرى أن ما حدث لـ (قُوِلَ) حتى وصل إلى (قُوْلَ) فى لغة بعض العرب يمكن أن يكون على النحو التالى :

١ - تماثل الكسرة الضمة (مماثلة تقدمية) فتقلب ضمة تمثلها :

ق ـُ و ـِ ل ـَ > ق ـُ و ـُ ل ـَ

٢ - تحذف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلـتين، فتلتقى حركتان قصيرتان من جنس واحد : ق ـُ × ـُ ل ـَ .

٣ - تتحول الحركتان إلى حركة طويلة (ضمة طويلة) ق ـُ ـُ ل ـَ .

ق ـُ و ـِ ل ـَ > ق ـُ و ـُ ل ـَ > ق ـُ × ـُ ل ـَ > ق ـُ ـُ ل ـَ .

والأمر كذلك بالنسبة للأجـوف اليائى (بِيع) حتى وصل إلى (بُوْعَ)، غير أنه يزيد عن الواوى فى أن الياء تماثل الضمة السابقة فتتحول واواً :

ب ـُ ى ـِ ع ـَ > ب ـُ و ـِ ع ـَ > ب ـُ و ـُ ع ـَ > ب ـُ × ـُ ع ـَ > ب ـُ ـُ ع ـَ .

---

(١) إشارة إلى نحو : قيل وقيم فى اللغة الأولى حيث قلبت الواو ياءً وصار الواوي مثل اليائي كما فى نحو : بيع

(٢) شرح المفصل ١٠ / ٤ .

القسم الثاني : الإدغام

الإدِّغام بالتشديد من ألفاظ البصريين ، والإدْغام بالتخفيف من ألفاظ الكوفيين[1] والمقصود به لغة : إدخال الشئ فى الشئ ، يقال : أدغمت اللجام فى فم الدابة عليه السلام أى أدخلته فيه[2] .

واصطلاحاً : تقريب صوت من صوت [3].

والإدغام على نوعين كبيرين، ذكرها ابن جنى فى الخصائص ، الأولْ : الإدغام الأكبر، والثانى : الإدغام الأصغر . وفيما يلى بيانهما :

أولاً : الإدغام الأكبر :

يقصد به إيصال بحرف مثله متحرك، من غير أن يُفْصَل بينهما بحركة أو وقف [4].

وهو نوعان :

★ الأول : إدغام المتماثلين :

ومعناه أن يلتقى الحرفان المثلان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام، فيدغم أحدهما فى الآخر .

والأول من الحرفين قد يكون ساكناً باعتبار الأصل ، كطاء قَطَّع وكاف سكَّر الأولين ، وقد يكون متحركاً أصلاً كدال شَدَّ ولام معتلّ، إذ الأصل : شَدَدَ ، ومُعْتَلِل .

(١) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٢) شرح الشافية ٣/ ٢٣٥.

(٣) الخصائص ٢/ ١٤١.

(٤) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

★ **والثانى : إدغام المتقاربين :**

ومعناه أن يلتقى الحرفان المتقاربـان على الأحكام التى يسوغ معها الإدغام، فيقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه ويدغم فيه، نحو: امحى واصبَّرَ واثَّاقل عنه . والأصل : انْمَحَى واصْتَبَر وتَثَاقل عنه (١).

والسبب فى قلب الأول إلى لفظ الثانـى كما يقول ابن يعيش لأنه «لايصح الإدغام إلا فى مثلين، إذ لو تركته على أصله مـن لفظه لم يجز إدغامه لما فيهما من الخلاف ، لأن رفع اللسان بهما رفعـة واحدة مع اختلاف الحرفين محال ؛ لأن لكل حرف منهما مخرجاً غير الآخـر ولايمتنع ذلك فى المتماثلين لأن المخرج واحد يمكن أن يجمعهـما فى العمل فيقع اللسان عليهـما وقعاً واحداً من حيث لايفصل بينهما زمان، فالإدغام فى المتقاربة عـلى التشبيه بالأمثال، فكلما كانت أشـد تـقارباً كان الإدغـام فيها أقوى، وكـلما كان التـقارب أقـــل كان الإدغام أبعد» (٢).

والهدف من الإدغام الأكبر كما يقول ابن جـنى يكمن فى «تقريب الصوت من الصوت ، ألا ترى أنك فى قَطَّعَ ونحوه قد أخفيت الساكن الأول فى الثانى حتى نبا اللسـان عنهما نَبْوَةً واحدة وزالـت الوقفة التى كانت تكون فى الأول لو لم تدعمه فى الآخر، ألا ترى أنك لو تكلفت ترك إدغام الطاء الأولى لتجشمت لها وقفة عليـها تمتاز من شدة ممازجتها للثانـية بها، كقولك : قَطْطَعَ وسكْكَرَ ، وهذا إنما تحـكمه المشافـهة ، فإن أنت أزلت تـلك الوُقَيْفَة والفتـرة على الأول خلطته بالثانى فكان قربه منه وادغامـه فيه أشد لجذبه إليه وإلحاقه بحكمه . فإن كان الأول من المـثلين متحـركاً ثم أسكنتـه وأدغمته فى الـثانى فهو أظـهر أمراً وأوضح حكماً ؛ ألا ترى أنك إنمـا أسكنته لتخلطه بالثانـى وتجذبه إلى مضامَّته

(١) الخصائص ٢/١٤١ - ١٤٢ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٣٢ .

ومماسَّة لفظه بلفظه بزوال الحركة التى كانت حاجزة بينه وبينه ، وأما إن كانا مختلفين ثم قلبت وأدغمت فلا إشكال فى إيثار تقريب أحدهما من صاحبه؛ لأن قلب المتقارب أوكد من تسكين النظير » [١].

ويقول ابن يعيش أيضاً :

«والغرض بذلك طلب التخفيف لأنه ثقل عليهم التكرير والعود إلى حرف بعد النطق به ، وصار ذلك ضيقاً فى الكلام بمنزلة الضيق فى الخطو على المقيد، فحاولوا تخفيفه بأن يدغموا أحدهما فى الآخر [٢]، فيضعوا ألسنتهم على مخرج الحرف المكرر وضعة واحدة، ويرفعوها بالحرفين رفعةً واحدة » .

ويقول الدكتور اوود عبده :

« إذا وقعت علة قصيرة بين صوتين صحيحين مثلين فإنه يمكن التخلص منها فى نطاق القانون اللغوى المعروف بقانون : الحد الأدنى من الجهد the least effort ، فالمتكلم حين يتخلص من العلة القصيرة فى هذه الحالة يوفر بعض الجهد الذى يُبْذَل فى تغيير وضع أعضاء النطق بعد لفظ الصوت الأول من الصحيحين المثلين من أجل لفظ العلة الواقعة بينهما ثم العودة إلى ذلك الوضع ذاته للفظ الصحيح الثانى . فهو بالتخلص من الفتحة الواقعة بين الدالين فى (مَدَدَ) تصبح الدالان متواليتين فينطق بهما كلتيهما قبل أن ينقل أعضاء نطقه إلى وضع جديد » [٣].

وحركة أول المثلين لابد من التخلص منها عند الإدغام فى المثل الثانى إما بالحذف وإما بالنقل (القلب المكانى) إلى الساكن الذى قبله، فتحذف إذا كان الحرف الذى قبله متحركاً ، مِثل: مَدَّ وشَدَّ والأصل : مَدَدَ وشَدَدَ . وتُنْقَل إلى

---

(١) الخصائص ٢/ ١٤٢ .

(٢) شرح المفصل ١٠ / ١٢١ .

(٣) دراسات فى علم أصوات العربية ٢٢ .

ماقبله إن كان ساكناً ، نحو : يَرُدُّ ويَمُدُّ ويَفِرُّ ومَقَرٌّ، والأصل : يَرْدُدُ ويَمْدُدُ ويَفْرِرُ ومَقْرَرٌ ، فنقلت الضمة والكسرة والفتحة إلى الحرف الساكن، وذلك كراهية التقاء الساكنين أي ذلك الحرف وأول المدغمين [١].

ويُسَمَّى الحرف الأول من المدغمين (مُدْغَماً) اسم مفعول لإدغامك إياه ، ويسمى الحرف الثاني (مُدْغَماً فيه) لإدغامك الأول فيه ، ويُشْتَرط في الحرف الثاني من المدغمين أن يكون متحركاً لأن الساكن كالميت لايُظْهِر نفسه فكيف يُظْهِر غيره [٢].

- وفيما يلي استعراض أمثلة للإدغام الأكبر بنوعيه من كتاب البيان:

١ - إدغام المتماثلين:

- يقول ابن الأنباري معلقاً على (ولا تَيَمَّمُوا) في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ﴾ «سورة البقرة : آية ٢٦٧» .

« بتشديد التاء [٣] وتخفيفها . فالتشديد لأن أصله (تَتَيَمَّمُوا) فكرهوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، وهما التاءان فسكنوا التاء الأولى وأدغموها في الثانية . . . فمن شدد لم يمكن أن يبتدئ (تتيمموا) دون (لا) لأنه يؤدي إلى أن يبتدئ بالساكن ، والابتداء بالساكن محال»[٤].

وواضح هنا أن حركة التاء الأولى قد تُخُلِّص منها بالحذف ، وأُطِيل النطق بلا .

(١) الهمع ٦/ ٢٨٤ .

(٢) شرح مختصر التصريف العزي ٩٧ .

(٣) قرأ بالتشديد : البزي والنقاش وأبو ربيعة بخلاف عنه وابن فليح والقواس وورش . معجم القراءات ١/ ٣٨٧ .

(٤) البيان ١/ ١٧٦ .

- ويقول في موضع آخر تعليقاً على قوله تعالى : ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ «سورة الأنعام : آية ٨٠» .

«قُرِئ بتشديد النون[1] وتخفيفها . فمن قرأ بتشديد النون فعلى الأصل لأنه أصله: (أتحاجوننى) فاجتمع نونان: نون علامة الرفع ونون الوقاية، فاجتمع حرفان متحركان من جنس واحد ، فاستثقلوا اجتماعهما فسكنوا الأولى وأدغموها فى الثانية . . . »[2].

- ويقول أيضاً معلقاً على (يَوَدُّ) فى قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ «سورة البقرة : آية ١٠٥» .

« يَوَدُّ أصله : (يَوْدَدُ) لأنه مضارع (وَدِدْتُ) إلا أنه نقلت الفتحة عن الدال الأولى إلى ماقبلها، فسكنت وأدغمت فى الدال الثانية »[3].

٢ - إدغام المتقاربين:

- يقول ابن الأنبارى تعليقاً على (تظاهرون) فى قوله تعالى : «ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ » «سورة البقرة : آية ٨٥» .

«قُرِئ بتشديد الظاء[4] وتخفيفها . فمن قرأ بالتشديد قال : لأن أصله: (تَتَظاهرون) فاستثقلوا اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد، فأزال استثقال

(١) قرأ بتشديد النون : ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائى ويعقوب وهشام بخلاف عنه . معجم القراءآت ٢/ ٤٨٠ .

(٢) البيان ١/٣٢٨ .

(٣) السابق ١/١١٦ .

(٤) قرأ بالتشديد : ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب، معجم القراءات ١/ ١٤٣ .

اجتماع المثلين المتحركين بأن أبدل من التاء الثانية ظاء، وأدغم الظاء فى الظاء . . . »[1].

«ويقول فى موضع آخر تعليقاً على (تسوى) فى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾

«سورة النساء: آية ٤٢» .

« قرئ (تَسَّوَّى)[2] بتشديد السين . والواو وفتح التاء . . . فمن قرأ بتشديد السين والواو كان التقدير فيه: (تَتَسَوَّى) فأبدل التاء الثانية سيناً لقرب مخرجهما، وأدغمت السين فى السين» [3].

وأرى أن ماحدث للفعلين السابقين يعود إلى قانون المماثلة الصوتية، وحدث لهما ما يأتى:

١ - سكنت التاء الثانية: (تَتْسَوى وتَتْظَاهرون) وذلك بحذف حركتها ولم تُلْقَ على التاء الأولى لأنها محركة . ولم تسكن التاء الأولى، لأنه لو فُعِل ذلك لكانت الكلمة حينئذ ستبدأ بحرف ساكن، والبدء بالساكن محال فى العربية، ولو جيء بهمزة وصل لكنا أمام بناء غريب لانظير له فى العربية .

٢ - تماثلت التاء الثانية مع الظاء فى (تتظاهرون) فقلبت ظاء مثلها[4] (تَظْظاهرون)

---

(١) البيان ١/١٠٤ .

(٢) قرأ بالتشديد: نافع وابن عامر وأبو جعفر والحسن، معجم القراءات ٢/٧٦ .

(٣) البيان ١/٢٥٤ - ٢٥٥ .

(٤) تشترك التاء والظاء في تجاور مخرجيهما، فالتاء من أصول الثنايا العليا، والظاء مما بين الأسنان، ويختلفان فى جميع الصفات، فالتاء صوت شديد مهموس مرفق، أما الظاء فصوت رخو مجهور مفخم. الأصوات اللغوية ٤٧ و ٦١ .

كما تماثلت التاء الثانية مع السين فى (تَتْسَوَّى) فقلبت سيناً [1] مثلها (تَسْسَوَّى) مماثلة رجعية regressive .

٣ – أدغمت الظاء الأولى فى الثانية (تَظَّاهرون) والسين الأولى فى الثانية (تَسَّوَّى) .

تَتَظاهرون > تَتْظاهرون > تَظْظاهرون > تَظَّاهرون .

تَتَسَوَّى > تَتْسَوَّى > تَسْسَوَّى > تَسَّوَّى .

– ويقول فى موضع آخر كذلك معلقاً على (ادّاركوا) فى قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾ «سورة الأعراف : آية ٣٨» .

«ادَّاركوا أصله : (تَداركوا) على وزن تَفاعلوا ، إلا أنه أبدل التاء دالاً ، وأدغمت الدال فى الدال ، فسكنت الدال الأولى والابتداء بالساكن محال ، فاجتلبت ألف الوصل لئلا يبتدأ بالساكن » [2]:

وما حدث لـ (ادَّاركوا) يرجع إلى قانون المماثلة أيضاً ، فالأصل (تَداركوا) كما ذكر ابن الأنبارى، وحدث ما يأتى :

١ – سُكِّنت التاء وذلك بحذف حركتها، إذ ليس قبلها ساكن فتلقى عليه، وجئ بهمزة وصل لئلا يبتدأ بساكن (اتْداركوا) .

٢ – تماثلت التاء مع الدال التالية لها ، فقلبت دالاً مثلها؛ لأنهما من مخرج واحد هو أطراف الثنايا العاليا ، ولافرق بينهما إلا فى الهمس والجهر،

(١) التاء والسين من مخرج واحد ، هو أصول الثنايا العليا وليسا من مخرجين مختلفين كما ذكر ابن الأنباري ولا فرق بينهما إلا فى الشدة والرخاوة ، فالتاء صوت شديد والسين صوت رخو . السابق ٦١ ، ٧٦ .

(٢) البيان ١/ ٣٦٠ .

فالتاء مـهموسة والدال مجـهورة، ويتفقان فـى الصفتين الأخريـين وهما: الشدة والترقيق [1] (اددراكوا) .

٣ - أدغمت الدال الأولى فى الثانية : (اداركوا) .

تداركوا > اتداركوا > اددارکو > اداركوا [2].

ثانياً: الإدغام الأصغر

ذكر ابن جنى فى الخصائص أن الإدغام الأصغر يقصد به : «تقريب الحرف من الحرف وإدناؤه منه من إدغام » وذكر أنه على أنواع ، منها:

١ - أن تقع فاء افـتعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظـاء ، فتقلب لهـا تاؤه طاء ، نـحو : اصْطَبَر واضْطَرَب واطَّرَد واظْطَلَم ، والأصـل : اصْتَبَر واضْتَرَب واطْتَرَد واظْتَلَم .

وذكر أن (اطرد) مـن الإدغام الأصغر ، لكن الإدغـام فيه لم يكـن قصداً إنما مصادفة (التقاطاً) ، حيث أبدلت التاء طاء ، فصادفت الطاء طاء قبلها فوجب الإدغام .

٢ - أن تقع فـاء افتعل زايـاً أو دالاً أو ذالاً ، فتقلـب لها تاؤه دالاً ، نـحو : ازْدان وادَّعَى واذْدَكَر ، وادَّكَر ، والأصل : ازتَان وادْتَعَى واذْتَكَر .

« وذكر أن (ادَّعَى) مثل (اطَّرَد) السابق ، أما (ادَّكر) فأصله : (اذْتَكَر) ثم (اذْدَكَر) بقلب التاء دالاً ، ثم (ادَّكر) بـقلب الذال دالاً لقربها

---

(١) الأصوات اللغوية ٤٨ و ٦١ .

(٢) هناك أمثلة أخري كثيرة لإدغام المتمـاثلين فى كتـاب البيان ، راجع عـلى سبيل المثال الجزء الأول ، صفحات : ١٧٣ - ١٨١ - ٢٤٠ - ٢٦٢ - ٢٦٨ - ٢٧٤ - ٣٨٤ - ٤١٠ - ٤١٢ .

من الدال بالجهر وأدغمت في الدال الثانية، وعلى هذا فالإدغام هنا مقصود وليس مصادفة .

٣ - أن تقع السين قبل الحرف المستعلى، فتقربها من ذلك الحرف بقلبها صاداً، كقولهم في سُقْتُ : (صُقْتُ) وفي السُّوق (الصُّوق) . . . الخ.

٤ - تقريب الصوت من الصوت مع حروف الحلق كقولهم : شِعير وبِعير ورِغيف وزِئير الأسد .

٥ - تقريب الحركة من الحرف ، وذلك بتحويل حركة عين المضارع من الكسر إلى الفتح إذا كانت العين أو اللام حرف حلق ، حتى تضارع جنس حرف الحلق نحو : سَأَلَ يَسْأَلُ وسَعَرَ يَسْعَرُ وسَحَلَ يَسْحَلُ وقَرأ يَقْرأُ وقَرَعَ يَقْرَعُ وسَبَحَ يَسْبَحُ .

٦ - تقريب الحركة من الحركة ، كقولهم : الحمدُ لُله ، والحمدِ لِله .

٧ - تقريب الحرف من الحرف، كقولهم في نحو : مصدر (مَزْدَر) ومنه قولهم في المثل : لاحُرِمَ مَنْ فُزْدَ له ، أي : فُصِدَ له .

ثم يقول أخيراً عما سبق : «وجميع ما هذه حاله مما قَرُبَ فيه الصوت من الصوت جارٍ مجرى الإدغام وبما ذكرناه من التقريب ، وإنما احتفظنا له بهذه السمة التي هي الإدغام الصغير، لأن في هذا إيذاناً بأن التقريب شامل للموضعين، وأنه هو المراد المبغى في كلتا الجهتين، فاعرف ذلك » (١).

وفيما يلي عرض ماورد في كتاب البيان من أمثلة تندرج تحت ماسبق من الإدغام الأصغر :

---

(١) انظر فيما سبق الخصائص ٢/١٤٣ - ١٤٧ .

١ - وقوع فاء افتعل صاداً أو ضاداً أو طاء أو ظاء :

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (اضطر) فى قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ . «سورة البقرة : آية ١٧٣» .

« اضطر أصله : (اضْتُرِرَ) فأبدل من تاء الافتعال طاء لتوافق الضاد فى الإطباق ، وحُذِفَت كسرة الراء الأولى وأدغمت فى الثانية » [١].

- يقول فى موضع آخر معلقاً على كلمة (يطعمه) فى قوله تعالى : ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ «سورة الأنعام : آية ١٤٥» .

«قُرِئَ (يَطَّعِمُه) بتشديد الطاء وكسر العين[٢] ، وأصله : (يَطْتَعِمُه) على وزن يفتعله ، إلا أنه أبدل من التاء طاء لأن التاء حرف مهموس والطاء حرف مطبق مجهور فاستثقل اجتماعهما ، فأبدل من التاء طاء لتوافق الطاء فى الإطباق ، وأدغم الطاء فى الطاء»[٣].

يلاحظ أن التاء قد قلبت طاء فى الكلمتين السابقتين (اضْطُرَّ ويُطَّعِمُه) وأصلهما : (اضْتُرِر ويَطْتَعِمُه) . وهذا يسميه ابن الأنبارى وغيره من القدماء إبدالاً، ويكون هذا مع أى كلمة تأتى «وزن افتعل» بشرط أن تكون الفاء صاداً أو ضاداً أو طاد أو ظاء ، والعلة فى ذلك ترجع إلى أن هذه الحروف مستعلية مطبقة والتاء مهموسة غير مطبقة، فقصد بالإبدال التجانس فى الصفات. يقول ابن يعيش :

---

(١) البيان ١ / ١٧٣ .

(٢) قرأ بذلك : علي بن أبي طالب وأبو جعفر بن محمد بن على الباقر . معجم القراءات ٢/ ٥٧٦ .

(٣) البيان ١/ ٣٤٧ .

«أُبْدِلَت الطـاء من التـاء إبدالاً مطرداً ، وذلـك إذا كانت فـاء افتعـل أحد حروف الإطبـاق، وهى أربعة : الصـاد والضاد والطـاء والظاء ، نحو اصـطبر يصطبر واضطرب يضطرب واطرد واظطلم. والأصل : اصتبر واضترب واطترد واظتلم . والعـلة فى هذا الإبدال أن هذه الحروف مسـتعلية فيها إطـباق والتاء حرف مهموس غير مـستعل ، فكرهوا الإتيان بحرف بعد حـرف يضاده وينافيه، فأبدلوا من التـاء طاء لأنهما من مخرج واحد،ألا ترى أنه لـو الإطباق فى الطاء لكانت دالاً ، ولولا جهر الدال لكانت تاء ، فمخرج هذه الحروف واحد إلا أن ثم أحوالاً تفرق بينهن من الإطباق والجهر والهمس .

وفى الطاء إطباق واستعلاء يوافق ما قبلـها فيتجانس الصوت ويكون العمل من وجه واحد فيكون أخف عليهم » (١).

وهذا فى علم اللـغة الحديث يخضع لقانون المماثـلة الصوتية assimilation فالتاء تماثل الـفاء فى صيغة (افتعل) إذا كات الـفاء حرفاً مفخماً (مماثلـة تقدمية progressive) لأن التـفخيم يمـتد إلى القـطع المتجـاورة بفعل الاجـترار، وإذا أضيفت سمة التفخيم إلى سمة التـاء صارت طاء . ويكن التماثل كلياً إذا كانت الفاء طاء ، أما إذا كانت صاداً أو ضاداً أو ظاء فإن الـتماثل يكون جزئياً ، وهو المعروف بالتقريب، كما أشار ابن جنى من قبل، من ذلك :

اطْتَلَعَ > اطْطَلَعَ > اطَّلَعَ .   اصْتَلَحَ > اصْطَلَحَ .

اضْتَرَبَ > اضْطَرَبَ (٣).

---

(١) إشارة إلى أن الطاء هى النظيـر المفخم للدال على أساس أنهما مشتركان فـى الجهر . هذا عند القدماء أما عند المحدثين فهى النظير الفخَم للتاء عـلى أساس أنهما مشتركان فى الهمس . راجع المدخل إلى علم اللغة ٧٥ .

(٢) شرح المفصل ١٠/٤٦ - ٤٧ .

(٣) مدخل فى الصوتيات ١٨٦ .

٢ - **تقريب الحرف من الحرف:**

يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمة (الصراط) فى قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ «سورة الفاتحة: آية ٦».

« أصل الصراط [١]: (السِّراط) إلا أنهم أبدلوا من السين صاداً لتوافق الطاء فى الإطباق » [٢].

فالعلة إذن فى الإبدال ترجع إلى أنهم أرادوا أن تنسجم السين مع الطاد لأن السين حرف مهموس والطاء حرف مفخم، فقربوا السين منها بقلبها إلى نظيرها المفخم وهو الصاد ليحصل بذلك التوافق، ومعنى هذا أن الحرفين متوافقان فى التفجم هنا، غير أنهما يختلفان فى صفتين أخريين هما الجهر والهمس، فالطاء عند القدماء مجهورة، يقول ابن يعيش:

«قلبوا السين صاداً لوقوعها قبل الطاء، وهذا الحرف مجهور مستعل والسين مهموس مستفل، فكرهوا الخروج منه إلى المستعلى، لأن ذلك مما يثقل فأبدلوا من السين صاداً، لأنها توافق السين فى الهمس والصفير وتوافق الطاء فى الاستعلاء، فيتجانس الصوت ولايختلف » [٣].

أما عند المحدثين من علماء اللغة فالطاء صوت شديد مهموس مفخم وليس مجهوراً كما ذكر ابن يعيش، وذلك طبقاً لنطقنا إياه اليوم، وقد كان نطقهم بجهر الطاء يشبه نطقنا الضاد، وهمسه يعد من التطور أو التغير الذى أصاب هذا الصوت، وأن المستشرق الألمانى (شاده) يرى أن هذا النطق القديم يوجد لدى سكان جنوب الجزيرة العربية [٤].

---

(١) قرأ بالصاد الجمهور، ومنهم: ابن كثير، وعبد الوهاب بن فليح ونافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم والكسائى وابن جعفر وشيبة وقتادة. معجم القراءات ١/١٧.

(٢) البيان ١/٣٨.

(٣) شرح المفصل ١٠/ ٥١ - ٥٢.

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٧٥ - ٧٦.

ويقول ابن الأنبارى كذلك عن كلمة (الصراط) السابقة :

« ومنهم من أبدل منهـا أيضاً زاياً ، فقالوا : (الزِّراط)[1] لتوافق الزاى فى الجهر لأنها مهموسة » .

معنى هـذا أن السين قلبت زاياً لأن السـين مهموسة والزى مجـهورة فكان إبدالها زاياً لتكون مجهورة ، وفى هذه الحالة توافق الطاء فى صفة الجهر .

ويقول كذلك عن الكلمة نفسها :

« ومنهم من أَشَمَّ الصاد شيئاً من الزاى[2]؛ لأنه رأى جهر الطاء وإطباقه ، فأتى بالصد مراعاة للإطباق وأشمها شيئاً من الزاى مراعاة للجهر » [3].

يفهم من ذلك أن السين أبدلت صاد لتوافق الطاء فى التضخيم، ثم أشمت شيئاً من الزاى لتوافق الطاء فى صفتى التفخم والجهر معاً .

إذن من خلال ماسبق تقول : إن كلمة (السراط)حدث لها ثلاثة أنواع من الإبدال :

١ - وأبدلت صاداً (الصِّراط) لتوافق الطاء فى التفخيم فقط دون الجهر : ٢ - وأبدلت زاياً (الزِّراط) لتوافق الطاء فى الجهر فقط دون التضخيم .

٣ - أبدلت صـاداً مع إشمامـها شيئاً مـــن الزاى لـتوافق الطاء فـــى التفـخيم والجهر .

---

(١) قرأ بذلك : حـمزة وأبو عمرو والكسـائى فى رواية ابن ذكوان عـنه وعن عاصم فى رواية مـجالد بن سعيد عنه بالزاى الخالصة . وهى لغة بنى عذرة وبنى كلب وبنى القين . معجم القراءات ١/١٧-١٨ .

(٢) قرأ بذلك : حمزة من طريق خلفَ وفيه تفصيل عن رواته وخلاد والمطوعى، ورواه عن حمزة الدورى فيما كان فيه ألف ولام فقط ،وهى قراءة أبى عمـرو وهارون الأعور والعريان عن أبى سفيان وخلف . معجم القراءات ١/١٨ .

(٣) البيان ١/٣٨ .

وجميع ما حدث للسين هنا يخضع لـقانون المماثلة الصوتية ، ويلاحظ أن المماثلة هنا رجعية ، حيث إن المؤثر هنا هو الطاء .

٣ - موافقة الحركة للحرف:

يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمـة (اليسع) فى قوله تعالى : ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ «سورة الأنعام : آية ٨٦» .

« قيل الأصل فى (اليسع) بلام واحـدة (يسع) وهو فعل مضارع سُمِّىَ به ونُكِّر وأُدْخِل علـيه الألف واللام . والأصـل فى يسـع (يَوْسَع) وأصل يَوْسَعُ (يَوْسِعُ) لأنه مما جاء على فعَل يـفعِل، نحو : وَطِئَ يَطَأُ وأصله : يَوْطِئُ ، إلا أنه فتحت العين لمكان حرف الحلق»[1] .

يُفْهَم مما سبق أن الـلام إذا كانت مـن حروف الحـلق وكانـت العـين فى المضـارع مكسورة ، فـإن الكسرة تـتحول إلى فـتحة ، كمـا فى : يَسَعُ ويَطَأُ، والأصل يَوْسِعُ ويَوْطِئُ > يسِع ويطِئ > يسَع ويَطَأ .

وما حدث مع اللام إذا كانت من حروف الحلق يحدث كذلك مع العين إذا كانت من تـلك الحروف كما ذكر ابن جـنى من قبل، نحو : سـعَر يسعَر وسأل يسأل، والأصل فى المضارع بالكسر : يسعِر ويسئِل .

والعين تـكون مكسورة فـى المضارع إذا كانت العـين مفتوحة فـى الماضي، وتحول العين من فتح فى الماضى إلى كـسر فى المضارع من باب المغايرة ، وهذا يعنى أن وزن فَعَلَ يَفْعَلُ وزن طارئ بسبب وجود حلق فى العين أو اللام .

والسبب فى ميل العين إلى الفتحة دون الـكسرة فيما سبق يرجع كما يقول برجشتراسر إلى أن اللسان فى نـطق الحروف الحلقية يُجْذَب إلى الوراء مع بَسْط

(١) السابق ١/ ٣٣٠ .

وتَسْطِيح له ، وهذا هو وضعه فى نطق الفتحة . وإيثار الفتحة على الكسرة أو الضمة فيما تكون لامه حرفاً حلقياً قديم فى السامية الأم ، ويبقى كذلك فى أكثر اللغات السامية، فيفتح فى الأكادية : iptē أصله yiptaḥ: وفى العبرية yiptaḥ وفى الآرامية niptaḥ وفى الحبشية yeftaḥ[١].

٤ - تقريب الحركة من الحركة :

يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (الحمد) فى قوله تعالى : ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «سورة الفاتحة : آية ١» ، وقراءة من قرأ بكسر الدال من (الحمد)[٢] إتباعاً لكسرة اللام من (الله) كقولهم فى مُنْتِن : (مِنْتِن) فكسرت الميم إتباعاً لكسرة التاء .

وقراءة من قرأ بضم اللام[٣] إتباعاً لضمة الدال ، كقولهم : (مُنْتُن) بضم التاء إتباعاً لضمة الميم. فقراءتان ضعيفتان فى القياس قليلتان فى الاستعمال ؛ لأن الإتباع إنما جاء فى ألفاظ يسيرة لا يُعْتَد بها فلا يُقَاس عليها» [٤].

- يقول أيضاً معلقاً على كلمة (فَلأُمِّه) فى قوله تعالى : ﴿فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ : «سورة النساء : آية ١١» « قُرِئَ بضم الهمزة[٥] وكسرها [٦]، فمن ضمها فعلى

---

(١) التطور النحوى ٦٣ .

(٢) قرأ بذلك : الحق وزيد بن على ورؤبة وأبو نهيك وهذه قراءة أغرب من (الحمد لله) لأن فيها إتباع حركة معرب وهو الدال لحركة غير إعراب وهى حركة اللام ومثل هذا عند ابن جنى لُغَية ضعيفة لأن حركة الإعراب لاتستهلك لحركة الإتباع إلا فى هذه اللغية . معجم القراءات ١/ ٤ .

(٣) قرأ بذلك : إبراهيم عن أبى عبلة . ورويت عن الحسن ، وذكر الفراء أنها لغة لبعض بنى ربيعة السابق ١/ ٤ .

(٤) البيان / ٣٤ - ٣٥ .

(٥) قرأ بذلك : ابن كثير ونافع وحفص وعاصم وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر .

(٦) قرأ بذلك : حمزة والكسائى والأعمش وعلى ، وهى لغة حكاها سيبويه ، وذكر الكسائى والفراء أنها لغة هوازن وهذيل . معجم القراءات ٢/ ٢٨ .

الأصل، ومن كسرها فعلى الإتباع كقولهم : مِنْتِنٌ فى : مُنْتِن ، والمِغِيرَة فى المُغِيرَة ومِنْخِرِ فى مَنْخَر ، إلى غير ذلك » [1].

وكل ماسبق يدخل كذلك فى باب المماثلة الصوتية .

١ - الحمدُ لُله . الأصل : الحمدُ لِله ، ماثلت الكسرة الضمة ، فقلبت ضمة مثلها (مماثلة تقدمية) .

٢ - الحمدِ لِله ولإِمِّه ، الأصل : الحمدُ لِله ، ولأُمِّه . ماثلت الضمة الكسرة، فقلبت كسرة مثلها (مماثلة رجعية) .

(١) البيان ١/ ٢٤٤ .

القسم الثالث : تخفيف الهمزة

١ - تخفيف الهمزة

يرى العلماء القدامى ، ومنهم ابن يعيش ، أن السر فى تخفيف الهمزة يرجع إلى أنها صوت شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، حيث عدوه من أدخل الحروف فى الحلق وبهذا استثقل النطق به ، إذا كان إخراجه كالتهوع ، وهذا هو الذى ساغ فيه التخفيف(١).

وقد عدها سيبويه وغيره من القدماء من الأصوات المجهورة (٢).

ويوافق المحدثون من اللغويين القدامى كذلك على أن نطق الهمزة يحتاج إلى جهد عضلى أكثر مما يحتاجه أى صوت آخر ، وهو عندهم من الأصوات الحنجرية لا الحلقية ، كما أنه عند بعضهم لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس .

يقول الدكتور / إبراهيم أنيس واصفاً إياه :

«تنطبق فتحة المزمار انطباقاً تاماً ، فلا يسمح بمرور الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجارى هو مانعبر عنه بالهمزة.

فالهمزة عنده إذن صوت شديد ، لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس؛ (خلافاً لبعض علماء اللغة المحدثين أيضاً) لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقاً تاماً ، فلانسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الانفراج الفجائى الذى ينتج الهمزة .

---

(١) شرح المفصل ١٠٧/٩ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة ٥٦ .

ولاشك أن انحباس الهواء عند المزمار انحباساً تاماً ثم انفراج المزمار فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلى قد يزيد على ما يحتاج إليه أى صوت آخر ، مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات، ومما جعل لها أحكاماً مختلفة فى كتب القراءات » [1].

وقد وافقه على أن الهمزة صوت لاهو بالمجهور ولا هو بالمهموس بعض المحدثين ، منهم الدكتور كمال بشر[2] ، والدكتور محمود السعران[3].

وخالفه فى هذا الوصف الدكتور عن الرحمن أيوب ، ورأى أنه مهموس . يقول : «يقرر الدكتور إبراهيم أنيس فى كتابه : الأصوات اللغوية؛ أن الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس . وبالرجوع لتعريف الدكتور أنيس للجهر والهمس فى الكتاب نفسه، نجد أنه يصف الجهر بأنه صوت موسيقى ، يحدث من اهتزاز الوترين الصوتيين اهتزازاً منظماً . ويصف الصوت المهموس بأنه الصوت الذى لايهتز معه الوتران الصوتيان، ومعنى هذا أن الأوتار الصوتية إما أن تتذبذب فيحدث الجهر أو لا تتذبذب فيحدث الهمس ولا ثالث لها تين الإمكانيتين . ومن ثم فإن وصف الدكتور أنيس للهمزة بأنها ليست مجهورة ولامهموسة وصف غير دقيق » [4].

وكذلك الدكتور تمام حسان . يقول :

« الهمزة صوت حنجرى شديد مهموس مرقق يتم نطقه بإقفال الأوتار الصوتية إقفالاً تاماً وحبس الهواء خلفهما ثم إطلاقه بفتحها فجأة ، ويطلق على هذا الصوت عادة الاصطلاح (وقفة حنجرية Glottal stop) وتأتى جهة الهمس

---

(١) الأصوات اللغوية ٩٠ .

(٣) علم الأصوات ٢٨٨ .

(٣) علم اللغة - مقدمة للقارئ العربى ١٥٧ .

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٥٧ .

فى هذا الصـوت من أن إقفال الأوتار الصوتيـة معه لايسمح بوجـود الجهر فى النطق. ولـكن النحاة والقراء أخطـأوا فعدوا هذا الصوت مجـهوراً ، وهو أمر مستحيل استحالة مادية مادامت الأوتار الصوتية مقفلة فى أثناء نطقه » [١].

وأيضاً الدكتور رمضان عبد التواب : يقول :

« الهمـزة صوت شديد مـهموس مرقـق ، ينطق بـإغلاق الأوتار الصـوتية إغلاقاً تاماً يمـنع مرور الهواء ، فيحتـبس خلفهما ثم تـفتح فجأة فينطـلق الهواء متفجراً . ويأتى حـكمنا بهمس هذا الصوت من ناحية أن الأوتـار الصوتية معه تغلق تماماً فلا يحدث فيها ذلك الاهتزار اللازم لصفة الجهر » [٢].

والتـخفيف لـغة قريـش وأكثر أهل الحـجاز، وقد اسـتحسـنوا ذلك لثـقل الهمزة. والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا : لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف [٣].

قال أبو زيد إن أهل الحـجاز وهُذَيل وأهل مكة والمدينـة لاينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر ، فقال : ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر ، وهم أهل النبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا . قال : وقال أبو عمر الهزلى : قد توضيت فلم يهمز وحولها ياء ، وكذلك ما أشبه هذا من باب الهمز» .

والنبر هو الـهمز كما ذكر عيسى بن عـمر ، فقد قال أهل المدينة لـلكسائى عندما كان يـصلى بالناس إماماً وهمز بـالقرآن وخلفه المهدى : تنبـر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن ؟ ! [٤].

---

(١) مناهج البحث فى اللغة ٩٧ .

(٢) المدخل إلى علم اللغة .

(٣) شرح المفصل ٩/ ١٠٧ .

(٤) المدخل إلى علم اللغة ٥٧ .

ويؤخذ مما سبق أن الحجازيين لم يكونوا يهمزن ، فقد كانت لغتهم تسهيل الهمزة، أما إذا اضطروا - أى كانوا يحاكون اللغة المشتركة وهى الفصحى التى أخذت الهمز من تميم - همزوا [1].

وتخفيفها عند الحجازيين كما يقول ابن يعيش يكون بثلاث طرق: «بالإبدال ، والحذف ، وأن تجعل الهمزة بين بين . فالإبدال بأن تزيل نبرتها فتلين ، فحينئذ تصير إلى الألف والواو والياء على حسب حركتها وحركة ماقبلها . . . وأما الحذف فأن تسقطها من اللفظ البتة . وأما جعلها بين بين ، أى بين الهمزة والحرف الذى منه حركتها ، فإن كانت مفتوحة تجعلها بين الهمزة والألف . وإذا كانت مضمومة بين الهمزة والواو، وإذا كانت مكسورة بين الياء والهمزة .

ولا تخفف الهمزة إلا إذا تقدمها شئ ، وإذا وقعت أولاً لاتخفف سواء كانت مفتوحة أو مضمومة أو مكسورة ، نحو : أب وأحمد وإبراهيم ، إبل وأم وأترجة » [2].

وفيما يلى عرض مايدل على تخفيف الهمزة من كتاب البيان .

١ - الإبدال

تبدل الهمزة الساكنة حرفاً من جنس حركة ماقبلها ، فتبدل واواً إذا انضم ما قبلها ، وياءً إذا انكسر ما قبلها .

- يقول ابن الأنبارى معلقاً على كلمة (يؤمنون) فى قوله تعالى : ﴿الَّذِين يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٣» .

« يجوز أن تقلب واواً [3] لسكونها وانضمام ماقبلها ، كما تقلب فى (جؤنة

---

(١) السابق ٥٨ . (٢) شرح المفصل ٩/ ١٠٧ .

(٣) أى (يومنون) وقد قرأ بها : ورش عن نافع، وأبو عمرو إذا أدرج القراءة أو قرأ فى الصلاة، وروى ذلك عن عاصم، وقرأ بترك الهمزة ، هنا كذلك : أبو جعفر والسوسى والأعمش وأبو بكر عن عاصم. معجم القراءات ١/ ٣٠ .

وسؤل) قال تعالى : ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾ «سورة طه : آية ٣٦» (١).

- ويقول فى موضع آخر معلقاً على (الذى أوتمن) فى قوله تعالى: ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَه﴾ «سورة البقرة : آية ٢٨٣» .

«قُرِئَ (الذى ايتُمِنَ)(٢) بياء ، وهى بدل من الهمزة الساكنة التى هى فاء الفعل من (اؤتُمِنَ) وإنما أبدلت الهمزة ياء لسكونها وانكسار ماقبلها، كما قالوا فى بئر : وفى ذئب : ذِيْب . وقد مرئ بهما، قال الله تعالى: ﴿وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ «سورة الحج : آية ٤٥» وقال تعالى : ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾(٣) «سورة يوسف : آية ١٧» . بغير همزة وهذا قياس مطرد فى كل همزة ساكنة مكسور ماقبلها أن تُقْلَب ياء»(٤) .

ويلاحظ أن (اؤتمن) بهمزتين : الأولى همزة الوصل والثانية فاء الفعل وهى ساكنة ، وقد جيء بالهمزة الأولى توصلاً إلى النطق بالثانية الساكنة ، وفى حالة الوصل تحذف همزة الوصل لأن قبلها حرف مكسور وهو الذال فى (الذى). لهذا أبدلت الهمزة ياء .

- وأرى فيما سبق أن الهمزة الساكنة المضموم ماقبلها لم تقلب واواً، وكذلك المكسور ماقبلها لم تقلب ياء ؛ لأن ليست هناك علاقة صوتية بين الواو أو الياء والهمزة، فالواو والياء هنا حرفا مد أو حركات طويلة بينما الهمزة

---

(١) البيان ١/ ٤٧ .

(٢) قرأ بذلك : ابن محيصن وورش وابو عمرو بخلاف عنه وأبو جعفر والسوسى « معجم القراءات ١/ ٤٢٦ .

(٣) قرأ بذلك : أبو عمرو بخلاف عنه وأوقية وأبو جعفر والأعمش وربيعة وابن فُلَيْج عن ابن ذكوان ونافع فى رواية ورش وابن جماز ويعقوب وخارجه والأزرق والأصبهانى والسوسى والمسيبى فى رواية واليزيدى وأبو زيد . معجم القراءات ٦/ ١٢٩ .

(٤) قرأ بذلك : الكسائى وأبو عمرو فى رواية وقالون وعباس بن الفضل وخلف و مدين من طريق عبد السلام . معجم القراءات ٤/ ٢٠٠ .

(٥) البيان ١/ ١٨٤ .

صوت صامت . وأرى تبعاً لذلك أن الهمزة هنا قد حذفت وأطيلت الحركة السابقة عليها .

يـؤمنـون : ى ـُ ء م ـِ ن ـُـُ ن ـَ > ى ـُـُ م ـِ ن ـُـُ ف ـَ الـذى
اؤتمن : ء ـَ ل ل ـَ ذ ـِ ء ت ـُ م ـِ ن ـَ > ء ـُ ل ل ـَـَ ذ ـِـِ ت ـُ م ـِ ن ـَ .

٢ - حذفها :

إذا تحركت الـهمزة وسكن مـاقبلها فـإنها تحذف وتنـقل حركتهـا إلى ذلك الساكن.

- يقول ابن الأنبارى عن أصل لفظ الجلالة (الله) فى قوله تعالى : ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ «قيـل من (أَلِهْتُ) أى تحيرت ، فـسمى سبحانه (إلـها) لتحير العقـول فى كنه ذاته وصفاته، ثم أدخلت علـيه الألف واللام، وحذفت الهمزة وألقيت حركتها على اللام الأولـى ، فاجتمع حرفان متحركان من جنس واحد، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت فى الثانية »[1].

يفهم مما سبق أن لفظ الجلالة (الله) قد مر بالمراحل الصوتية الآتية: إله > الإله > الِله > الله .

- ويقول عن قوله تعالى : ﴿قَالُوا الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ «سورة البقرة : آية ٧١» .

« قُرِئَ (قالـوا الآن)[2] بحذف الـهمزة من الآن وإلقـاء حركتها عـلى اللام الساكنة قبلها ، وإثبات الواو لتحرك اللام »[3].

---

(١) البيان ١/ ٣٣ .

(٢) قرأ بذلك : ورش وابن وردان وأبو جعفر وهى قراءة حمزة كـذلك فى إحدى قراءاتيه. معجم القراءات ١/ ١٢٧ .

(٣) البيان ١/ ٩٤ .

يقصد هنا بقـوله (إثبات الواو) أى بقائها وعدم حذفهـا وذلك بسبب تحرك اللام بعد نقل حركة الهمزة المحذوفة إليهـا ؛ إذ لم يلتق ساكنان، بحسب تعبير القدماء ، فهم يعتبرون أن الواو هنا وهى واو المد ساكنة [١].

- ويقول عن أصل كلمة (مَلَك) مفرد (مـلائكة) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ «سورة البقرة : آية ٣٠» .

« الملائكة جمـع (مَلَك) على أصله فى الهمز بعـد القلب، وهو (مَلأَك) وأصل مَلأَك (مَألَك) لأنه من (أَلَكَ) إذا أرسل ، ووزنـه على الأصل مَفْعَل، فنقلت العين إلى موضع الفاء ، فصار مَلأَكاً ، كما قال الشاعر :

فَلَسْتِ لإِنسِيّ ولكـــن لملأَكٍ تَنَزَّكَ من جو السماء يَصُوبُ .

ووزنه (مَعْفَل) لنقل العين إلى موضع الفاء، ثم حذفت الهمزة من مَلأَك ، فصار : مَلَكاً ووزنه (مَعَلٌ) لحذف الفاء » [٢].

يُفْهَم مما سبق أن كلمة (مَلَك) مرت بالمراحل الصوتية الآتية :

مَألَك > مَلأَكَ بقلب العين إلى موضع الفاء، قلباً مكانياً > مَلَك بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام الساكنة السابقة .

وأتفق مع ابن الأنبارى وغـيره من العلماء القدامى فى أن الهـمزة المتحركة هنا قد حذفـت وألقيت حركتها على الـساكن الذى قبلها. يقول ابـن يعيش عن هذه الهمزة :

---

(١) واو المد فى علم اللغة الحديث حركة طويلة، وهى فى قوله تعالى : (قالوا الآن) مع اللام الساكنة ليست ساكنة، ولكنها حركة طويلة تقـصَر لوقوعها فى مقطع مغلق (ص ح ح ص) ق ـَ ـَ ل ـُ ـُ ل ء ـَ ـَ ن ـَ > ق ـَ ـَ ل ـُ ل ء ـَ ـَ ن ـَ ، وعندما تحذف الهـمزة تعود تلك الحركة لأنها فى نـهاية مقطع مفتوح (ص ح ح) ق ـَ ـَ ل ـُ ـُ ل ـَ ـَ ن ـَ

(٢) البيان / ١٧٠ .

« إن كان ماقبل الهمزة المتحركة حرفاً صحيحاً ساكناً ، فالطريق فى تخفيفها أن تلقى حركتها على ما قبلها وتحذفها ، تقول فى مَسْأَلة : مَسَلَة، وفى المرأة : المَرَة ، وفى المرآة : المِرَاة . وذلك أن الحذف أبلغ فى التخفيف، وقد بقى من أعراضها ما يدل عليها، وهو حركتها المنقولة إلى الساكن قبلها ، ولم يجعلوها بين بين لأن فى ذلك تقريباً لها من الساكن ، فكرهوا الجمع بين ساكنين » [(١)].

٢ - تخفيف الهمزتين

إذا كان أهل الحجاز يلجأون إلى تخفيف الهمزة لثقلها فإنه إذا اجتمع همزتان كان التخفيف واجباً لأن الثقل هنا زائد . يقول ابن يعيش :

«تقدم أن الهمزة حرف مستثقل لأن مخرجها بعيد ، حيث هى عبارة عن نبرة فى الصدر تخرج باجتهاد ، فثقل عليهم إخراجها لأنه كالتهوع،، ولذلك مال أهل الحجاز إلى تخفيفها ، وإذا كان ذلك فى الهمزة الواحدة فإذا اجتمع همزتان ازداد الثقل ووجب التخفيف ، فإن كانتا فى كلمة واحدة كان الثقل أبلغ ووجب إبدال الثانية » [(٢)].

ويؤيده فى وجوب التخفيف كذلك الدكتور إبراهيم أنيس ، يقول : «وإذا كانت الهمزة المفردة قد احتاجت إلى جهد عضلى جعل اللهجات العربية تصرفها بتسهيلها مرة وسقوطها مرة أخرى . فمما لاشك فيه أن توالى همزتين أشق ويحتاج إلى جهد عضلى أكثر فى نطقهما » [(٣)].

وبناء على ما تقدم نقول : إنه إذا اجتمعت همزتان فإن التخفيف ينصب على الهمزة الثانية ولا يأتى على الأولى إلا قليلاً كما سنرى فيما بعد .

---

(١) شرح المفصل ٩/١٠٩ .

(٢) شرح المفصل ٩/١١٦ .

(٣) الأصوات اللغوية ٩١ .

وتخفيف الهمزة الثانية يكون بثلاث طرق مثل الهمزة المفردة السابقة: الإبدال ، وجعلها بين بين، والحذف . وفيما يلى استعراض ما يدل على ذلك من كتاب البيان .

١ - الإبدال :

أ - تبدل الهمزة الثانية حرفاً من جنس حركة ماقبلها إذا كانت ساكنة

- يقول ابن الأنبارى تعليقاً على أصل كلمة (آدم) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيس أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِين﴾ «سورة البقرة : آية ٣٤» .

«أصله : (أَ أْدَم) بهمزتين ، إلا أنه قُلِبَت الهمزة الساكنة ألفاً لسكونها وانفتاح ماقبلها ، نحو : آخَرُ وآدَرَ ، وأصله : (أَ أْخَرُ و أَ أْدَرُ) فقلبوا الهمزة الساكنة الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها » [(١)].

- ويقول فى موضع آخر عن أصل كلمة (آل) فى قوله تعالى : ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَاب﴾ «سورة البقرة : آية ٤٩» .

« آل أصله : (أهل) فأبدلوا من الهاء همزة ، فصار (أ أْل) فاستثقلوا اجتماع همزتين ، فقلبوا الثانية ألفاً لسكونها وانفتاح ما قبلها [(٢)].

يتضح مما سبق أن الهمزة الساكنة قد سبقت بهمزة مفتوحة ، فخفف بإبدالها حرفاً مناسباً للفتحة السابقة ، وكان هذا الحرف هو الألف، وبهذا الإبدال يتحقق التخفيف، ويحدث التناسب بين الحرف والحركة السابقة، وهذا أيضاً يخص الهمزة الساكنة المسبوقة بضمة ، فتبدل واواً والهمزة الساكنة المسبوقة بكسرة فتبدل ياء، يقول الرضى عن ذلك :

---

(١) البيان ١/ ٧٤.

(٢) السابق ١/ ٨١ .

« إذا تحركت الأولى فقط دبِّرت الثانية بحركة الأولى ، أى قُلبت واواً إذا انضمت الأولى، كأوتُمِنَ ، وياء إذا انكسرت كإيت، وألفاً إذا انفتحت كآمن . وإنما قلبت الثانية لأن الثقل منها حصل ، وإنما دُبِّرَتْ بحركة ماقبلها لتناسب الحركة الحرف الذى بعدها فتخف الكلمة، وإذا دُبِّرَتْ بحركة ماقبلها وليس المتحرك همزة، كما فى : راسٍ وبيرٍ وسُوتٍ ، فهو مع كونه همزة أولى»[١].

وأرى أن ما حدث لكلمة (آدم وآل) السابقتين ليس بقلب الهمزة الثانية الساكنة ألفاً ، وإما هو بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها، وبما أن الحركة السابقة عليها هنا فتحة قصيرة فإنها قد تحولت إلى فتحة طويلة هكذا .

ء ـَ ء د ـَ م ـُ > ء ـَ ـَ د ـَ م ـُ .

ء ـَ هـ ل ـُ > ء ـَ ء ل ـُ > ء ـَ ـَ ل ـُ .

ب - تبدل الهمزة الثانية ياء إذا كانت محركة بالكسرة .

- يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمة (أئِمَّة) فى قوله تعالى : «فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون » «سورة التوبة : آية ١٢» .

«أئمة جمع إمام > وأصله : (أ أمِمَة) على أَفْعِلَة ، فألقيت حركة الميم الأولى على الهمزة الساكنة قبلها، وأدغمت الميم الأولى فى الثانية، وأبدل من الهمزة المكسورة ياء مكسورة[٢]. ومن حقها قبل الإدغام أن تبدل ألفاً

---

(١) شرح الشافية ٣ / ٥٣ .

(٢) قرأ بإبدالها ياء مكسورة (أيِمَّة) أبو عمرو ونافع وابن كثير ورُوَيْس وقالون والأزرق ويعقوب. وذهب الجمهور إلى أن التسهيل يكون بجعلها بين بين لابقلبها ياء خالصة . وذكر الزمخشرى أن القراءة بالياء لاتجوز أن تكون قراءة ، ومن صرح به فهو لاحن محرف، والصواب جعلها بين بين أى بين مخرج الهمزة والياء . معجم القراءات ٣/ ٣٥١ .

وذهب ابن الأنبارى إلى عدم جواز جعلها بين بين لأن حركتها غير أصلية ، إنما منقولة . البيان ١/ ٣٩٥ .

لسكونها وانفتاح ما قبلها إذ أصلها السكون ، فأصلها الإبدال، فكذلك بعد نقل الحركة إليها »[1].

يفهم مما سبق أن كلمة (أئِمَّة) أصلها : (أَ أْمِمَة) وحدث للهمزة الثانية تغيران صوتيان .

الأول : تحريكها بالكسرة المنقولة من الميم الأولى بعد إدغامها في الميم الثانية .

فصارت : (أ إِمَّة)، وكان من الممكن أن تبدل ألفاً لسكونها وانفتاح ماقبلها فكانت الكلمة ستصير (آمَّة) غير أنه عدل عن ذلك لأنه سيحول الكلمة إلى بناء غريب .

الثانى : إبدالها ياء مكسورة (أيمة) فكأن الإبدال هنا ممتد لأن إبدالها ألفاً كان من حقها قبل ذلك .

- يقول فى موضع آخر معلقاً على (أئِنَّكُمْ) فى قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ «سورة الأعراف : آية ٨١» .

« تقرأ بتحقيق الأولى وتليين الثانية بغير مد [2]. . . ومن قرأ بتحقيق الأولى وتليين الثانية بغير مد ، فإنه استثقل اجتماع همزتين، ولين الثانية لأنه بها وقع الاستثقال ، ولهذا أجمعوا على تغييرها فى نحو : آدم وآخر»[3].

وأرى أن التخفيف الذى حدث فى الكلمتين السابقتين (أيِمَّة) و (أيِنَّكُم) ليس بإبدال الهمزة المكسورة ياء ، إنما بحذفها ، وبعد الحذف تشأ صوت انتقالى

---

(١) البيان ١/ ٣٩٥ .

(٢) قرأ بتحقيق الأولى وتليين الثانية (أيِنَّكم) ابن كثير وأبو عمرو ورويس وورش ويعقوب . معجم القراءات ٣/ ١٠٠ .

(٣) البيان ١ / ٣٦٧ .

هو الياء، وهـذه الياء من جنس الكسرة حركتها، وقـد نشأت للمحافـظة على تركيب الكلمة .

فبعد الحذف التقت حركتان قصيرتان (ـَ ـِ)

ء ـَ ء ـِ م م ـَ ة ـُ ن / ء ـَ ء ـِ ن ن ـَ ك ـُ م > ء ـَ × ـِ م م ـَ ة ـُ
ن / ء ـَ × ـِ ن ن ـَ ك ـُ م > ء ـَ ى ـِ م م ـَ ة ـُ ن / ء ـَ ى ـِ ن ن ـَ
ك ـُ م .

٢ - جعلها بين بين :

تجعل الهمزة الثانية بين بين اى بينها وبين الحرف الذى منه حركتها . بشرط ان تكون حركتها اصلية .

يقول ابن الأنبارى عن كلمة (أئنكم) فى الآية السابقة :

«تقرأ بتليين الثانية بعد مَدة [١] . . ومن قرأ بتليين الثانية بعد مدة فإنه أراد التحقيق من جهتين ، إدخال المدة وجعل الهمزة بين بين»[٢] .

ويُشْتَرط فى الهمزة التى تجعل بين بين أن تكون متحركة وأن تكون حركتها أصلية غير منقولة ، وهذا واضح فى (أئِنكـم) أما إذا كانت حركتها منقولة كما فى كلمـة (أئِمَّة) السابقة، فلا يجـوز أن تجعل بين بين ؛ إذ أصلهـا السكون لا الحركة ، فالأصل كما سبق (أ أْمِمَة) . ويقول ابن الأنبارى عنها :

« لايجـوز أن تجعل بـين بين كالمكـسورة فى (أئِذا) لأن الحـركة فى هـمزة (أئِذا) أصلـيـة لازمة غير منـقولة بخلاف الحركـة فى همزة (أئِمَّة) فأبـدلت فى (أئمة) لأن أصلها فـى السكون البدل، وجعلت الهـمزة فى (أئِذا) بين بين لأن

(١) (اينكم) قرا بذلك ابو عمرو وزيد، معجم القراءات ٣ / ١٠٠ .

(٢) البيان ١/ ٣٦٧ .

أصلها فى الحركة أن تجعل بين بين . ومعنى جعل الهمزة فى التخفيف بين بين، أن تجعل بين الهمزة والحرف الذى حركتها منه ، فجعلت فى (أئذا) بين الهمزة والياء لأن حركة الهمزة الكسرة وهى من الياء »[1].

ويرى الدكتور إبراهم أنيس أن وصف القدماء الهمزة بين بين لايمكن الجزم به علمياً ، ورأى أن ماينشأ من تسهيل الهمزة إنما هو صوت انتقالى ينشأ من التقاء حركتين قصيرتين؛ حركة الهمزة الأولى وهى الفتحة وحركة الثانية وهى الكسرة . يقول :

« تسهيل الهمزة بين بين : هذا هو تعبير القدماء من القراء عن تلك الحالة الغامضة لنطق الهمزة. فقد قالوا إن تسهيل الهمزة المتحركة بأن ينطق بها لامحققة ولا حرف لين خالص بل بين بين. فالهمزة المكسورة ينطق بها فى حالة تسهيلها بين بين ، لامحققة ولا ياء خالصة ، هكذا قال القدماء من القراء .

أما التكييف الصوتى لهذه الحالة فليس من اليسير الجزم بوصفه وصفاً علمياً مؤكداً . وإذا صح النطق الذى سمعته من أفواه المعاصرين من القراء ، تكون هذه الحالة عبارة عن سقوط الهمزة من الكلام تاركة حركة وراءها، فالذى نسمعه حينئذ لايمت إلى الهمزة بصلة ، بل هو صوت لين قصير يسمى عادة حركة الهمزة ، من فتحة أو ضمة أو كسرة . ويترتب على هذا النطق التقاء صوتى لين قصيرين، وهما مايسميه المحدثون Hiatus ويقلب فى معظم اللغات أن تؤدى مثل هذه الحالة إلى صوت لين انتقالى ، ينشأ من الحركتين أو صوتى اللين القصيرين. والذى يؤيد مانذهب إليه بشأن نطق الهمزة بين بين ، أن مثل هذه القراءة لاتكونِ إلا حين تحرك الهمزة بحركة ما ، أما الهمزة المشكلة بالسكون فلا تقرأ بين بين »[2].

---

(١) البيان ١/ ٣٩٥ .

(٢) الأصوت اللغوية ٩٠ – ٩١ .

٣ - حذفها

ورد حذف الهمزة الثانية فى كتاب البيان فى موضعين هكذا :

١ - تحذف الهمزة الثانية عندما يكون المضارع على وزن (أأفعل).

يقول ابن الأنبارى عن أصل (يقيمون) فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ «سورة البقرة : آية ٣» .

« أصل يُقِيمُون ! (يُؤَقوِمُونَ) على وزن (يُؤَفعِلُونَ) فحذفوا الهمزة منه وإن لم يجتمع فيه همزتان ، حملاً على ما اجتمع فيه همزتان ، ألا ترى أنك تقول : أقيم عليه السلام وأصله : (أُ أَقْوِمُ) فحذفت الهمزة الثانية لئلا يُجْمَع بين همزتين . ثم حذفوها مع الياء والتاء والنون ، نحو : يُقِيم وتُقِيم ونُقِيم حملاً على (أُقِيم) لئلا تختلف طرق تصاريف الكلمة » [١] .

يُفْهَم مما سبق أن الهمزة الثانية تحذف فى كل فعل مضارع على وزن (أُ أَفعِلُ) وذلك كراهية الجمع بين همزتين، وذلك نحو : (أقيم) والأصل :

أُ أَقوِمُ > أقوِمْ > أُقومُ > أُقِيمُ . ثم حمل باقى المضارع أى المُصَدَّر بالياء والتاء والنون عليه وإن لم يكن مصدراً بهمزتين، وذلك طرداً للباب على وتيرة تواحدة ، فنقول : يقيم ، وتقيم ونقيم والأصل : يُؤَقوِمُ وتُؤَقوِم ونُؤَقوِمُ > يُقوِم وتقوم ونقوِم > يُقوِمْ وتُقوِمُ ونُقومُ > يُقِيمُ وتُقِيمُ ونُقِيمُ .

ويرى الرضى أن حذف الهمزة الثانية هنا على غير القياس؛ إذ القياس قلبها واواً لانضمام ما قبلها ، لكنهم حذفوا لكثرة الاستعمال . يقوم : « والتزم فى باب (أكرم) حذف الثانية ، والقياس فيه قلب الثانية واواً كما فى (أُوَيْدِمُ)، لكنه خفف الكلمة بحذف الثانية لكثرة الاستعمال كما خُفِّفَتْ فى (خُذْ وكُلْ)

---

(١) البيان ١ / ٤٧ - ٤٨ .

بالحذف، والقياس قلبها واواً ، ثم حمل أخواته من تُؤَكْرِمُ ويُؤَكْرِمُ عليه وإن لم يجتمع همزتان » [1].

أ - تحذف الهمزة الثانية إذا كانت الأولى همزة وصل من فعل الأمر من المهموز الفاء .

يقول ابن الأنبارى عن أصل كلمة (كلوا) فى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الأَرْضِ حَلالاً طَيِّبًا﴾ «سورة البقرة : آية ١٦٨» .

« كلوا أصله : (أُ أْكُلوا) فاجتمع همزتان همزة أصلية وهمزة اجتلبت لئلا يبتدأ بالساكن، فاستثقلوا اجتماعهما ، فحذفوا إحداهما ، وكان حذف الهمزة الأصلية أولى من المجتلبة ، لأن المجتلبة دخلت لمعنى والأصلية لم تدخل لمعنى فكان حذفها أولى ، فلما حذفت الأصلية استغنى عن المجتلبة ؛ لأنها دخلت لئلا يبتدأ بالساكن وهى الهمزة الأصلية وقد حذفت ، فاستغنى عنها لزوال الساكن الذى اجتلبت من أجله ، فصار (كُلوا) ووزنه (عُلوا) بحذف الفاء التى هى الهمزة » [2].

يُفْهَم مما سبق أن فعل الأمر (كُلُوا) أصله (أُ أْكُلوا) من المهموز الفاء (أَكَلَ) وحدث له ما يأتى :

١ - حذفت الهمزة الثانية تخفيفاً، كراهية توالى همزتين. وإن الأصل فى حذف أحد المتماثلين أن يحذف الأول ، لكنهم لم يحذفوا الهمزة الأولى لأنها جاءت لمعنى، أى للابتداء بالساكن ، أما الثانية فلم تجئ لمعنى : (أُكُلوا) .

٢ - تحذف همزة الوصل لأنه لاحاجة لها؛ إذ الحرف الثانى وهو الكاف محرك : (كُلوا) .

---

(١) شرح الشافية ٣/٥٩ - ٦٠ .

(٢) البيان ١ / ١٣٥ .

ويرى الرضى أن الحذف هنا على غير قياس ؟ إذ القياس قلب الثانية واواً لانضمام ماقبلها، لكن الحذف جاء لكثرة الاستعمال . يقول :

«أصل: خذ وكل ومر: (أُؤْخُذْ و أُؤْكُلْ وأُؤْمُرْ)، وكان القياس قلب الثانية واواً لانضام ما قبلها ، فخفف بغير القلب ، وذلك بأن حذفت الثانية لكثرة الاستعمال . وعلى كل حال فالحذف أوغل فى التخفيف من قلبها واواً» [(١)].

ملاحظة :

ورد فى كتاب البيان فى قراءة حذف الهمزة الأولى للتخفيف إذا كانت للاستفهام وإن كان حذفها ليس بقوى .

يقول تعليقاً على (أئنكم) فى قوله تعالى : ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ﴾ «سورة الأعراف : آية ٨١» .

«تقرأ بحذف همزة الاستفهام[(٢)] ... ومن قرأ بحذف همزة الاستفهام فللتخفيف وحذف همزة الاستفهام ليس بقوى»[(٣)] .

ويبدو أن الهمزة هنا جاءت لمعنى وهو الاستفهام ، وإذا حذفت سيتحول الكلام إلى إخبار .

---

(١) شرح الشافية ٣/ ٥٠ .

(٢) قرأ (إنكم) بحذف همزة الاستفهام على الخبر المستأنف نافع وحفص عن عاصم وأبو جعفر ، وذكرها ابن عطية قراءة للكسائى ، وهى اختيار أبى عبيد . معجم القراءات ٣ / ٩٩ .

(٣) البيان ١/ ٣٦٧ - ٣٦٨ .

القسم الرابع

تخفيف الحرف الثانى بحذف حركته في الكلمات الثلاثية

ورد فى كتاب البيان حذف حركة الحرف الثانى تخفيفاً فى الكلمات الثلاثية ، وذلك فى موضعين : الأول : ما كان على وزن فعل ، والثانى : ما كان على وزن فعل . وفيما يلى بيان ذلك .

١ - تحذف الكسرة من الحرف الثانى فى كل ما كان على وزن فَعِلَ .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على كلمة (نكد) فى قوله تعالى: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا﴾ «سورة الأعراف : آية ٥٨» .

« يُقْرَأ (نَكْداً)[١] . . . ومن قرأ بفتح النون وسكون الكاف فإنه حذف الكسرة من (نكداً) لأن كل ما كان على فَعِل بفتح الفاء وكسر العين فإنه يجوز فيه حذف الكسرة ، كقولهم فى كَتِف : كَتْفٌ »[٢] .

٢ - تُحْذَف الضمة من الحرف الثانى فى كل ماكان على وزن فَعُلَ اسمًا كان أو بمنزلته .

يقول ابن الأنبارى تعليقاً على (وَهُوَ) فى قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ «سورة البقرة : آية ٢٩» .

«قُرِئَ (هْوَ) بسكون الهاء . . . فمن أسكنها جعل الواو كأنها من نفس

---

(١) قرأ بذلك : ابن مطرف وابن محيصن وقتاده والبزى بخلاف عنه . معجم القراءات ٣/ ٨١ - ٨٢ .

(٢) البيان ١/ ٣٦٦ .

(٣) قرأ بذلك نافع وأبو عمرو والكسائى وقالون وأبو جعفر والحسن واليزيدى . معجم القراءات ١/ ٧٢ .

الكلمة لأنها لاتنفصل عنها ، (وَهْوَ) بمنزلة عَضُد ، فكما جاز أن يقال فى عَضْد (عَضْد) بالإسكان فكذلك ههنا . وحكم الفاء مع (هو) حكم الواو فى جواز الضم و السكون»[1] .

يفهم مما سبق أن الاسم الذى على وزن (فعل) يجوز تخفيفه بحذف الضمة من عينه، ويحمل عليه كل ما كان على هذا الوزن وإن لم يكن اسماً ، ولم يكن كلمة واحدة : نحو : (وَهُوَ) و (فَهُوَ) ويجوز التخفيف بحذف الضمة ، فنقول : (وَهْوَ) (فَهْوَ) كما قلنا فى عَضْد (عَضْد) ، فقد عوملت الواو والفاء معاملة الحرف الذى من بنية الكلمة لأنهما لاينفصلان فى الاستخدام عما بعدهما .

- ويمكن أن يحمل عليهما كذلك اللام والهمزة ؛ لأنهما لاينفصلان عما يليهما، كقولنا : لَهْوَ أفضل من زيد فى (لَهُوَ) ومن أمثلة الهمزة قول الشاعر :

وقُمتُ للطيف مرتاعاً وأرّقنى   فقلت أَهْيَ سَرَتْ أم عادنى حُلُمُ

فقال: (أهى) والأصل (أهى) فحملت على وزن (فعل) بكسر العين[2] .

أما (ثُمَّ) فلا تعامل معاملة اختيها السابقتين (الواو والفاء) لأنها يمكن أن تنفصل عما بعدها بخلاف هذين الحرفين ، وأجاز الكسائى حملها عليهما فى قراءة «ثُمَّ هْوَ[3] يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ » «سورة القصص : آية ٦١» .

يقول ابن الأنبارى :

«لم يجز السكون معها إلا الكسائى ، فإنه قرأ بسكون الهاء حملاً على

(١) البيان ١/ ٦٩ .

(٢) الخصائص ٢/ ٢٣٢ .

(٣) قرأ بذلك : الكسائى والحلوانى عن قالون وأبو جعفر بخلاف عنه ونافع بخلاف عنه . معجم القراءات ٥/ ٦٢ - ٦٣ .

الواو والفاء لأنها من أخواتهما . وفرق الأكثرون بينهما ؛ لأن (ثُمَّ) منفصلة منها وتقوم بنفسها بخلاف الواو والفاء »[1] .

ويقول ابن جنى عن ذلك :

«وأما قراءة أهل الكوفة : ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ «سورة الحج : آية ١٥» فقبيح عندنا ؛ لأن (ثُمَّ) منفصلة يمكن الوقوف عليها فلا تخلط بما بعدها فتصير معه كالجزء الواحد»[2] .

وحذف الضمة والكسرة من الحرف الثانى تخفيفاً لغةُ بكر بن وائل وكثير من بنى تميم . يقول سيبويه فى: «هذا باب ما يُسكَّن استخفافاً وهو فى الأصل متحرك : وذلك قولهم فى فَخِذ : فَخْذ ، وعلى كَبِد: كَبْد ، وعَضُد: عَضْد ، وفى الرجُل : رجْل ، وفى كَرُمَ الرجل : كَرْمَ ، وفى عَلِمَ: عَلْمَ . وهى لغة وفى بكر بن وائل وأناس كثير من بنى تميم »[3] .

- وأرى أن حذف حركة العين بسبب وقوع هذه الحركة بعد النبرة مباشرة، ذلك أن المقطع الثالث فى كل مكان على وزن فَعِلَ أو فَعُلَ أو فعل، حين نعد من آخر الكلمة، هو الذى يقع عليه النبر. يقول الدكتور إبراهيم أنيس :

« أما فى الفعل الماضى الثلاثى ، مثل : كَتَبَ وفَرِحَ وصَعُبَ فالنبر يكون على المقطع الثالث ، حين تعد المقاطع من آخر الكلمة »[4] .

أى أن المقاطع الثلاثة هنا من المقاطع القصيرة المفتوحة (ص ح).

---

(١) البيان ١/ ٦٩ .

(٢) الخصائص ٢/ ٣٣٢ .

(٣) الكتاب ٤/ ١١٣ وانظر كذلك : لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة ١٥٢ و ١٦٢ .

(٤) الأصوات اللغوية ١٧٢ .

القسم الخامس : التقاء الساكنين

يقول ابن يعيش : « اعلم أن التقاء الساكنين لايجوز ، بل هو غير ممكن ، وذل من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه وما بعده كالمبدء به ، ومحال الابتداء بساكن ، فلذلك امتنع التقاؤهما .

وفى الوقف يجوز الجمع بين ساكنين، فيكون الوقف كالسادِّ مَسَدَّ الحركةِ ، كقولك : قام زَيْد ، وهذا بكْر . وإنا سد الوقف مسد الحركة لأن الوقف على الحرف يُمكِّن جرس ذلك الحرف ويوفر الصوت عليه ، فيصير توفير الصوت بمنزلة الحركة له ، ألا ترى أنك إذا قلت : (عَمْرْو) ووقفت عليه وجدت للراء من التكرير وتوفير الصوت ما ليس لها إذا وصلتها بغيره»[1] .

يُفْهَم من كلام ابن يعيش السابق ما يأتى :

١ - لايجوز التقاء الساكنين فى غير آخر الكلمة ، وسبب ذلك أن الساكن الأول بمثابة آخر حرف فى الكلمة عند الوقف عليه، والحرف الثانى بمثابة أول حرف فى الكلمة فى حالة البدء ، ومن المعروف أن البدأ بالساكن لايجوز ، وهذا هو السبب فى منع التقائهما .

٢ - يجوز التقاء الساكنين فى آخر الكلمة فى حالة الوقف ، وجاز ذلك لأن الوقف على الحرف الأخير بمثابة الحركة له لأنه يمكن المتكلم من أدائه أدائه أداءً تاماً ، وبذلك لايكون هناك ساكنان إلا ظاهراً فقط .

وإذا التقى الساكنان وجب تحريك أولهما ، والأصل أن يحرك بالكسر . يقول الرضى :

---

(١) شرح المفصل ٩/ ١٢٠ - ١٢١ .

« الأصل فى تحريك الساكن الأول الكسر ، لما ذكرنا أنه من سجية النفس إذا لم تُستَكرَه على حركة أخرى .

وقيل : إنما كان أصل كل ساكن احتيج إلى تحريكه من هذا الذى نحن فيه ومن همزة الوصل الكسر ؛ لأن السكون فى الفعل ، أى الجزم، أقيم مقام الكسر فى الاسم ، أى الجر ، فلما احتيج إلى حركة قائمة مقام السكون مزيلة له أقيم الكسر مقامه على سبيل التقاص .

وقيل : إنما كسر أول الساكنين وقت الاحتياج إلى تحريكه لأنه لم يقع إلا فى آخر الكلمة فاستحب أن يُحَرَك بحركة لا تلتبس بالحركة الإعرابية ، فكان الكسر أولى ؛ لأنه لايكون إعراباً إلا مع تنوين بعده أو مايقوم مقامها من لام وإضافة ، فإذا لم يوجد بعده تنوين ولاقائم مقامها عُلِمَ أنه ليس بإعراب، وأما الضم والفتح فقد يكونان إعراباً بلا تنوين ، وشئ قائم مقامه » .

ويجوز أن يحرك أول الساكنين بالكسر على الأصل أو الضم للإتباع. يقول ابن الأنبارى تعليقاً على (فمنِ اضطُرَّ) فى قوله تعالى : ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ «سورة البقرة : آية ١٧٣» .

« قُرِئَ (فمنِ اضطُرَّ) بكسر النون وضمها[١] . فمن كسر فعلى الأصل فى التقاء الساكنين ، ومن ضمها فللإتباع استثقالاً وكراهية للخروج من كسر إلى ضم ، ولهذا ليس فى كلامهم ما هو على وزن (فِعُلَ) بكسر الفاء وضم العين »[٢] .

---

(١) قرأ بكسر النون لالتقاء الساكنين : عاصم وحمزة وأبو عمرو والمطوعى والحسن ويعقوب والزهرى وطلحة اليامى وابن أبى ليلى القاضى و أبو عثمان عمرو وعمرو بن ميمون بن مهران وطلحة بن سليمان الرازى وسلام. وقرأ بالضم : نافع وابن عامر وابن كثير والكسائى وعبد الرحمن الأعرج وأبو جعفر . معجم القراءات ١/ ٢٣٦ .

(٢) البيان ١/ ١٣٧ .

- ويقــول فى موضــع آخر تعليقــاً على قوله تـعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ «سورة الأنعام: آية ١٠» .

«ولقد استهزئ ، قرئ بكسر الزاى وضمها[1] فمن قرأ بالكسر فعلى أصل التحريك لالتقاء الساكنين . ومن قرأ بالضم فعلى إتباع الفاء فى استهزئ » .

(١) قرأ بكسر الدال لالتقاء الساكنين : أبو عمرو وعـاصم وحمزة ويعقوب والحسن والمطوعى . وقرأ بالضم للإتباع : نافع والكسائى وابن كثير وابن عامر وأبو جعفر . معجم القراءات ٢/ ٣٩١ - ٣٩٢ .

الخاتمة

من خلال العرض السابق للبحث نستطيع أن نوجز أهم النتائج على النحو التالى :

١ - إذا أُغْلِق المقطع بواو ساكنة مسبوقة بكسرة ، فإنه يحدث لها مايأتى :

أ - تماثل الواو الكسرة ، فتقلب ياء .

ب - تماثل الياء الكسرة ، فتقلب كسرة قصيرة مثلها .

جـ - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة، كما فى : مِيْعاد .

الأصل : مِوْعاد > مِيْعاد > مِيعاد .

م ـُ و ع ـَ ـَ د ـُ ن > م ـِ ى ع ـَ ـَ د ـُ ن > م ـِ / ـِ ع ـَ ـَ د ـُ ن > م ـِ ـِ ع د ـُ ن .

٢ - إذا أغلق المقطع بياء ساكنة مسبوقة بضمة ، فإنه يحدث لها مايأتى :

أ - تماثل الياء الضمة ، فتقلب واواً .

ب - تماثل الواو الضمة ، فتقلب ضمة قصيرة مثلها .

جـ - تتحول الضمتان القصيرتان إلى ضمة طويلة، كما فى : موقن -

الأصل : ميقن > موقن > موقن .

م ـُ ى ق ـِ ن ـُ ن > م ـِ و ق ـُ ن ـُ ن > م ـُ / ـُ ق ـِ ن ـُ ن > م ـُ ـُ ق ـَ ن ـُ ن .

٣ - تحذف الواو أو الياء الواقعة بين حركتين متماثلتين ، ثم تحول الحركتان إلى حركة طويلة .

كما فى : قام وباع . الأصل : قَوَمَ وبَيَعَ > قام وباع

ق -َ و -َ م -َ / ب -َ ى -َ ع -َ > ق -َ × -َ م -َ / ب -َ × -َ ع
-َ > ق -َ -َ م -َ / ب -َ -َ ع -َ .

٤ - يتحول الصوتان المركبان (-َ و) و (-َ ى) إلى فتحة طويلة (-َ -) كما فى : يكَادُ ويُبَاعُ . الأصل : يكْوَدُ ويُبْيَعُ > يكَوْدُ ويُبَيْعُ > يكاد ويُباع ، ى -َ ك و -َ د -ُ / ى -ُ ب ى -َ ع -ُ > ى -َ ك -َ و د -َ / ى -ُ ب -َ ى ع -ُ بنقل حركة الواو والياء إلى الساكن السابق عليهما > ى -َ ك -َ -َ د -ُ / ى -ُ ب -َ -َ ع -ُ .

٥ - قلب الواو والياء همزة فيما ورد من أمثلة فى اللغة العربية لايعود بالدرجة الأولى إلى الناحية الصوتية ، وإنما سببه يكمن فى أن المتكلم آثر استبدال الصوت الانزلاقى (الواو والياء المحركتين) بصوت قطعى لا يتأثر بما قبله وهو الهمزة .

أ - فاستبدل الصوتين الانزلاقيين المركبين (-َ -َ و) و (-َ -َ ى) همزة فى نحو : سماء ورداء . والأصل : سَماو ورِداى .

ب - والصوتان الانزلاقيان (و -ِ) و (و -ُ) كما فى نحو : إلـه وأجوه. والأصل : وِله ووجوه .

جـ - والصوتان الانزلاقيان (و -ِ) و (ى -ِ) فى نحو عجائز ومعائش . والأصل : عجاوز ومعايش .

٦ - قلب الواو تاء فيما ورد من أمثلة ليس لسبب صوتى ، وإنما بسبب أن المتكلم آثر استبدال الصوت الانزلاقى بصوت قطعى لايتأثر بما قبله من حركات، وذلك كما ورد فيما على وزن افتعل ومشتقاته من المثال أى استُبْدِل الصوتان الانزلاقيان المركبان (-ِ و) و (-ِ ى) تاء فى مثل : اتَّقَى ومُتَّقِين . والأصل : أُوْتقى ومُوْتقين > اتَّقى ومتَّقين .

٧ - إذا وقعت الواو المحركة بضـمة بعد مقطع مغلق بصامـت صحيح ، فإنه يحدث لها واحد من أويين .

الأول : تماثل الواو حركـتها ، فتقلب ضمـة مثلها ، ثم تتحـول الضمتان القصيرتان إلى ضمة طويلة . مثل : يقول ، الأصل : يَقْوُلُ > يقول .

ی ـَ ق و ـُ ل ـُ > ی ـَ ق ـُ / ـُ ل ـُ > ی ـَ ق ـُ ـُ ل ـُ .

والثانى : تنقل الـضمة إلى الساكن السابق على الـواو فتسكن الواو ، ثم تماثل الواو الضـمة السابقة فتقلب ضـمة مثلها ، ثم تتحول الـضمتان إلى ضمة طويلة .

يَقْوُلُ > يَقُوْلُ > يَقُوْلُ .

ی ـَ ق و ـُ ل ـَ > ی ـُ ق ـُ و ل ـُ > ی ـَ ق ـُ / ـُ ل ـُ > ی ـَ ق ـُ ـُ ل ـَ .

٨ - حركة فـاء الماضى المبنى لـلمجهول مـن الأجوف فى نحو : قيـل وبيع، والأصل : قُوِلَ وبُيِعَ ، ليـست منقـولة من العين ، وإنمـا حدث للفـعلين السابقين وأمثالهما ما يأتى :

أ - تماثل حركة الفاء حركة العين ، فتقلب كسرة مثلها .

ب - تحذف الواو والياء لوقوعهما بين حركتين مـتماثلتين ، فتلتقى كسرتان قصيرتان .

جـ - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة .

ق ـُ و ـِ ل ـَ / ب ـُ ی ـِ ع ـَ > ق ـِ و ـِ ل ـَ / ب ـِ ی ـِ ع ـَ > ق ـِ × ـِ ل ـَ / ب ـِ × ـِ ع ـَ > ق ـِ ـِ ل ـَ / ب ـِ ـِ ع ـَ .

٩ - تُنْقَل العين إلى موضع اللام (قلب مكانـي) فى بعض صيغ اسم الفاعل من الأجوف فى مـثل هارٍ ، والأصل : هاوِرٌ ، ثم تحولـت إلى هارِوٌ فى الرفع والبحر ، ثم تُعَامل الصيغة معاملة اسم الفاعل من الناقص فى نحو : قاض ، ويحدث لها ما يأتى :

أ - تماثل الـضمة فى حالة الـرفع الكسرة الـسابقة علـيها ، فتقلـب كسرة مثلها .

ب- تُحْذَف الواو لوقوعها بين حركتين متماثلتين، فتلتقى كسرتان قصيرتان.

جـ - تتحول الكسرتان القصيرتان إلى كسرة طويلة .

د - تُقْصَّر الكسرة الطويلة لوقوعها فى مقطع مغلق .

هارو فى الرفع والجر > هار و فى الرفع والجر > هارين هارٍ .

هـ ـَ ـَ ر ـِ و ـُ ن > هـ ـَ ـَ ر ـِ و ـِ ن فى الرفع والجر > هـ ـَ ـَ ر ـِ × ـِ ن > هـ ـَ ـَ ر ـِ ـِ ن > هـ ـَ ـَ ر ـِ ن .

١٠ - تُحْذَف الياء الواقعة لاماً إذا توسطت فتحة قصيرة وضمة طويلة ، فتلتقى حركتان مـختلفتان فى الـطابع إحداهما مـنخفضة وهى الفـتحة والأخرى مرتفعة وهى الضمة الطويلة ، ثم تقلب الضمة الطويلة إلى مايمثلها صوتياً وهى الواو .

كما فى اشْتَرَوا وتنسون . والأصل : اشترَيُوا وتنسيَوُن .

<١> ش ت ـَ / ـَ ى ـُ ـُ / ت ـَ ن س ـَ ى ـُ ـُ ن ـَ > (١) ش ت ـَ / ـَ × ـُ ـُ / تِ ـَ ن س ـَ × ـُ ـُ ن ـَ > (١) ش ت ـَ ر ـَ و / ت ـَ ن س ـَ و ن ـَ .

١١ - إذا التقى حرفان من جنس واحد > فإنه يسكن الأول وتحذف حركته إذا

كان ماقبلـه متحركاً ، أو تنقل إلـى ماقبله إذا كان ساكنـاً ، ثم يدغم فى الثانى ، فى نحو : شد - والأصل : شدد > شدد > شد .

ويَوَدُّ - والأصل : يَوْدَدُ > يَوَدْدُ > يَوَدُّ .

١٢- إذا التقى حرفان متـقاربان صوتياً فإن أحدهما يتماثـل مع الآخر ، فيقلب إلى لفظ صـاحبه > ثم يُدْغَم فـيه . كـما فـى نحـو : ادَّارك والأصل: تدارك، الـتقت التـاء والدال ، وهما مـن مخرج واحد، ولافـرق بينهـما إلافى الجهر والهمس ، فسكنت التاء وجئ قبلها بهمزة وصل ، ثم ماثلت الدال فقلبت دالاً مثلها ثم أدغمت فى الدال الثانية .

تَدَارك > تُدَارك > اتْدَارك > ادْدَارك > ادَّارك .

ولا يحدث العكس > أى لاتتماثـل الدال مع التاء ؟ لأن الدال كـما يقول علـماؤنا الـقدامى أقـوى من التـاء ، إذ هى مجـهورة والتـاء مهمـوسة ، ولايدغم الأقوى فى الأضعف .

١٣ - إذا كانت فـاء افتعل حرفاً مـفخماً (صاداً أو ضاداً أو طـاء أو ظاء) فإن التاء تُقَرَّب صـوتياً من هذه الحروف المـفخمة ، وذلك بقـلبها إلى نظـيرها المفخم وهـو الطاء ، وبذلك يحدث الـتقارب والانسجام بـين الطاء وهذه الحروف لأنها جميعاً مفخمة ، وهـذا يسميه ابن جنى (الإدغام الأصغر) أى تقـريب التـاء من هذه الحـروف دون إدغام كـما فى نـحو : اصطـبر واضطرب واطرد واظطلم، والأصل : اصْتَبَر واضْتَرَب واطْتَرَد واظْتَلَم .

١٤ - الواو والياء فى نحو : بِيرٍ وسُولٍ ليستا مقلوبتين عن همزة ساكنة ، وإنما هما حركتان طويلتان ناتجتان عن إطالة الحـركة السابقة على الهمزة الساكنة بعد حذفها ، والأصل : بِئْرٌ وسُؤْلٌ .

١٥ - يجوز تخفيف الهمزة المتحركة المسبوقة بساكن ، وذلك بحذفها ونقل حركتها إلى ذلك الساكن ، كما فى نحو : مسلة ، والأصل : مَسْأَلَة .

١٦- إذا التقت همزتان ، الأولى متحركة والثانية ساكنة ، فإنه يجوز تخفيف الثانية بحذفها وإطالة الحركة السابقة عليها كما فى نحو : آدم وآخر ، والأصل : أَأْدَم و أَأْخُر . فالألف هنا فى آخر وآدم وأمثالهما ليست بدلاً من الهمزة .

١٧- إذا التقت همزتان ، الأولى محركة بالفتح والثانية محركة بالكسر، فإن الثانية يجوز أن تخفف بحذفها ، وبعد الحذف تلتقى حركتان قصيرتان فتحة وكسرة (-َ × -ِ) فينشأ صوت انتقالى هو الياء من جنس حركة الكسرة ، وذلك كما فى نحو : أيمة ، والأصل : أَئِمَّة . فالياء هنا نشأت بسبب الحذف ليُحافظ على تركيب الكلمة ، وليست بدلاً من الهمزة المحذوفة .

١٨- تحذف الهمزة الثانية دائماً فى موضعين :

الأول : فى المضارع من وزن أفعل (مهموز الفاء) وكانت همزته الأولى حرف مضارعة والثانية فاء الفعل ، أى على وزن (أُ أَفْعِلُ) كما فى نحو : أُكْرِمُ ، والأصل : أُ أَكْرِمُ - وقد حذفت الهمزة الثانية تخفيفاً من باب كراهية توالى همزتين لما فى الجمع بينهما من الثقل فى النطق . ثم حمل عليه باقى تصريفات المضارع المبدوء بالتاء والنون والياء ، وإنْ لم تلتق همزتان طرداً للباب على وتيرة واحدة، فنقول : تُكْرِمُ ونُكْرِمُ ويُكْرِمُ ، والأصل تُؤَكْرِمُ ونُؤَكْرِمُ ويُؤَكْرِمُ .

والثـانى: فى فعـل الأمر من مهـموز الفـاء ، كما فى نـحو : كُلْ ومُرْ ، والأصل أُؤْمُرْ وأُؤْكُلْ[1] . الأولى همزة وصل وقـد جئ بها لأن الحرف التـالى لها ساكن ، والـثانية فاء الـفعل . وحذفت الثـانية تخفـيفاً من باب كراهـية توالى همزتـين ، ثم حذفت الثانـية لأنه جىء بها توصلاً للنطق بالساكن وقد حذف فلا داعى لوجودها.

أُؤْمُرْ / أؤكل > امُرْ واكُلْ > مُرْ وكُلْ .

١٩- يُخَفْف الحرف الثانى من الـكلمات الثلاثية المحرك فيها جـميع حروفها ، وذلك بحـذف حركته فى لغـة بكر بن وائل وكثـير من بنى تميـم، وسبب ذلك وقوع هذا الحرف بـعد المقطع المنبور مـباشرة ، وهو الحرف الأول ، كقولهم : كَبْدٌ وعَضْدٌ فى : كَبِدٍ وعَضُدٍ .

(١) يجوز أن نقول فى هذا الفعل كذلك أُؤْمُرْ بجانب مُرْ ، ولا يجوز ذلك فى الفعل ذلك .

المراجع

- الأصوات اللغـوية ، للدكتور / إبراهيـم أنيس - مكتبة الأنجلـو المصرية - القاهرة ١٩٨٤ .
- البداية والنهاية ، لابن كثير - مكتبة المعارف بيروت / لبنان ١٩٩١م.
- بغية الـوعاة فى طبقات الـلغويين والنحاة ، لـلسيوطى (جلال الـدين عبد الرحمـن ابن أبى بكر) تحـقيق / محمـد أبو الفضـل إبراهيم - المكـتبة العصرية . بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- البيان فى غريب إعراب القرآن، لابن الأنبارى (أبى البركات كمال الدين). تحقيق د / طه عبد الحميد طه - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة . ١٩٦٩م .
- التطور اللغوى مظاهرة وعلله وقوانـينه ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٩٠م .
- التطـور النحوى لـلغة العـربية ، محـاضرات ألقاهـا المستشـرق الألمانى / برجشتـراسر - أخرجه وصححه الدكـتور / رمضان عبد التواب - مـكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٩٧ م.
- الخصائـص ، صنعة أبى الـفتح عثمـان بن جنى - تحـقيق / محمـد على النجار - الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ١٩٨٨م .
- دراسات فـى علم أصوات الـعربية ، لـلدكتـور / داوود عبده - مؤسـسة الصباح - الكويت بدونِ تاريخ .
- دراسة السمع والكلام ، صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ، للدكتور سعد عبد العزيز مصلوح - عالم الكتب - القاهرة ٢٠٠٠م .

- ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبى حيان الأندلسى - تحقيق الدكتور / رجب عثمان محمد - مكتب الخانجى - القاهرة ١٩٩٨م.
- سر صناعة الإعراب ، لأبى الفتح عثمان بن جنى - تحقيق / محمد حسن إسماعيل وأحمد رشدى شحاته عامر - دارالكتب العلمية - بيروت / لبنان ٢٠٠٠ م .
- سير أعلام النبلاء ، للذهبى (الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان) مؤسسة الرسالة - بيروت / لبنان ١٩٩٣م .
- شذرات الذهب فى أخبار من ذهب ، لابن العماد الحنبلى (أبى الفلاح عبد الحى) - دارالكتب العلمية - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- شرح التصريف ، للثمانينى (عمر بن ثابت) - تحقيق الدكتور / إبراهيم بن سليمان البعيمى - مكتبة الرشد - الرياض / المملكة العربية السعودية ١٩٩٩ .
- شرح شافية ابن الحاجب ، لرضى الدين الاستراباذى النحوى (محمد ابن الحسن) مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادى - تحقيق / محمد نور الحسن ومحمد الزقزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد - دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان ١٩٨٢ م .
- شرح مختصر التصريف العزى فى فن الصرف ، لمسعود بن عمر التفتازانى - تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم - دار السلاسل الكويت ١٩٨٣ .
- شرح المفصل لابن يعيشِ - مكتبة المتنبى - القاهرة بدون تاريخ .
- طبقات الشافعية ، لابن قاض شهبة الدمشقى (أبى بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد) تصحيح وتعليق الدكتور / الحافظ عبد العليم خان - عالم الكتب - بيروت / لبنان ١٩٨٧م .

- علم الأصوات ، للدكتور / كمال بشر - دار غريب للطبع والنشر - القاهرة ٢٠٠٠م .
- علم اللغة ، مقدمة للقارئ العربى ، للدكتور / محمود السعران - دار الفكر العربى - القاهرة ١٩٩٢ م.
- فقه اللغات السامية ، للمستشرق الألمانى / كارل بروكلمان - ترجمة الدكتور / رمضان عبد التواب - جامعة الرياض / السعودية ١٩٧٧م.
- فوات الوفيات والذيل عليها ، لمحمد بن شاكر الكتبى - دار صادر - بيروت / لبنان ١٩٧٤م .
- فى قواعد الساميات ، العبرية والسريانية والحبشية ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨٣م.
- الكتاب ، لسيبويه (أبى بشر عمرو بن قنبر) تحقيق / عبد السلام هارون - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٨٨م.
- كتاب الوافى بالوفيات ، لابن أيبك الصفدى (صلاح الدين خليل) باعتناء / أيمن فؤاد سيد - فرانز شتاينر / شتوتجارت - ألمانيا الغربية ١٩٩١ .
- الكنى والألقاب ، للشيخ / عبد العزيز القمى - مؤسسة الوفاء - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- لهجة تميم وأثرها فى العربية الموحدة ، لغالب فاضل المطلبى - وزارة الثقافة - العراق ١٩٧٨م.
- المدخل إلى علم الأصوات ، دراسة مقارنة ، للدكتور / صلاح الدين صالح حسنين - القاهرة ١٩٨١ م.

- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى ، للدكتور / رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى - القاهرة ١٩٩٧م .
- مدخل فى الصوتيات ، لعبد الفتاح إبراهيم - دار الجنوب للنشر - تونس - بدون تاريخ .
- معجم القراءات ، للدكتور / عبد اللطيف الخطيب - دار سعد الدين - دمشق / سورية ٢٠٠٢م .
- معجم المؤلفين ، لعمرو رضا كحالة - دار إحياء التراث العربى - بيروت / لبنان - بدون تاريخ .
- من لغات العرب ، لغة هذيل ، للدكتور / عبد الجواد الطيب - بدون مكان طبع وتاريخ .
- مناهج البحث فى اللغة ، للدكتور / تمام حسان - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ١٩٩٠م .
- المنصف ، شرح الإمام أبى الفتح عثمان بن جنى الكتاب التصريف ، للإمام أبى عثمان المازنى النحوى البصرى - تحقيق / إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين - وزارة المعارف العمومية - القاهرة ١٩٥٤م.
- همع الهوامع فى شرح جمع الجوامع ، للسيوطى (الإمام جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) تحقيق الدكتور / عبد العال سالم مكرم - الكويت ١٩٨٠م .

حروف العلة

دراسة لغوية

د. عبد الحميد عليوة مسعد
قسم اللغة العربية - كلية الألسن -
جامعة عين شمس

١- مدخل إلى حروف العلة :

درج اللغويون العرب على إطلاق اسم : حروف العلة على حروف : الألف والواو والياء ، من بين حروف العربية الثمانية والعشرين، وإطلاق اسم : الأفعال المعتلة على تلك الأفعال التى تشتمل على أى من هذه الحروف الثلاثة، سواء جاء واحد منها فى أولها، أو فى وسطها، أو فى نهايتها، وسواء حوت تلك الأفعال حرفاً واحداً منها، أو أكثر من حرف. أما بقية حروف العربية، فأسموها بالحروف الصحيحة ، أو بالصوامت الصحيحة ، والأفعال التى لا تشتمل على أى من الحروف الثلاثة. سموها بالأفعال الصحيحة ، أو السالمة . معنى ذلك ، أن ثمة ما يقسم أصوات اللغة إلى صوامت ، وإلى علل. وبتأمل ذلك الفارق نجد أن الصفة الأساسية التى تختص بها هذه الأصوات المعتلة، وتفرقها عن الأصوات الأخرى غير المعتلة، هى حرية مرور الهواء فى أثناء إصدار هذه الأصوات ، ودون أن تعترضه عوائق فى مجرى الفم : من غلق ، أو تضييقَ ، أو انحراف ، أو تكرير ، أو تحول من الفم إلى الأنف . . ، أو غير ذلك من العوائق التى تحدث مع بقيّة الأصوات الأخرى غير المعتلة .

وبمعنى آخر، إن هذه الأصوات الثلاثة تشبه الحركات فى أهم صفة من صفاتها، وهى حرية مرور الهواء من مجرى الفم، ودون اعتراض. لكن هذا الوصف لها ، لايعنى أنها حركات خالصة، فى كل صورها النطقية التى ترد عليها فى اللغة العربية؛ إذ إن هذه الأصوات ، أو الحروف المعتلة ، ترد فى اللغة على صور متنوعة، بعضها - وهى حروف المد - يشبه تماماً الحركات فى كل صفاتها ، بل يمكن القول : إنها هى الحركات الطويلة للحركات القصيرة العربية : الفتحة والكسرة والضمة . لكن بقية صور الحروف المعتلة ، فيها من صفات الحروف الصامتة ما ليس فى الحركات؛ كالحفيف المصاحب للواو والياء : حرفى العلة ، فهما بذلك من أشباه الصوامت نتيجة لهذا الاحتكاك، يضاف إلى ذلك : قصر تحققهما النطقى إذا قيسا بالحركات .

وثمة أشياء أخرى ، غير صوتية ، تجعلهما أشبه بالصوامت؛ حيث تدخل كل من الواو ، والياء فى توزيع المقاطع، كما سنرى فيما بعد. وهناك من يضيف الجهر ، والوضوح السمعى لهذه الحروف المعتلة ، إذا ما قيست بالصوامت ، لكن المتأمل لهاتين الصفتين، يجد أنهما محققتان بدرجة أو بأخرى فى بعض الصوامت أيضاً . من ثم ، استقر الرأى على أن أوضح ما يميز هذه الأصوات الثلاثة ، عن بقية أصوات العربية الأخرى، هو : حرية مرور الهواء معها فى الفم، دون أن تعترضه عوائق .

٢ - مصطلح حروف العلة :

إن مصطلح : حروف العلة ، لم يكن المصطلح الوحيد الذى يطالعنا فى كتب اللغويين العرب، بل نجده مرتبطاً بمصطلحين آخرين، هما : حروف اللين، وحروف المد، أى أن المصطلح العام الذى يمكن جمع هذه الحروف الثلاثة تحته هو : حروف العلة ، واللين ، والمد .

لعل السر فى هذه التسمية ، أتى من أن هذه الحروف ، لاتأتى على صورة واحدة ؛ حيث نجدها مرة محركة ، وأخرى ساكنة ، وثالثة مداً ، أو حركة طويلة لصامت يسبقها .

فمن نظر إليها ، وهى محركة، أى : تعقبها حركات، مثل : وَلَد، يَلِد، يَاسر، وَطن ، يَضرب ، وَهب .. الخ ، اعتبرها حروف علة .

ومن نظر إليها، وهى ساكنة ، مثل : بَيْت ، قَوْل، بَيْع، قَوْم .. الخ اعتبرها حروف علة ولين.

أما من نظر إليها على أنها حركات طويلة للصوامت السابقة عليها، فقد اعتبرها حروف مد ، مثل : قال ، باع ، يقوم ، يبيع .. الخ .

يعلل سيبويه لذلك؛ أى لكونها حروف علة إذا تحركت ، بقوله : «وإذا قلت : أريد أن أُعْطِيَهُ حقه ، فنصبت الياء ، فليس لها إلا البيان والإثبات؛ لأنها لمّا تحرّكت ، خرجت من أن تكون حرف لين، وصارت مثل غير المعتل ، نحو : باء ضَرَبَه ، وبَعُدَ شَبَهُهَا من الألف ، لأن الألف لاتكون أبداً إلا ساكنة»[1].

كما يؤكد ابن جنى تلك القوة التى تصير إليها الحروف المعتلة : الواو والياء ، عند تحركهما « فى مثل : الغُيُر ، والعُيَبَة ، والطِّوَل ، والعِوَض ، فتأتى بالياء بعد الضمة ، وبالواو بعد الكسرة ، أنه إنما جاز ذلك من قِبَل أن الياء والواو لما تحركتا ، قويتا بالحركة ، فلحقتا بالحروف الصحاح ، فجازت مخالفة ما قبلهما من الحركات إياهما .

وكذلك إذا أُدْغِمَتا فى مثل قولهم : «اجلَّوَذَ اِجلوّاذاً، واخروَّطَ اخرِوّاطاً،

---

(١) سيبويه. كتاب سيبويه ١٩٣/٤. تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل ، بيروت ط أولى .

فتصح الـواو . . . من قبل أنها لما أُدْغِمَت فـى التى بعدها قـويت ، وضارعت الحروف الـصحاح، فجـاز ثباتهـا مع انكسـار ما قبلـها ، وكذلك قـالوا : قَرْن أَلْوَى، وقُرُون لُىّ ، فصـحَّحوا اليـاء الأولى، وإن كانت سـاكنة مـضموماً ما قبلها، من قبل أنها قويت بالإدغام ، فحصَّنها عن القلب » [1].

أما مصطلح : حروف اللين ، فقد أطلقـوه على الواو والياء الساكنتين بعد فتحة، دون الكسرة والضمة ؛ لأننا نعـلم الحركات القصيرة أبعاض لحروف المد - كمـا أشار إلى ذلك ابـن جنى - ، بمعـنى : أن الحروف المعـتلة إذا سبـقت بحـركة من جنسها وأشبعتها بـعدها ساكنة، صارت إلى المد. يقـول ابن جنى : « إنك متى أشبعت واحدة منهن - يقصـد الفتحة والكسرة والضمة - ، حدث بعدها الحرف الـذى هى بعضه . . ، فالفتـحة إن اشبعتها حدثـت بعدها ألف ساكنة. . ، والكسرة إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة . . ، وكذلك الضمة لو أشبعتها نشأت بعدها واو سـاكـنة ، فلو لا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف ، وأوائل لها ، لما نشأت عنها، ولا كانت تابعة لها » [2].

معنى ما سبق : أن الـواو والياء إذا وردتا ساكنتين بعد فتحـة ، فهما حرفا لين ، كما فى : بَيْت ، ونَوْم ، وتثبتان ، لأنهما فى هذه الحالة تنقصان المد الذى فى الألف ، لكن يبقى فيهما اللين ، لسكونهما بعد حركة خفيفة هى الفتحة. ويعلل المبرِّد لثبوت الواو السـاكـنة بعد الفتحة بقوله : « وقد بينت لك أنه الفعل اعتل المصدر؛ إذا كان فيه مِثْلُ مـا يكون فى الفعل . فإن كان المصدر

---

(1) ابـن جنى. سـر صناعـة الإعراب ١/١٩ - ٢٠ دراسة وتحقيـق د. حسن هـنداوى . دار القـلم . دمشق، ط. ثانية ١٩٩٣ .

الغير : جمع غيور. العيبة : الكثير العيب للناس . اجلوذ السفر : طال، ومثله اخروط. قرن الوى : شديد الالتواء .

(2) سر صناعة الإعراب ١/١٨ .

من هـذا الفعل عـلى مثال (فَعْل) ثـبتـت واوه؛ لأنـه لا علة فيـها. وذلك قـولك : وَعَدْتُه وَعْداً ، ووَصَلْتُه وَصْلاً » [١].

أما إذا وردتا سـاكنتين بـعد كسرة ، أو ضـمة ، فهنـا ينشأ ثـقل يستـدعى حذفهما ، أو قلبهما ، أو إدغامهما - كـما سنرى فيما بعد - ، وفى هذا يقول المبرد: «اعلم أن هذه الواو إذا كان الفعل على (يَفْعِلُ) سقطت فى المضارع ، وذلك قولـك : وَعَدَ يَعِدُ ، و وَجَدَ يَجِدُ ، ووَسَمَ يَسِمُ . وسقوطهـا ؛ لأنها وقعت موقعاً تمتنع فيه الواوات؛ وذلك أنها بين يـاء وكسرة ، وجُعِلت حروف المضارع الأُخر توابع للـياء ؛ لئلا يختلف الباب، ولأنه يلـزم الحرف مالزم حرفاً منـها ؛ إذا كان مجازُها واحداً . . . وإن بـنيت المـصدر على (فِعْلَة) لـزمه حذف الواو ، وكان ذلك للكسرة فى الواو، وأنه مصدر فعل معتل محذوف . وذلك قولك : وَعَدْتُه عِدَةً ، ووَزَنْتُه زِنَةً، وكان الأصل وِعْدَة ووِزْنَة ، ولكنك ألقيت حركة الواو على العين ؛ لأن العين كانت ساكنة ، ولا يُبتدأ بساكن [٢].

هذا الثقل النـاشئ من وجود الواو ساكنة بين ياء وكـسرة ، أو من اجتماع الواو مع الكسر، لايكون مع الفتحة قبلها؛ لأن الفتحة حركة خفيفة؛ منفتحة، مخرجها من وسـط اللسان، ويكون الفم معهـا منفرجاً ، واللسان مستـلقياً فى قاع الفـم دون أدنى توتر، وهذا بعـكس الكسرة والضـمة اللتين توصـفان بأن موضع نطقـهما فى الفم من الأمام أو من الخـلف، وانفتاح الفم معـهما يكون منغلقاً ، وتـزيد الضمة مع الانغلاق باستـدارة الشفتين [٣]. ويؤكد المبرد ذلك بقوله : « فإن كـان الفعل على (فَعِل) كان مضارعة صـحيحاً - أى : لاتحذف

---

(١) المبـرد . كتاب المقتضب ١/ ٢٦٦ تحقيق محمد عبـد الخالق عضيمة، ١٣٩٩هـ ، ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . لجنة إحياء التراث الإسلامى .

(٢) السابق ١/ ٢٢٦ - ٢٢٧ وانظر سيبويه ٢/ ٢٣٢، ٣٥٨.

(٣) الطيب البكوش. التصريف العربى ٤٦ - ٤٩ تونس ١٩٧٣ .

الواو - إذا كان على (يَفعَل) ، وذلك قولك : وَجِلَ يَوْجَلُ ، ووَحِلَ يَوْحَلُ ، ووَجِعَ الرجل يَوْجَعُ؛ لأن الواو لم تقع بين ياء ، وكسرة » [1].

ومن ثم ، فلين هذين الصوتين : الواو والياء ، بعد الفتحة يأتي من قلة الكلفة ، والمشقة على اللسان والفم عند النطق بهما ساكنتين بعد فتحة ، وهذا بعكس لو سبقت الواو بكسرة ، والياء بضمة، ففى هذه الحالة يحدث الجمع بين ثقيلين؛ «وليس - كما يقول ابن جنى - ذلك راجعاً إلى الحروف، إنما هو استثقال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه، وأنت لو رُمْتَ أن تأتى بكسرة ، أو ضمة قبل الألف، لم تستطع ذلك ألبتةَ، وكذلك لو تكلفت الكسرة قبل الواو الساكنة المفردة، أو الضمة قبل الياء الساكنة المفردة لتجشمت فيه مشقة وكلفة لا تجدها مع الحروف الصحاح، وذلك أن تقول : قِوْل ، وطِوْل ، ثم تستثقل ذلك ، فتقلب الواو للكسرة قبلها: ياء ، فتقول :قِيل ، وطيل ، وقد قالتهما العرب مقلوبين هكذا، ونحوهما : مِيْزان ، ومِيْقات ، ومِيْعاد . كل هذا من الواو فى : وَزَنَ ، ووَقَتَ ، ووَعَدَ، وكذلك قالوا : مُوْسِر ، ومُوْقِن ، وأصلهما : مُيْسِر ، ومُيْقِن ، فكرهوا الياء بعد الضمة ، فأبدلوها واواً [2].

إن ابن جنى يسمى التحول الذى أصاب : قول، وطول ، وحولهما إلى : قِيْل وطِيْل بأنه قلب للواو ياء ، للكسرة قبلها .

ويسمى التحول الذى أصاب الياء بعد ضمة فى : ميقن ، وميسر ، وحولهما إلى موقن ، وموسر ، بأنه قلب للياء واواً ، للضمة قبلها .

هذه واحدة ويعلل ذلك القلب بأنه ناشئ عن الجمع بين ثقيل وأثقل منه،

---

(١) المبرد ١/ ٢٧٧.

(٢) ابن جنى . سر صناعة الإعراب ١/ ١٨ - ١٩ .

أى : حركة الضم أو الكسر ثقيلتان ، والواو والياء الساكنتان أثقل منهما ؛ لأنه فى هذه الحالة قد اجتمع أو تجاور المتنافران ، أو المتقابلان ، وهما الضم والكسر ، «و الضمة والكسرة مستقلتان فى الحروف المعتلة» [1] لأن الضمة تخرج من مؤخر الحنك، والكسرة من مقدم الفم.

هذا كلام لاغبارعليه، لأنه اتجاه عام فى اللغة من الجنوح إلى السهل اللين من الألفاظ ، ولو أدى ذلك إلى القلب ، والأبدال، والإدغام، والحذف .. . الخ . ولكن تفسيره لذلك بأنه قلب للواو ياء أو قلب للياء واواً فيه نظر ؛ لأنه ليس بقلب ، إنما هو حذف للواو والياء بعد كسرة أو ضمة، أو هو سقوط للحرفين المعتلين دون حركتيهما . هذا السقوط أشار إليه ابن جني، فى مكان آخر من كتابه ، وعلل له ، عندما قال : « وإنما كان الأصل فى قام : قَوَم ، وفى خاف : خَوِف ، وفى طال : طَوُل ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء متجانسة ، وهى الفتحة ، والواو ، أو الياء وحركة الواو والياء ، كُرِه اجتماع ثلاثة أشياء متقاربة ، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة (أى : ساكن دائماً ولا يتحرك أبداً) ، وهو الألف وسوغها أيضاً انفتاح ما قبلها ، فهذا هو العلة فى قلب الواو والياء فى قام وباع» [2].

لكننا مازلنا نقول : إنه ليس هروباً من الواو ، أو الياء إلى الألف ، بل هو سقوط للواو ، والياء تماماً ، مع بقاء حركتيهما ، أو هو سقوط للواو الساكنة بعد كسرة ، أو للياء الساكنة بعد ضمة، ومن الحركتين نشأ المد لحركة الحرف السابق لهما قبل سقوطهما ، أو نشأ المد بفعل النبر الساقط على حركة الحرف السابق لهما بعد سقوطهما ساكنتين.

إذن الضمة والكسرة مستقلتان مع الحروف المعتلة - كما قال المبرد -

---

(١) المبرد ١ / ٢٧٢ .

(٢) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٢ .

والنتيجة أن الواو والياء تسقطـان إذا حدث واجتمع مع الواو كسرة، أو اجتمع مع الياء ضـمة . وسواءاً كان الاجتماع مـع واو ساكنة أو متحركـة لأن الكسرة قبل الواو الساكـنة تتحول إلى ياء مد بتأثيـر النبر الساقط عليهـا كما فى : قيل وطيل ، وكذلك الـياء الساكنة بعد ضم تـتحول الضمة إلى واو مد بفـعل النبر الساقط عليها كما فى : مُوْسِر ومُوْقِن. أما الواو المتحركة ، أو الياء المتحركة ، فينشأ المد بعد سقوطهما من اجتماع حـركة ما قبلها مع حركتها؛ كما أشار ابن جنى : قَوَم < قام خَوِف < خاف، طَوُل < طال ، هَيَب < هاب؛ حيث تقلب حركة الواو أو الـياء إلى حركة مجـانسة للحركـة السابقة السـاقط عليها الـنبر القوي، ومن الحركتين المتجانستين ينـشأ المد، وليس القلب حادث للواو أو الياء كما صرح ابن جنى .

وسنعود إلى هذه النقطة المهمـة كلما لزم الأمر؛ لأن سقوط حروف العلة، عند حدوث قلـب لهذه الحروف يمثل نسبة كـبيرة من التغيرات الـتى تحدث لهذه الحروف فى اللغة العربية .

أما مصطلح المد، فمعناه : أن هذه الحروف الثلاثة : الألف والواو والياء، تأتى علـى صورة ثالثة ، غير الصورتين السابـقتين : حروف علة مـحركة، أو حروف لين سـاكنة بعد فـتحة . هذه الصورة الـثالثة هى صـورة حروف المد ، والمقصود بالمد هنا هو الطول ، وإذا ما علمنا أن الحركات القصيرة : الفتحة ، والكسرة والضمـة هى أبعاض لحروف المد واللين ، اتضح لنـا أن المقصود بالمد هو أن تـصبح هـذه الحروف حـركات طويـلة ، Long Vowels « وقـد كـان متقـدمو النحويين يـسمون الفتحـة الألف الصغيرة، والـكسرة الياء الصـغيرة ، والضمة الواو الصغيرة» [1]. إذن « فقد ثبت بما وصفـناه من حال هذه الأحرف أنهن توابع للحركات ، ومتنشئة عنها ، وأن الحركات أوائل لها ، وأجزاء منها،

(١) السابق ١/ ١٧.

وأن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة ، ويؤكد ذلك عندما أيضاً أن العرب ربما احتاجت فى إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ، ليس من لفظ الحروف [1]، فتشبع الفتحة، فيتولد بعدها ألف ، وتشبع الكسرة، فيتولد بعدها ياء ، وتشبع الضمة فيتولد بعدها واو ، وأنشد سيبويه :

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُه أَتَانَا   مُعَلِّقُ وَفْضَةٍ وزِنادَ راعِي [2].

حيث أشبع فتحة (بَيْنَ) للضرورة الشعرية ، فحدثت بعدها ألف[3]، والإشباع فى (بين) نوع من الترنم بالفتحة ، وليس مداً لها ؛ لأن المد للحركات يؤدى إلى تغير وظيفي، أى يخل بالنظام الاشتقاقى للغة، مثل : كتب وكاتب، وقتل وقاتل ، فهنا تغير الفتحة إلى فتحة طويلة أدى إلى اختلاف بين الكلمتين، بينما مطلُ - وليس مد - فتحة (بَيْنَ) أدى غرضاً إيقاعياً ، ولم يؤدِّ إلى خلل وظيفى للظرف.

غير أن المد الناشئ عنه حروف العلة ، لم ينشأ فقط عن إشباع الفتحة أو الكسرة أو الضمة؛ حيث رأيناه ينشأ عن اجتماع حركتين قصيرتين متنافرتين ، أو متقاربتين بعد سقوط حرف العلة من بينهما لاجتماع الأمثال ، وبعد سيطرة إحداهما على الأخرى بفعل النبر، أو بفعل أهميتها فى نظام اللغة - كما سنرى - .

بل رأينا المد ينشأ عن سقوط حرف العلة الساكن بعد حركة متنافرة معه ؛ للثقل ، ونشوء المد البديل عنه بفعل النبر الساقط على الحركة السابقة .

---

(١) أى تحتاج إلى صوت تستكمل به إيقاعاً ، ولا يكون له تأثير صوتيمى يخل بالمعنى ، كالغنة ، والترنم، والمطل، كما سيأتى الاستشهاد بذلك.

(٢) الوفضة : الكنانة توضع فيها السهام.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٣ وانظره بالخرم فى سيبويه ١/ ١٧١ وفى ابن يعيش : شرح المفصل ٤/ ٩٧.

٣ - نظرة علماء اللغة إلى حروف العلة :

يرى د. إبراهيم أنيس أن « أصوات اللين مع أنها عنصر رئيس فى اللغات، ومع أنها أكثر شيوعاً فيها ، لم يُعْنَ بها المتقدمون من علماء اللغة؛ فقد كانت الإشارة إليها دائماً سطحية، لاعلى أنها من بنية الكلمة، بل كعَرَضَ يَعْرِضُ لها ، ولايكون منها إلا شطراً فرعياً ، وليست العربية وحدها هى التى أهمل فى بحثها أصوات اللين، بل شاركها فى هذه أخواتها السامية، ولعل الذى دعا إلى هذا الانحراف، أن الكتابة السامية منذ القدم عنيت فقط بالأصوات الساكنة؛ فرمزت لها برموز، ثم جاء عهد عليها ، أحس الكتاب بأهمية أصوات اللين الطويلة، كالواو ، والياء الممدودتين، فكتبوهما فى بعض النقوش والنصوص القديمة، وظل الحال هكذا حتى وضعت أصوات اللين القصيرة (الحركات) فى العصور الإسلامية .

فالكتابة - التى ليست إلا وسيلة ناقصة للتعبير عن الأصوات اللغوية - صرفت القدماء عن أهمية أصوات اللين، فلم يرمز لها برموز فى صلب الكلمات، كما هو الحال فى الفصيلة الهندية الأوروبية (١) .

من النص السابق نفهم أن اهتمام علماء العربية القدامى بحروف العلة واللين والمد كان سطحياً ، لأنهم نظروا إليها كعرض يعرض للكلمة ، أى : ليست إلا شطراً فرعياً منها ، وبتعبير ابن جنى ، نظروا إليها على أنها حروف لين أو مد، وأن الحركات القصيرة ليست إلا أبعاض لحروف اللين.

رسخ هذا الاعتقاد لديهم نظام الكتابة العربية المشتق من النظام السامى الفينيقى القديم؛ الذى لايظُهِر فى مَتْنِه إلا الصوامت دون الصوائت، ومن ثم ،

---

(١) د. إبراهيم أنيس. بحث فى اشتقاق حروف العلة ١٠٤ - ١٠٥ مجلة كلية الآداب جامعة الإسكندرية ١٩٤٤، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر. والأصوات اللغوية ٣٧ط. خامسة ١٩٧٩ مكتبة الأنجلو المصرية.

صاروا ينظرون إلى حروف العلة واللين والمد، على أنها شئ فرعي يعرض للكلمة، كما يقول ابن جنى: «ذلك أن الحرف كالمحلّ ، وهي كالعرض فيه»[1]، وظلت هذه النظرة ملازمة لهم إلى أن أحسوا بأهمية الحركات الطويلة أولاً ، أي : حروف المد : ألف المد، وواو المد وياء المد، فرمزوا لها برموز : (ا . و . ى) ، وأدخلوها ضمن نظام أبجديتهم القديم، ثم فى العصور الإسلامية، بدؤوا فى وضع رموز للحركات القصيرة : ـَـ ـِـ ـُـ وللفتحة والكسرة والضمة .

لكننا نلاحظ ، من النص السابق أيضاً ، أن د. أنيس قد أطلق على هذه الحروف : أصوات اللين، وهذا المصطلح ، كما بينا فيما سبق ، ليس سوى إحدى صور ثلاث ، تأتى عليها هذه الحروف فى الكتابة العربية، أو هذه الأصوات فى اللغة العربية، وأن ثمة مصطلحين آخرين تسميان به كل من الواو والياء عندما تكونان حرفى علة، أو حرفى لين ، أما الألف ، فلا تكون إلا على صورة واحدة : حرف مد؛ لأنها لا تأتى إلا ساكنة، أي: إشباع لفتحة قبلها، أما الواو والياء ، فكما تأتيان حركتين طويلتين : حرفى مد ، تأتيان فى صورة حرفين صامتين أيضاً : أما إذا سكنتا بعد فتح ، فهما حرفا لين .

لقد أحس القدماء بذلك إحساساً كبيراً ؛ فنجدهم يتناولون هذه الأحرف بالمدرسة المكثفة فى كل كتبهم، وهذا على عكس ما يرى د. أنيس؛ حيث عرضوا لكل التحولات التى تحدث لهذه الأحرف، وعلى كل مستويات البحث اللغوى ، والصرفى ، والنحوى .

بل ليس علماء العربية وحدهم الذين اهتموا بحروف العلة واللين والمد ، عند دراستهم لأصوات اللغة ، فهذا (أرسطو) يضع مصطلحات ثلاثة لتقسيم حروف العلة إلى : مصوِّت ، ونصف مصوِّت ، وصامت .

---

(١) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٢٨ .

و«المصوِّت هو الحرف الذى له صوت مسموع من غير تقارب اللسان والشفاه، ونصف المصوت هو الحرف الذى له صوت مسموع مع هذا التقارب، ومثاله : حرفاً (Σ) { أى : س اللايتنى } ، و (P) { أى : ر اللايتني} ، والصامت هو الذى فيه هذا التقارب ، ولكن ليس له بذاته أى صوت ، وإنما يصبح مسموعاً إذا كان مصحوباً بحروف لها صوت ، ومثاله الحرفان : (Γ) {أى: گـ الجاف الفارسية أو الجيم القاهرية} و (Δ) {أى: د اللاتينية}[1].

بمعنى : أننا نجد تفريقا - لدى أرسطو - بين أصوات اللغة على أساسين مجتمعين ، الأول : فزيائى مسموع ، والثانى : نطقى موضعى .

فالمصوِّت لدى أرسطو ، يعنى : الحركات Vowels، وهذا هو الذى له صوت مسموع. أما الصامت لديه ، فيعنى الحرف Consonant، فهذا لاصوت له ، إنما له موضع تتقارب فيه أعضاء النطق: من لسان وشفتين عند النطق به ، ونحس بمكانه فيها ، لكننا لانسمعه إلاّ إذا انضم إليه المصوِّت ، فهو يجمع بين النوعين السابقين؛ أى نحس بموضعه لتقارب يحدث بين أعضاء النطق عند إصداره، ونسمع صوته عند هذا التقارب ، وهذا هو ما سمَّاه علماء اللغة المحدثون بأنصاف الصوامت، أو بأشباه الصوامت، أو سمُّوه بأنصاف أصوا اللين ، أو بأشباه أصوات اللين ، وهم فى كل هذه التسميات يعنون : الواو والياء العربيتين .

لكننا نرى أن هذا التحديد الأخير إنما هو على خلاف ما كان يقصده أرسطو من : (نصف المصوِّت) ، لأنه أشار إلى هذا النوع بمجموعة من الأصوات الأخرى من بينها الراء ، والسين ، كما أشار .

---

(١) د. محمد أمنزوى: أشباه الصوائت فى اللغة العربية ٤٨ مجلة اللسان العرب. نقلاً عن : أرسطو طاليس : فن الشعر. ترجمة د. عبد الرحمن بدوى ٥٥. د. دار الثقافة . بيروت ١٩٨٠مصور عن ط.١٩٥٢ .

بمعنى: أن «مصطلحهم شبه المصوِّت، أو نصف المصوِّت (Semi vowels) قد انتقل إلى اللغات الأوربية الحديثة ، بعد أن جُرِّدَ تماماً من المفهوم الاصطلاحي الإغريقي ، وحُمِّل مفهوماً جديداً » [١].

وتسمية الواو والوياء الصامتين (بشبه صائت) ، كان د. أنيس من أوائل ، إن لم يكن أول ، من أدخلها إلى العربية؛ حيث يرى أن « في تكوين الياء بدأت أعضاء النطق بمخرج الكسرة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة، وفي مثل هذه العملية ينتج الياء التي لها خصائص الأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } ؛ لأنه يسمع عند النطق بها نوع من الصفير، أو الحفيف ، وإن كان ضعيفاً جداً ولها خصائص أصوات اللين { يقصد : الحركات } ؛ لأنها ليست في الحقيقة إلا نتيجة الانتقال بين صوتي ليس {يقصد : حركتين } ، وكذلك الواو، بدأت أعضاء النطق معها بمخرج الضمة، ثم انتقلت بسرعة إلى مخرج الفتحة ، ولهذا سميت الياء ، والواو في نحو : وَلَد ويَسر .. أنصاف أصوات اللين » [٢].

بمعنى : أنه يرى أن « الواو والياء صوت انتقالي » ؛ أي : عند النطق به يحدث انتقال من موضع نطق حركة ، إلى موضع نطق حركة أخري، كما سبق أن أوضح .

لكننا نجده في كتابة : الأصوات اللغوية ، يعني بالصوت الانتقالي معنى آخر ، حين يقول : « ففي تكوين الياء نلحظ أن اللسان يكون تقريباً في موضع

---

(١) د. محمد أمنزوي ٤٩. وقد عرض د. امنزوى لتطور المصطلحات : صامت ، وحركة وشبه صائت أو Semi Vowel - Vowel Consonant من خلال استعراض استخدام الأوربيين والعرب لهذه المصطلحات في كتبهم وأبحاثهم فليرجع إليه من يشاء، وأخيراً، ارتضى تسمية : شبه الصائت مصطحاً لهذين الحرفين : (W.Y) أو الواو والياء من بينها.

(٢) د. أنيس. بحث في اشتقاق حروف العلة ١٠٥ - ١٠٦ والأصوات اللغوية ٤٢ - ٤٣ .

النطق بصوت اللين (i) ، مما يترتب عليه أننا نسمع ذلك النوع الضعيف من الحفيف ، فالياء لأنها تشتمل فى النطق بها على حفيف ، يمكن أن تعد صوتاً ساكناً { يقصد : صامتاً } ، أما إذا نظر إلى موضع اللسان معها ، فهى أقرب شبهاً بصوت اللين (i) ، ولهذا اصطلح المحدثون على تسمية الياء بشبه صوت لين .

وكذلك الواو ، لافرق بينها وبين الضمة (u) إلا فى أن الفراغ بين أقصى اللسان ، وأقصى الحنك فى حالة النطق بالواو، أضيق منه فى حالة النطق بالضمة (u) ، فيسمع الواو أيضاً نوع ضعيف من الحفيف، جعلها أشبه بالأصوات الساكنة { يقصد : الصامتة } . أما حين ينظر إلى موضع اللسان معها، فيمكن أن نعدها شبه صوت لين (u) .

فالياء والواو هما المرحلة التى عندها يمكن أن ينتقل الصوت الساكن {يقصد : الصامت } إلى صوت لين »[1].

نحن - إذن - أمام مفهومين للصوت الإنتقالى : الياء والواو ، الأول: يرى أن مخرجه يبدأ فى التكون من مخرج الكسرة، أو الضمة، ثم ينتقل بسرعة ، قبل أن ينتهى النطق به ، إلى مخرج حركة أخري، هى الفتحة ، وهذا ما يعرف فى الأوربيات بالصوت المزدوج Diphthong .

ولنا هنا تعليق على وصف د. أنيس لتكوُّن لاصوت داخل الفم، إذ يظهر من وصفه له أنه ينطق به أولاً ، ثم يعقبه بفتح الفم فتحة خفيفة ، ولعل هذا هو السر فى اعتقاده بأن الصوت الانتقالى: الواو أو الياء ، يبدأ فى التكون من منطقة تكون الضمة أو الكسرة، ثم ينتقل إلى منطقة تكون الفتحة . فى حين يفهم من وصف الخليل للأصوات، أنه كان يبدأ بإخراج الهواء حرا طليقاً عبر

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٢ .

الفم، مثل قولنا : آاااا . . ، ثم يقف فجأة على مخرج الصوت بالسكون هكذا : آااااتْ ، آاااوْ ، آاااایْ ، آااااسْ ، . . . الخ .

وهنا لايَعقُب الصوتَ فتحةٌ أو غيرها ، ولعل هذا هو السر فى تصوره الأول للصوت الانتقالى ، بأه انتقال من مخرج نطق حركة إلى مخرج نطق حركة أخرى .

الثانى : يرى أن الصوت الانتقالى يبدأ من مخرج إحدى الحركتين : (i) أو (u) ، لكنه لاينتهى على صورة الكسرة الخالصة؛ أو الضمة الخالصة ؛ التى يخرج معها الهواء فى حرية وانطلاق وجهر ، ولاتعترضه عوائق ، لكنه قبل انتهاء النطق به ، يحدث له ، وفى نفس موضع تكوُّنه الأول هذا ، نوع من الضيق فى مخرجه، ينتج عنه نوع ضعيف من الحفيف المسموع، فيقترب به من الصوامت الاحتكاكية، ويُبعِدُه عن الحركات الخالصة .

وأرى أن هذا التفسير الأخير لنطق الواو والياء العربيتين، هو الأصح بتسميتهما : أصواتاً انتقالية، أو حروف علة.

لأن المفهوم الأول، إذا تحقق فى لغات أخرى، كالأوربيات ، فإنه غير متحقق فى اللغة العربية ، لسبب بسيط، هو أن نظام العربية المقطعى يبدأ تكون المقطع فيه بصامت متبوع بحركة قصيرة (المقطع المتحرك)، أو بحركة مخطوفة، وهى فتح الفم بعد النطق بالصامت فتحة خفيفة ، حتى يسمع الصوت، وهو ما نسميه بالمقطع الساكن [1]، ولا يعرف نظام العربية المقطعى ذلك النوع من المقاطع الأوربية المشتمل على حركتين مختلفتين فى الكيف بعد الصامت . كما نجده فى الألمانية فى مثل : s.Stein حجر ، e.Frau سيدة ، r.Raum فضاء ، r. Raub سلب أو نهب حيث يبدأ تحريك المقطع بالحركة

(١) راجع بحثنا : اتجاه حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى. القاهرة ٢٠٠٠.

الأولى وهى الفتحة وقبـل أن ينتهى النطق بالمقطع نجد انزلاقـاً حركياً إلى حركة أخرى هـى (i) أو (u) علـى الترتيـب. هنا يـصح أن يطـلق على هـذا الحدث الفيزيائى السـمعى، أو الحدث الموضعى النطقي، أنه صـوت انتقالى أو انزلاقى Glide، وهو نوع ثالث من الحركات، غير الفتحـة الصريحة والكسرة الصريحة والضمة الصريحة، وغير ألف المد، أو واو المد، أو ياء المد العربية.

كما نلاحظ علـى هذا الصوت الانزلاقى أيضاً ، أنه فى نطقـه يكون تالياً لصـامت قبلـه، مشكـلاً له ومميزاً لـه ، وهذا بخـلاف الواو واليـاء العربيـتين الصامتـيين اللتين ترد ان مـفتوحتين أو مكـسورتين أو مضمومـتين، بل وتردان ساكـنتين أيـضاً كـما رأينـا فى حرف الـلين . أما الـواو واليـاء المدتين ، فـقد أخرجناهما من أشباه الصوائت؛ لأنهما مع ألف المد صوائت طويلة بالفعل أى حركات طويلة صريحة للفتحة والكسرة والضمة.

إذن ، الواو والياء الصامتـين العربيتين، لا يمكن عدُّهما صوتـين انتقاليين، أو أصوات مزدوجة كما يحـلو للبعض تسميتها، وفقاً لـلمفهوم الحركى الأول، ويمكن لنا - مع التحفُّظ - عدُّهما صوتين انتقاليين بالمفهوم الثاني، الذى يجمع بين الصوائت والصوامت فى حالة تشكُّلهما داخل الفم ؛ فهما شبه صائتين إذا نظرنا إلـى بداية تشكُّلهما وتـكوُّنهما، وهما شـبه صامتين إذا نظرنا إلـى انتهاء تشكلهما وتكونهما .

«فكل مـن الياء والواو صـوت انتقالى مـن أجل هذه الصـفة الانتقـالية، ولقصرهما ، وقلة وضوحهما فى الـسمع، وإذا قيسا بأصوات اللين، أمكن أن يعدا مـن الأصوات السـاكنة { يقصد : الـصامتة} . فللـياء والواو طبـيعة مزدوجة (١)».

---

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٤٣.

وقد وصف روسلو / لاكلوط أشباه الصوائت ضمن الصوامت، ونعتاها بالصوامت المصمتة، وهم فى تمييزهم لها إنما اعتمدوا على «مقياس صوتياتى نطقى يتمثل فى قِصَر مُدَّه التحقق النقطى فى أشباه الصوائت ، إذا قيست بالصوائت » (١).

كما أن وصف الواو والياء بأنهما أصوات انتقالية ، نجده مسجلاً فى المعاجم الاصطلاحية، لكن بمفهوم أشمل وأعم مما سبق؛ ففى معجم اللسانيات الذى أشرف على تأليفه (ج. مونتان) يقول : « يقصد بالمصطلحين : شبه صائت، وشبه صامت ، المترادفين عند عدد كبير من المؤلفين : الإنتاجات الصوتية خصوصاً (J) ، (W) ، (U) التى يمكن النظر إليها على أنها صنف وسط بين الصوامت، والصوائت ؛ لخصائصها النطقية (الانفتاح)، وتوزيعها داخل المقطع» (٢). ويذكر أن بعض علماء الأصوات يميزون بين شبه الصائت، وشبه الصامت؛ فهو شبه صامت حين يقع قبل قمة المقطع، كما فى كلمتى : تبيان tibia:n ، وأقوال aqwa:L ، وهو شبه صائت حين يقع بعد القمة المقطعية ، كما فى كلمتى بيض baid، وحوض ħawd . . ، ثم يشير إلى أن علماء الأصوات الأنكليز يستعملون مصطلحاً عاماً هو : الانزلاقى Glide الذى يتميز على صعيد السمات الفيزيائية بأنه ليس صائتياً ، ولا صامتياً »(٣) بمعنى : أن أشباه الصوائت : الواو والياء العربيتين صنف ثالث ، غير الحركات ، قصيرها وطويلها ، وغير الصوامت، إنها صنف يجمع بين الصوائت والصوامت، فيه من الصوائت: الانفتاح، وحرية مرور الهواء من الفم، وخروجه من مخرج الحركة. وفيه من الصوامت: الاحتكاك، والتضييق فى المخرج، والقصر

---

(١) د. محمد أمنزوى ٤٩ .

(٢) السابق. نفس الصفحة . والرمز (µ) يقصد به الصوت (٥) الموجود فى اللهجة المصرية فى قولنا : يوم ، ونوم ، وعوم.. الخ.

(٣) السابق . ٥١ .

النطـقى، وقلة الوضوح السـمعى إذا قيسـت كل من الواو والياء بـالحركات ، وقدرته على بناء المـقطع؛ حيث تشكل كل من الواو واليـاء فى العربية (وديان المقاطع)؛ فقد تأتى الواو، أو الياء فى بدايـة المقطع ، أى : قبل قمته الحركية - كما أشرنا من قبل - وسميناها بـحروف العلة فى مثل : ولد ، ويلد ، وقد تأتى الواو ، أو الياء بعد قمة المقطع الحركية ، وهى تلك التى سميناها بحروف اللين، فى مثل : بيت ، ونوم.

بمعنـى : أن علماء اللغـة الإنجليز عندمـا نظروا إلى الواو واليـاء، كصوت انزلاقى ، نظروا إليـه من زاوية دخوله فى تكوين المقطع؛ فـالواو أو الياء قبل قمـة المقطـع (الحركية) شـبه صامـت؛ لأنه حرف يـحمل حركـة، فهو أشـبه بالصـوامت الأخري، كمـا فى (يكتـب) ، (ولد) .. الخ ، والواو، أو الـياء الساكنة بعد قمـة المقطع شبه صائت؛ لأنه حرف لين يكمل المـقطع ، فهو أشبه بالحركات الطويلة ولكن دون المد فـيها مثل : بيت ، ويوم . . .الخ، وهم فى هذا يتفقون مع علماء العربية القدماء عندما وصفوا الأول بحرف العلة، والثانى بحرف اللين، أما حروف المـدّ فهم يتفقون معهم فى أنهـا ليست سوى الحركات الطويلة Long Vowels بتعبير أكثر وضوحاً واختصاراً.

تتوزع حروف العلة واللين والمدّ العربية على النحو التالى :

- تكون قِمَماً مقطعية حالاتها المدية مثل : قال ، مسلمون ، كبير.
- تكون ودياناً مقطعية فى بأدائه فى مثل : يَحْضَرُ ، وَجد.
- تكون ودياناً مقطعية منهية للمقطع فى مثل : بَيْت . نَوْم .

«إن بعض الأصوات مؤهلة بحكم خصائصها الذاتية، ووظيفتها فى نظام اللغة، لأن تكون الصـوت الأساسى فى المقطع ، عـلى حين يحتل بعـض آخر مركزاً ثانوياً فى تكويـن المقطع ، وتمتاز الأصوات المقطعية بأنهـا فى الغالب صوائت،

أو صوامت من النوع الذى يحمل شبهاً قوياً بالصوائت، وتتصف هذه الأصوات من حيث إصدارها بأنها ذات تطق واسع مفتوح Open articulation من حيث فيزيقيتها بالرنين.

أما الأصوات غير المقطعية، فتتصف على عكس ذلك بالنطق الضيق وانعدام الرنين»[1]. ومن ثَمَّ كانت الأصوات المعتلة :

(و . ا . ى) نتيجة لطبيعتها النطقية، وصفاتها الصوتية، قادرة على أن تشكل قمم المقاطع فى اللغة العربية، وعلى أن تُشَكِّل ودِيانَها أيضاً .

٤ - التحولات التى تطرأ على حروف العلة واللين والمدّ:

تسمى التحولات الصوتية التى تحدث للأصوات نتيجة لتأثُّرها بعضها ببعض بالقلب والأدغام؛ «وأقصى ما يصل إليه الصوت فى تأثره بما يجاوره، أن يَفْنَى فيه الصوت المجاور، فلا يبقى له أثر، وفناء الصوت فى صوت آخر هو ما اصطلح القدماء على تسميته بالإدغام، وتأثُّر الأصوات اللغوية بعضها ببعض ليس مقصوراً على الأصوات الساكنة (يقصد : الصامتة) ، بل قد يكون أيضاً فى أصوات اللين، وهو مايسمى بانسجام أصوات اللين Vowel Harmony[2]».

والقلب الذى يطرأ على حروف العلة، ويحولها إلى حروف لين، أو مد، راجع فى أساسه إلى إحداث نوع من الانسجام فيما بينها؛ فحروف العلة واللين والمد - كما أشار ابن جنى - كانت فى أساسها حركات : الفتحة والكسرة والضمة؛ « فإنك متى أشبعت واحدة منهن، حدث بعدها الحرف الذى هى بعضه، وذلك نحو فتحة عين (عَمَرَ) ، فإن أشبعتها حدثت بعدها (ألف) ، فقلت: عَامَرَ ، وكذلك كسرة عين (عِنَب)، إن أشبعتها نشأت بعدها ياء ساكنة،

(١) د. سعد مصلوح . دراسة السمع والكلام ٢٢٦ عالم الكتب ١٩٨٠ .

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ١٨٢ .

وذلك قولك: عينب ، وكذلك ضمة عين (عُمَر)لو أشبعتها لأنشأت بعدها واواً ساكنة، وذلك قولك : عُومَر، فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، وأوئل لها ، لما نشأت عنها ، ولا كانت تابعة لها[1].

بمعنى : أن أول تحول نسجِّله على هذه الحروف المعتلة ، هو ما يسمى بالمدّ، أي : تحولها إلى حروف مد ، وأن هذا المدّ ناشئ - في بعض منه - عن إشباع للحركات القصيرة، وسبق لنا أن علمنا لماذا تلجأ اللغة إلى مثل هذا الإشباع، « فالعرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مُجْتَلَب ، ليس من لفظ الحروف، فتشبع الفتحة . . . » [2].

وقد تستخدمه اللغة وسيلة من وسائل تنويع الاشتقاق، لاستخراج مختلف المعانى من الجِذْر، أو لإحداث فروق معنوية، أو لغايات تمييزيه بين صيغة وأخري، مثل : كَتَبَ وكَاتَبَ، وقَتَلَ وقَاتَلَ . . الخ.

لكن المتأمل لحروف المد العربية، يلاحظ أنها لم تنشأ كلها عن إشباع للحركات القصيرة، لكن - وكما سبق أن علمنا - من سقوط لحروف العلة دون حركاتها، حينما تجتمع الأمثال ، حيث يسقط حرف العلة بين علتين، وينشأ من الحركتين المتبقيتين المد الطويل ، بعد أن تتغلب إحداهما على الأخرى ، لأسباب موضوعية محددة في كل حالة.

صحيح أن ابن جنى هو صاحب ملمح السقوط؛ لاجتماع الأمثال، لكنه لم يحسن تفسير هذه الظاهرة التى تحكم حروف العلة فى أغلب تحولاتها، واكتفى بالقول : إنها راجعة إلى الثقل الناشئ عن اجتماع الثقيلين، ومرة أخرى بأن العرب كرهوا الخروج من الضم إلى الياء ، أو كرهوا الخروج من الكسر إلى الواو ، أو من الكسر إلى الألف. وقد سبق إيراد نصه الذى أشار

---

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/١٨.

(٢) السابق . ١/٢٣.

فيه بأنه « استكراههم الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً ، فليس ذلك راجعاً إلى الحروف، إنما هو استثقال منهم الخروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه . . . » [١]، بل ، وأضاف إليه : « وكذلك إن انكسر ما قبل الألف ، أو انضم ، قلبت الكسرة ياء ، والضمة واواً ، وذلك الياء في (قَراطيس) إنما هي بدل من لألف في (قِرطاس)، والواو في : (ضُوَيْرِب) إنما هي بدل من الألف في (ضارب) » [٢].

بمعنى : أنه علل السقوط بالثقل الناشئ عن اجتماع المثلين : ضمة بعد واو، أو كسرة بعد ياء ، أو ناشئ عن اجتماع المتنافرين : ضمة بعد ياء أو كسرة بعد واو ، وفي كلتا الحالتين يكون الاجتماع ثقيلاً في النطق ، وإن كان التماثل أثقل من التنافر ؛ لكون التنافر فيه تنوع حركي من الخلف للأمام، أو العكس ، وهذا ولاشك ، أسهل على اللسان من النطق بحركتين ثقيلتين متماثلتين ، لكون اللسان يكره، أو يَثْقُل عليه العودة إلى موضع واحد مرات متعددة في كلمة واحدة، وهو ما أسماه العرب بفصاحة الألفاظ، عند خلوها من مثل هذا التماثل، ومثّلوا له بكلمة : (مُسْتَشْزِرات) في بيت امرئ القيس الشهير، حيث تتقارب مخارج ألفاظ هذه الكلمة، أو تتحد في كلمة واحدة.

النتيجة أن العرب في مثل هذه المواضع، أسقطوا حرف العلة، ثم أدغموا إحدى الحركتين الثقيلتين في الأخرى بعد قلبها؛ لينشأ عنها مد طويل للحركة الأولى . أو أدغموا واحدة في الأخرى فقط لينشأ عن الأولى مد طويل .

وإدغام الحركات بعضها في بعض يكون بقلبها إلى حركة مماثلة للأخرى التي ستُدغَم فيها ، لينشأ عَن هذا الإدغام مدٌّ للحركة الأولى . وهذا يختلف

(١) انظر النص في هامش (٨) .

(٢) السابق نفس الهامش.

عن إدغام الصوامت؛ إذ يتطلب ذلك أن يسكن أحد الصامتين، ثم يُبدَل إلى حرف مماثل للحرف الذى سيدغم فيه، فينشأ عن الإدغام الصوت المُضَعَّف.

لقد سبق لنا القول : إن ذلك النص من ابن جنى يفسر لنا جوانب مهمة فى تحولات حروف العلة؛ منها :

كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف مدّ .

ومنها : كيفية تحولها من حروف علة إلى حروف لين، وفسّر هذا الأخير بأنه تحول من الصيغة التى على وزن (فِعْل) فى مثل : قِوْل ، وطِوْل ، إلى صيغة (فَعْل) التى ارتضوها اسماً ومصدراً ، فقالوا : قَوْل ، طَوْل ؛ حيث ورد حرف العلة فى الصيغتين ساكناً ، لكنه مسبوق بكسرة، وهى لاتناسب الواو؛ لاجتماع المتنافرين، فثَقُل ذلك على اللسان، فحوَّلوا الكسرة إلى فتحة؛ لأن الفتحة تجانس الضمة وتجانس الكسرة، أى تقع موقعاً وسطاً بين الضمة الخلفية والكسرة الأمامية، ومن ثَمَّ تَسْهُل الفتحة قبل الواو ، كما تسهل قبل الياء ، وهذا يفسر لنا لماذا تسهل حروف اللين على اللسان ، ولماذا تثبت الواو والياء الساكنتين مع الفتحة ولا تحذفان أو تدغمان.

كان يمكن لهذا الصيغة أن تستمر فى التحوُّل، لكنها وقفت عند هذا الحد، أى حد التحول إلى حرف لين ساكن مسبوق بفتحة؛ لأنهم قصدوا بها أن تكون اسماً ، ومصدراً على هذا الوزن (فَعْل) ، فلمَّا تحقق لهم ما أرادوا ، مع سهولة لفظه ، وقفوا به فى تحوله إلى هذا الحد، ليكون الوزن واحداً فى كل من الصحيح والمعتل؛ لاحظ: ضَرَبَ ضَرْباً، فَتَحَ فَتْحاً ، أَكَلَ أَكْلاً، وكذلك : قَالَ قَوْلاً ، وبَاعَ بَيْعاً وحَالَ حَوْلاً، وطال طولاً . . الخ.

ثَمَّة ملاحظة يمكن تسجيلها ، وهى أن حروف العلة، عندما تتحول فى أوزان اللغة إلى حروف لين، أى تُسكَّن، فإنها لاتستقر على حالتها اللينة تلك إلا إذا سُبِقَت بفتحة، وهى فى هذا تختلف عن الحروف الصحيحة التى يمكن

أن تسكن وتسبق بضمة أو بكسرة، مثل : شَرِبَ شُرْباً، ولِعَبَ لعباً .. الخ ، « على أن من العرب من يقلب فى بعض الأحوال الواو والياء الساكنتين ألفين للفتحة قبلهما ، وذلك نحو قولهم : فى الحِيْرة : حَارِىّ وفى طِيِّئ : طَائِىّ ، وأجاز غيرُ الخليل فى «آية» أن يكون أصلها «أيّة» ، فقلبت الياء الأولى ألفاً لانفتاح ما قبلها. وقالوا : أرض داويَّة ، منسوبة إلى الدَّوِّ، وأصلها : «دَوِّيَّة» فقلبت الواو الأولى الساكنة ألفاً لانفتاح ما قبلها ، إلا أن ذلك قليل غير مَقيس عليه غيره » [1].

بمعنى : أن التحوُّل من العلة إلى اللين، رغم سهولته على اللسان ، واطراده فى القياس مع نظيره الصحيح ، كان يمكن له أن يستمر فى التحول إلى صورة المدِّ ، بدليل وجود نماذج منه - كما سبق فى النص-، لكن هذا التحول لم يكتب له الحدوث مع صيغة اللين.

بل « تميل اللهجات العربية إلى التخلص من نصف العلة المُشكَّل بالسكون والمفتوح ماقبله عن طريق تغييره هو والفتحة بحركة طويلة من جنسه : فتحة + و ← ضمة طويلة مُفَخَّمَة : ضَوْء ← ضُوء ، لَوْز ← لُوز. وفتحة + ىْ ← كسرة طويلة مفخمة : بَيْت ← بِيت ، عَيْب ← عِيب» [2].

لكن يظل هذا التطور ، أو ذاك تطوراً لهجياً ، وهو تطور يجب أن يدرس دراسة مستقلة ، كما سبق لنا أن أشرنا إلى مثل تلك الظواهر فى اللهجات.

وليست كل الصيغ المعتلة تكون مفتوحة قبل حروف اللين الساكنة؛ فثمَّة صيغ يلزم فيها أن تكون مضمومة، أو مكسورة، بل ليست كل واو أو ياء تأتى ساكنة وهذا ما أشرنا إليه في تعليل ابن جنى السابق، لسر سقوط الواو أو الياء بعد الضمة أو الكسرة، للثقل الناشئ عن اجتماع المتماثلين، أو المتنافرين.

---

(١) السابق ١/ ٢٣.

(٢) د. احمد مختار عمر . دراسة الصوت اللغوى ٣٩٣ عالم الكتب، ١٩٩١.

فثمة تحوُّل يطرأ على الواو والياء عند بناء الأفعال المعتلة للمجهول ؛ فالواو في : فالواو في: قول ، وطول ، يلزمها التحرك بالكسر ، وأن تسبق بضمة، كما هو القياس في بناء الثلاثي للمجهول، فنقول : (قول وطول) فاجتمعت الأمثال الثلاثة : الضمة والواو والكسرة، فسقطت الواو ، أن حذفت ، فالتقى الثقيلان: الضمة والكسرة ، فكان لابد من الإدغام بتغليب إحدى الحركتين على الأخري، وتحويل الثانية مدا لها ، فلمن تكون الغلبة؟ وبخاصة أن كلتا الحركتين في صيغة البناء للمجهول يجب مراعاتها في هذا الوزن المميز للفعل المبني للمجهول.

باستقراء منهج العرب في التعامل مع الفعل الثلاثي الجذور ، نجد أنهم قد أعطوا لحركة عين الفعل أهمية كبيرة على ماسواها ، ويتضح ذلك من جدول تصريف الثلاثي ، و من ثمَّ ، تصبح الكسرة هي الأكثر أهمية ومراعاة، ومن ثم ، قلبت الضمة إلى كسرة لمناسبة الكسرة، ومن الكسرتين نشأ المد الموجود في صيغة البناء للمجهول، فقالوا : قيل ، طيل ، بيع ، نيم ، صيم . . الخ.

قس على ذلك بقية الأوزان الأخرى التي ذكرها ابن جني في نصه المشار إليه سابقاً ، مثل : (مِيزان) على وزن (مِفْعال) ، وكذلك : مِيقات، ومِيعاد والأصل فيها: مِوْزان ، ومِوْقات ، ومِوْعاد فاجتمع الثقيلان المتنافران: الكسرة والواو، وهم « كانوا يستكرهون الخروج من كسر إلى ضم بناء لازماً . . لأنه خروج من ثقيل إلى ما هو أثقل منه» ، فما التحول الذي أحدثوه للخروج من ذلك الثقل ؟ غَلَّبوا كسرة الميم على الواو الساكنة؛ لأسباب ، منها : أن الميم حرف صحيح مُحَرَّك بالكسرة، والحركة زادته قوة على قوة .

ومنها ، أن الوزن المقيس عليه هو : (مفعال) ، مكسور الأول.

ومنها ، أن الواو حرف علة ضعيفة سريع القلب والحذف والإبدال ، وقد جاء ساكناً ، فازداد ضعفاً على ضعف. ومن ثَمَّ ، كانت الغلبة لكسرة الميم، فأبدلت الواو ياء ساكنة لتناسب الكسرة قبلها فى المد.

إذن التحول الذى أصاب حروف العلة، قد سار فى اتجاهين : اتجاه اللين؛ بتسكينها بعد فتحة ، والوقوف بها عند هذا الحد.

واتجاه تحويلها إلى حروف مد من جنس الحركة السابقة عليها، وهذا الاتجاه الأخير وجدنا له سبلاً متعددة :

إما بإسقاط حرف العلة عندما تجتمع الأمثال ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل .

وإما بتغليب إحدى العلَّتين على الأخرى لأسباب موضوعية فى كل حالة فتقلب العلة الأخرى إلى علة مماثلة لها ، ومن الإدغام ينشأ المدُّ .

اللافت للنظر اطراد هذه القواعد فى معظم التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، وبتتبع الصيغ التى ذكرها ابن جنى فى نصه ، بل وغيرها من أمثلة لم يوردها، ونجد اطراداً لمعظم تحولات حروف العلة على هذا النسق:

ففى المثال الثالث الذى أورده، وهو اسم الفاعل من غير الثلاثى : مُوسِر، ومُوقِن، تطَّرد القاعدة؛ حيث نعلم أن اسم الفاعل من غير الثلاثى يصاغ على وزن مضارعة، مع إبدال حرف المضارعة ميماً مضمومة وكسر ما قبل الأخير.

و(مُوسِر) كان قياسها: مُيْسِر ، و (مُوقِن) كان قياسها : مُيْقِن ، فاجتمع الثقيلان : الضم والياء ، ولما كان الضم الأول ذا أهمية فى تمييز صيغة اسم الفاعل من غير الثلاثى، أبقى عليه، وقلبت الياء الساكنة واواً ساكنة؛ لأنها تناسب مد الضم، فصارت : مُوقِن ، ومُوسِر .

وفى صيغة التصغير : (ضُوَيْرِب) المشتقة من (ضارِب) ، نجد اطّراداً للقاعدة أيضاً ؛ فألف ضارب نشأت من إشباع فتحة الضاد؛ للتنويع الاشتقاقى : اشتقاق اسم الفاعل من : ضَرَبَ .

وعندما أرادوا اشتقاق صيغة التصغير من ضارب، اضطردت القاعدة؛ بدورها؛ حيث يضم الأول، ويفتح الثاني، وتضاف ياء ثالثة ساكنة فى الوزن الذى ارتضوه للتصغير.

فضُمَّت الضاد بعد أن كانت مفتوحة ، فتحولت ألف المد إلى واو مد ساكنة ؛ لاستحالة النطق بالألف بعد ضمة - كما قال ابن جنى -، ثم أضيفت ياء ثالثة ساكنة بعد الواو الساكنة، فصارت : ضُوْيْرب ، فالتقى ساكنان ثقيلان: الواو والياء ، والقاعدة تقول : بحذف الساكن الأول إذا كان حرف علة . لكن لو تم الحذف سيختل وزن التصغير خاصة أن الحرف الثانى فى وزن التصغير يحمل نبراً قوياً ، ولايسقط النبر فى اللغة إلا على مقطع متحرك، فما كان منهم إلا أن تخلصوا من التقاء الساكنين بتحريك الواو بالفتح، وأبقوا على الياء الساكنة الثالثة فنشأ اللين السهل على ألسنتهم : ضُوَيْرِب، وحافظت الصيغة على صورتها المصغَّرة.

وتطرد القاعدة أيضاً عند اجتماع حركتين متماثلتين؛ فى مثل : يدعو، ويسمو؛ فالأصل : يَدْعُوُ ، ويَسْمُوُ، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الواو بين ضمتين، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَدْعُو على وزن يَفْعُو .

وتطرَّد القاعدة عند اجتماع علتين متنافرتين؛ فى مثل : يحكى، ويرمى؛ فالأصل : يَحْكِي ، ويَرْمِي، فأدى اجتماع الأمثال الثقيل إلى سقوط الياء ، فاجتمعت الكسرة بالضمة ، ولما كانت الكسرة هى حركة عين الفعل، كانت لها السيطرة والبقاء ، فقلبت الضمة كسرة لتناسب كسرة عين الفعل، ومن الأدغام نشأ المَدُّ، وصارت : يَحْكِي ويَرْمِي على وزن يفعى .

وفى مثل : القاضى والداعى والساعى، نعلم أن الأصل هو : القاضي، والداعي والساعى، وأنها جميعاً على وزن اسم الفاعل من الثلاثى ، ويمكن تفسيرها مثل الصيغ السابقة. لكن ثمة تفسير آخر يدعمه ، وهو أن هذه الكلمة تحمل نبرين، لتعدد مقاطعها، حيث يسقط نبر قوى على كل من : القاف والضاد، والدال والعين ، والسين والعين على التوالي، وبسقوط النبر على الحرف تزداد الحركة الحاملة لهذا النبر قوة ، وتصبح لها السيطرة والظهور على ما يجاورها ، بل تصاب الحركة التالية لها بالإظلام الصوتى ، أى تحذف إن كانت قصيرة ويسكن الحرف بعدها ، وتقصر إن كانت طويلة ، والنتيجة أن حذفت حركة الإعراب بعد مقطع منبور، فسكنت الياء فأدعمت فى الكسرة قبلها ، فنشأ المد.

وبمثل هذه الطريقة، يفسر التحول الذى يصيب حروف العلة فى الأفعال التالية : يقضى ، ويدعو ، ويسعى ، ويبقى . . الخ .

وكذلك عند إسناد الأفعال المعتلة إلى الضمائر : واو الجماعة ، وألف الاثنين، وياء المخاطبة ، كما فى : يَرنُون ، وأنتِ ترمِين ، وهم يَسْعَوْنَ وأنت تَسْعِين . . الخ.

وبتطبيق القاعدة نلاحظ : سقوط الواو (لام الفعل) فى (يرنون) فصار الفعل (يرنُو) بالمد، على وزن : يفعُو ، لتوالى الأمثال .

وعند إسناده إلى واو الجماعة، التقى مدّان : مَدُّ عين الفعل ، وهو ذو أهمية كما نعلم ، ومَدُّ واو الجماعة : الضمير المسند إليه الفعل ، هنا يحذف مد عين الفعل رغم أهميته ، ويبقى مد الضمير؛ حتى لايفوت غرض الإسناد، كما أن القاعدة تقول : بحذف الساكن الأول عند اجتماع الساكنين فصارت : يَرنُون على وزن : يَفْعُون . .

يقاس على ذلك الإسناد إلى ياء المخاطبة .

أما الفعل (يَسْعَوْنَ)، فنلاحظ أن التحوُّل فيه صار فى طريق التحول إلى حروف اللين، وليس فى طريق التحول إلى حروف المد؛ وسبق أن علمنا أن كلا التحولين مقبول ، ومستساغ فى اللغة، وأن الصيغة بحروفها الموجودة فيها هى التى تفرض أحد التحولين، دون الآخر، وقد تحقق شرط اللين فى الفعل يسعي؛ إذ سقطت الياء أولاً لاجتماع الأمثال، فأدغمت ضمة الإعراب فى فتحة عين الفعل ، فنشأ المد، فصار يسعى على وزن: يفعى ، وبإسناده إلى واو الجماعة سقط مد عين الفعل لالتقاء الساكنين، فصارت واو الجماعة الساكنة مجاورة لفتحة العين فنشأ اللين السهل المقبول على الألسنة، وصارت الصيغة : يَسْعَوْنَ ، واكتفت بهذا التطور.

ثمة شذوذ ظاهرى نسجِّله على حروف العلة، فيه كسر للقاعدة الصارمة السابقة فى تحولات حروف العلة؛ هذا الشذوذ يحدث غالباً لأمن اللبس ، وهو أمر مشروع فى كل اللغات؛ فعند إسناد الفعل الماضى المعتل بالألف ، إلى ألف الاثنين، مثل: سعى ، ودنا، وهوى . . الخ فإننا نقول: سعيا ، ودنوا ، وهويا، حيث يعود حرف العلة فى مثل هذه الأفعال الناقصة إلى الظهور ، ولايسقط بين حركتين، كما هى القاعدة، والسبب فى ذلك هو أمن اللبس؛ لأنه لو لم يعد للظهور ، لكان النطق مع الأسناد إلى ألف الاثنين هو أيضاً : سعى Sa´aa ودَنَا Danna ، وهَوَى Hawwa . وهو نفس نطق الفعل عند إسناده إلى ضمير المفرد الغائب، فلكى لا يفوت غرض الإسناد إلى الاثنين حدث الشذوذ السابق للقاعدة، بعودة الياء ، والواو (لام الفعل الناقص) ، وتحريكهما بدلاً من حذفهما ، فصار الفعل بعد الإسناد إلى ألف الاثنين : سَعَيَا ، وهَوَيَا ، دَنَوَا . ساعد على قبول ذلك خفة الفتحة مع كل من الواو والياء ، فالفتحة - كما قلنا - حركة مجانسة، أى مجاورة لكل من الواو والياء

وليست حركة مماثلة أو متنافرة لهما ، والثقل ينشأ عن التماثل أو عن التنافر فى كل من الواو والياء، وليس عن التجانس .

أما آخر ملـمح نسجِّله على تحـولات حروف العلة؛ فهو : وجـود كلمات تثبـت فيها حروف العـلة متجاورة، دون حدوث الـتطور السابق الإشـارة إليه: وهو التحول إلى حروف لين ، أو حروف مد.

من هذه الكلمات : قاوَم ، وبايَع ، وناوَل وسايَر . . الخ فى هذه الأفعال نلاحظ أنها رباعية الحروف، وأن الزيادة فيها جاءت لتنويع الاشتقاق ، كما أن إيقاعها، أى : وزنها ، يختلف عن إيقاع نظائرها الثلاثية الحروف، مثل : قام، وباع ، ونال ، وسار . . الخ؛ ففى هذه الأفعـال الثلاثية نلاحظ اطِّراد حذف حرف العلة لتوالى الأمثال، ومن العلتين نشأ ألف المد.

كما أن هذه الأفعـال الثلاثيـة ذات زمن قوى واحد : قـــام قَ أْ مَ =/ـ ـُ/uu وكذل ك: سار ، ونال وبـاع : زمن قوى منبور ، يعـقبه زمن ضعيف غير منبور؛ يحفظ للكلمة إيقاعها : أى : وزنها .

أما : قاوَمَ وأمثالـها فإنها حاوية لزمنـين قويين منبورين، يتـعاقب مع كل واحد زمن ضعيف ، يحفظ للكلمة إيقاعها، أى : توازنها، لاحظ :

/ ق أْ - وَ مَ - / = ـ ـُ nu — n u[1].

بمعنى : أن الـواو فى قاوَمَ ، وأمثالها ، سـاقطة فى الزمن القـوى الثانى، ويسقط علـيها النبر القوى الثانـى ، والنبر من خصائصه أنه لايـسقط إلاّ على مقطع متحرك، كما أنه يقوِّى الحرف الـساقط عليه ، ويُظْهِره على غيره ، ويمنع حذفه وإلاَّ اختلَّ إيقاع الكلمَة.

---

(١) انظر شرح كل ذلك فى كتابـنا : إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف: دراسة فى الـنظرية والتطبيق . القاهرة ١٩٩٧ .

وسبق أن أشرنا إلى أن هذا الإيقاع الجديد لهذه الكلمة، وأمثالها ، هو إحدى وسائل الاشتقاق فى تنويع الكلمات، لاستخراج مختلف المعانى من الجذر، / فقاوم / تختلف لفظاً وإيقاعاً ومعنى عن / قام / ، وكذلك ساير عن سار ، وبايع عن باع . . الخ .

إذن فثبوت الواو المتحركة المنبورة فى مثل هذه الكلمات كان لضرورة إيقاعية، وليس كما يقول الطيب البكوش : « إن ثبوتهما - يقصد الواو والياء - يرجع إلى خفية النطق بالفتحة بعدهما - أى : بعد الألف -، لأنهما وسط بين الكسرة والضمة. أو أن ثبوتهما يرجع إلى تأثير طول الفتحة؛ فالحركة الطويلة قوية تكون عنصر استقرار فى الصيغة» (١).

نخلص مما سبق إلى الآتى :

- التحولات التى تطرأ على حروف العلة ، فتقلبها إلى حروف لين، أو مد سببها الأساسى، هو محاولة تحقق الانسجام الحركى Vowel/Harmony بينها وبين الحركات القصيرة من جهة، وبينها وبين بعضها البعض من جهة أخرى. هذا الانسجام دافعه الأساسى أو الرئيسى تحقيق السهولة النطقية، وهو مبدأ عام يغشى كل اللغات، وتحرص عليه.
- سار اتجاه التحول بين حروف العلة فى اتجاهين متوازيين :

الأول : تحولها إلى حروف لين.

والثانى : تحولها إلى حروف مد.

- امتاز التحول الأول ، بسكون حرف العلة: الواو أو الياء بعد فتحة، ووقف عند تلك المرحلة؛ لكنه اقتصر على صيغ وأوزان محددة جاء معظمها على: فَعْل ، ومَفْعَل، مثل: سَوْط ، وبَيْت، ومَوْقِد ومَوْلِد. . . الخ.

---

(١) الطيب البكوش. التصريف العربى ٥٤ وما بعدها .

• امتاز التحول الثانى : وهو تحول حروف العلة إلى حروف مد ، باتساع صيغه وأوزانه ومشتقاته وأمثلته، وانطلق فى تحوله من منطلقين :

١ - إشباع الفتحة والكسرة والضمة، فتصير إلى ألف المد، وواو المد، وياء المد.

٢ - سقوط الواو أو الياء عند توالى الأمثال، وقلب إحدى الحركتين وإدغامها فى الأخري، لينشأ عنها مد الأولى .

٣ - سقوط الواو المتحركة بعد كسرة ، أو الياء المتحركة بع ضمة لاجتماع الثقيلين ، ومن إدغام الحركتين ينشأ المد الطويل للكسرة، أو المد الطويل للضمة .

٤ - سقوط الواو الساكنة بعد كسرة، والياء الساكنة بعد ضمة للثِّقَل الناشئ عن اجتماع المتنافرين، ونشوء المد الطويل للكسرة، أو الضمة بتأثير النبر القوى الساقط عليهما.

٥ - يصح تسمية تحوُّل العلل إلى حروف لين بأشباه الصوامت ، ويصح تسمية تحوُّلها إلى حروف مد بأشباه الصوائت.

٥ - الإبدال التاريخى لحروف العلة :

تناول د. إبراهيم أنيس هذا الأبدال فى بحث له تحت اسم : بحث اشتقاق حروف العلة[١] عندما قال : « ويعنينا هنا استعمال الياء والواو كأصوات ساكنة { يقصد : صامتة } فى اللغات السامية عامة ، والعربية خاصة، ولكنى سأغفل الإشارة إلى استعمالها فى الأسماء الجامدة ، والحروف التى لانستطيع أن نميز فيها بصفة قاطعة أصول الكلمة، والزائد فيها. أما الأفعال ، والمشتق من

(١) انظر هامش ١٥.

الأسماء ، ففي غالب الأحيان يستطيع اللغوى أن يؤكد أصولها ، وأن يميز زوائدها .

وباستقراء صيغ الأفعال والأسماء المشتقة، لانكاد نعثر على واو أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة؛ ففى جميع صيغ الأفعال لانعثر على الواو التى هى من الأصوات الساكنة [يقصد : الصامتة] ، وليست أصلاً من أصول الكلمة إلا فى تلك الصيغة التى يسميها الصرفيون القدماء (افْعَوْعَلَ)، و (افْعَوَّلَ)، وهى صيغة لا ندرى لها أصلاً، ولم ترد لنا مستعملة لا فى القرآن الكريم، ولا فى شعر جاهلي، ولا أعرف لها نصاً عربياً قديماً ، فهى فى رأيي فى عداد الأسماء الجامدة .

أما الأسماء المشتقة ، فقد خلت جميعها من واو ، أو ياء ليست أصلاً من أصول الكلمة إلا صيغة (فَوَاعِل) فى جمع التكسير، التى اختصت بجمع اسم الفاعل أمثال : (دَوَافِع، ومَوَانِع) ، ولكن جموع التكسير من العناصر السامية القديمة التى احتفظت لنا بها اللغة العربية، دون أخواتها السامية، فنحن إذن نجهل الكثير من تاريخها ، وتطورها [1] .

معنى ما سبق : أن د. أنيس فى بحثه التاريخى عن حروف العلة وتطورها، أغفل الإشارة إلى حروف العلة فى الأسماء الجامدة، والحروف المبنية؛ لأن اللغوى لا يستطيع أن يميز بصورة قاطعة الحرف الأصلى فيها من الزائد، لكن اللغوى يستطيع أن يرد كل واو ، أو ياء إلى أصلها الذى اشتقت منه فى الأفعال، باستثناء الصيغتين (افعوعل وافعول) ، وفى الأسماء المشتقة ، باستثناء صيغة جمع التكسير (فواعل) .

ثم دعانا إلى البحث فى أول هذه الحروف، وكيف يقلب كل منها إلى صوت

(١) د. أنيس. بحث فى اشتقاق حروف العلة ١٠٦ والأصوات اللغوية ٢٣٨ وما بعدها .

لين طويل، وذكر أن «هذا نوع من البحث يمكن أن يسمى الإبدال التاريخى، وينتمى هذا البحث إلى ذلك الفرع اللغوى الذى يسميه الغربيون Etymology»[1].

أما د. كمال بشر، فقد رفض ما جاء عن الصرفيين العرب فى علاجهم لهذه الحروف المعتلة (و. ا. ى) ، والتى رأوا أن لها أصولاً منقلبة عنها، كما هو وارد فى علاجهم لها تحت باب الفعلين : الأجوف ، والناقص.

رفض د. بشر ذلك الأصل الذى قال به الصرفيون (للواو والألف والياء) فى هذه الأفعال ؛ لأنه «أصل افتراضى متوهم، لا أصل حقيقي، وذلك مانصوا عليه بالفعل . . والذى دعاهم إلى هذا السلوك هو خضوعهم لمنهجهم العام، وهو سيطرة فكرة الأصول على أذهانهم، ومحاولة حشد مختلف الأمثلة تحت قاعدة واحدة، أو تحت نظام واحد من البحث ، فإذا لم تنطبق القاعدة انطباقا تاما على بعض الأمثلة ، فإنهم يحاولون إرجاع كل فعل ثلاثى مجرد إلى النموذج الأساسى (ف ع ل) ، فإن وافقت الصيغة الوزن، فبها ونعمت ، وإلا وجب أن تفسر تفسيراً ما حتى تخضع لهذا الوزن»[2].

يرفض د. بشر علاج هذه الأفعال المعتلة، وفقا لطريقتهم تلك، ويرى أن علاجها يجب أن يسلك طريقا من اثنين :

- طريق وصفى يعنى بتسجيل الحقائق الموجودة فى الصيغة بالفعل، دون تأويل أو افتراض ، ويقول : « فى حالتنا هذه سوف نجد أنفسنا فى حاجة إلى معونة الدراسات الصوتية، وعن طريق هذه الدراسات سوف نعلم أن (قال) فى تركيبها الصوتى تختلف عن (نصر) مثلاً ، فكل منهما له تركيب مقطعى يختلف عن تركيب الآخر ، فقال تركيبها الصوتى هو: / ص ح ح / ص ح/ ، أما نصر، فمقاطعها هى : ص ح / ص ح / ص ح / ، فالأولى مكونة من

(١) السابق ١٠٧ .

(٢) د. كمال محمد بشر . دراسات فى علم اللغة ٢٤٣ - ٢٤٤ دار المعارف بمصر ١٩٧٣.

مقطعين اثنين، والثانية مؤلفة من ثلاثة مقاطع، هذا بالإضافة إلى أن هناك فرقاً فى كمية بعض المقاطع (ص ح ح × ص ح)» [1] .

هنا يلزمنا التوقف ؛ لنقول : إن فكرة تحليل مثل تلك الكلمات أو الصيغ وفقا للمنهج الوصفى، أو وفقا للمنهج التاريخى الذى افترضه - كما سيأتى - هى فكرة منهجية سليمة فى حد ذاتها، لكننا نختلف فى تحليلها مع التحليل الذى أورده د. بشر؛ لأنه فى تحليله رأى أن ثمة خلافاً مقطعياً كمياً، بل وكيفياً بين كل من : قال ، ونصر، ورأى أن هذه النظرة التحليلية قائمة على فهم مختلف لمكونات المقاطع الصوتية، التى هى اللبنة الأساسية لكل تحليل علمى للكلام العربى، بل والإنسانى، وقد سبق لنا شرح كل ذلك فى بحثين سابقين لنا [2].

فليرجع إليهما من يشاء حول هذه النقطة ؛ لأن التصحيح فيها جوهري! المهم أن د. بشر يقول : إن «قال» مكونة من مقطعتين، و«نصر» مكونة من ثلاثة مقاطع، كما أن كمية المقاطع فى «قال» تختلف عنها فى «نصر» ، ونحن نقول :

إن ايقاع الكلمتين واحد، أى وزنهما واحد ، وليست «قال» مكونة من مقطعين كما قد يتصور، وليست ثمة فروق كمية بين مكونات «قال» ، ومكونات نصر ، إنما الموجود هى فروق كيفية، لأننا لو نظرنا إلى عناصر اللغة المتحركة والساكنة التى تتكون منها كلمات اللغة، ولو وضعنا فى الاعتبار النبر أو الأنبار اللغوية التى تحملها كل كلمة ، لتحفظ لها إيقاعها الصوتي، أى : توازنها الإيقاعي، لاختلفت نظرتنا تماماً حول كل ما قيل عن المقاطع القصيرة والطويلة ، المغلقة والمفتوحة؛ فحقيقة الأمر أن قال مكونة من ثلاثة عناصر

---

(١) السابق : ٢٤٤ .

(٢) انظر هامش ٢١، وهامش ٣٤.

شأنها شأن « نصر» تماماً ، هذه العناصر هى : ق . أْ . لَ فى : قال ، وهذه العناصر هى : نَ . صَ . رَ فى : نصر ، أما النبر اللغوى فى الكلمتين، فيسقط على المقطع الأول فيهما ، أى على (قَ)، وعلى (نَ) ، ويشكل هذا المقطع المنبور نبراً أولياً ، نصف الكلمة ، أو الزمن القوى فيها ، يتعاقب مع هذا الزمن القوى زمن ضعيف يساويه تماماً ، لكنه غير منبور، ليحفظ للكلمة توازنها الصوتى ، هذا الزمن الضعيف فى (قال) مكون من عنصرين : (أْ. لَ) أى الألف الساكنة واللام المحركة بحركة قصيرة، وكل واحد منها يساوي/ $\frac{1}{2}$ / نصف وحدة زمن غير منبورة . وفى (نصر) يشكل الزمن الضعيف العنصران : (ص.ر) وكل عنصر يساو ($\frac{1}{2}$) نصف وحدة زمن غير منبورة أيضاً .

معنى ذلك أن الفعلين متساويان تماماً من الناحية الكمية، كل من هنالك أن الزمن الضعيف فى : «قال» أحد عنصريه ساكن والآخر متحرك، أما الزمن الضعيف فى : «نصر» ، فالعنصران متحركان .

ما يعنينا هو أن د. بشر، وفقاً لمنهجه فى التحليل، من عدم الاعتداد بالعنصر الساكن، أو ما نسميه نحن بالمقاطع الساكنة، قد خرج علينا بنتيجة نختلف معه فيها ، إذ يقول : « إن قال وزنها فال ، وغزا وزنها فعا، أما نصر فوزنها فعل »[1]، ويقول : « ولاضير من هذا العمل بحال من الأحوال ، إذ هو ممثل للحقيقة الواقعية، فضلاً عن سهولته ، وتمشيه مع روح المنهج السليم، فهنا اتبعنا مبدأ (تعدد الأنظمة) فى إطار المنهج الوصفى ، وهذا شئ تفرضه الحقائق الناطقة، فقد رأينا أن قال ، ونصر مثلاً - وإن كانا فعلين ثلاثيين مجردين - يختلفان فى تركيبهما المقطعى، وهذا يوجب علينا معاملتهما بطريق مختلف؛ لأن إخضاعها لقاعدة واحدة، أو اتباع مبدأ توحد الأنظمة فى

(١) السابق : ٢٤٤.

علاجهما سوف يؤدى إلى نتائج مضطربة معقدة، كما هو الواقع بالفعل فى تفسير الصرفيين التقليديين لتصريف هذه الأفعال ، ونحوها » [1].

أقول : ليس صحيحاً أن كلام د. بشر ممثلاً للحقيقة الواقعة؛ لأنه مبنى على فهم مختلف لمكونات الكلام العربى، بدليل أنه ناقض نفسه فى نفس النص، حين قال : « إن قال ونصر مثلاً فعلان ثلاثيان مجردان» ، معنى ذلك أنه اعتدَّ بالألف الساكنة جذراً ثالثاً ، إذن تفسير الصرفيين التقليديين لهذه الأفعال لم يكن خاطئاً كما ادَّعى هو .

النقطة الثانية المهمة فى كلام د. بشر، موجودة فى حديثه عن الطريق الثانى فى التحليل، وهو طريق المنهج التاريخى ، الذى يقضى بتتبع تاريخ تلك الصيغ الواردة فيها الواو، أو الياء؛ للكشف عما أصابها من تغير عبر فترات التاريخ.

يقول : « ولنا هنا أن نتساءل : هل أتى على نحو (قال) ، و (غزا) فترة من الزمن كانتا تنطقان فيهما : قَوَلَ ، وغَزَوَ، ثم عرض لهما تطور فى أصوات العلة أدى إلى هذه الصيغة الحاضرة ؟ » [2].

إن مثل هذا التساؤل من د. بشر غير ذى بال ؛ لأنه افتراض لم يقل به أحد، والغريب أنه راح ينقل لنا نصوصاً فيها ألفاظ معتلة بالواو أو الياء، وجاءت الواو أو الياء مصححة فيها، على خلاف من نطقها الذى نعرفه، وننطقها به ؛ ليحاول تأكيد وجود بقايا تاريخية للواو أو الياء المصححتين.

إن السؤال بهذه الصورة يغفل حقائق علمية لايمكن إنكارها . . ، والأصح أن يأتى السؤال على النحو التالى : هل الصورة بالألف فى مثل : قال وغزا

---

(١) السابق : نفس الصفحة.

(٢) السابق : ٢٤٥.

وأطال . . الخ ناشئـة عن تحول أصاب حروفا أخرى صامـتة ، أو حروف علة متحركة ، أو ساكنة ؟ وهل ذلك التحـول كانت له مبررات صوتية؛ أو لغوية ، أو عروضية، أو نحوية ؟ أم أن الصورة بالألف صورة مرادفة لصور أخرى بغير الألف، وكلتاهما مستخدمتان فى الكلام العربى؟ وغير خاف ما بين تساؤل د. بشر وتساؤلنا من اختلاف فى المفهوم .

أصحح ذلك ، لأن ابن جـنى قد سبقنا جمـيعاً فى تصحيح هـذا الاعتقاد الخاطئ، عندما قال : « هذا الموضع كثير الإيـهام لأكثر من يسمعه ، لا حقيقة تحته وذلك قولنا : الأصل فى قام قَوَمَ، وفى باع بَيَعَ ، وفى طال طَوُلَ ، وفى خاف خَوِفَ ، ونَوِمَ ، وهَيَبَ ، وفـى شَدَّ شَدَدَ، وفى اسـتقـام اسْتَقْوَمَ، وفى يستعـينُ يستَعْوِنُ ، وفى يستعـد يستَعْدِدُ. فهذا يُوهِم أن هذه الألـفاظ، وما كان نحوها - مما يدعى أن له أصلاً يخالف ظـاهر لفظه - قد كان مَرَّةً يقال ، حتى أنهم كانوا يـقولون فى موضع قام زيد. قَوَمَ زيد، وكـذلك نَوِمَ جعفر ، وطَوُلَ محمد ، وشَدَدَ أخوك يده، واستَعْدَدَ الأمير لعدوه. **وليس الأمر كـذلك ، بل بضده ، وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا على ما تراه وتسمعه .**

وإنما معنى قولنا : إنه كان أصله كذا : أنه لو جاء مجئ الصحيح ، ولم يُعَلّ لوجب أن يـكون مجيئـه على ماذكرنا ، فـأما أن يكون استـعمل وقتاً مـن الزمان كذلك، ثم انـصرف عنه فيما بـعد إلى هذا اللفـظ فخطأ لايعتقـده أحد من أهل النظر »[1].

كلام ابن جنى واضح جَـلِى لا لبس فيه، لأن العرب فى أفعالـها وأسمائها وصفاتها، قد استـقرت على نطق نهائى لهذه الألفاظ، رأت فـيه الصورة المثلى من الناحيـة اللفظية، حيث السهـولة المتحققة من تفـاعل الأصوات : صوامت

---

(١) ابن جـنى الخصائص ٢٥٦/١ تحقيق محمد على الـنجار . الناشر : دار الكتاب العربى بدون تاريخ، ومصور عن ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢ وما بعدها .

وحركات، بعضها مع البعض الآخر، فى المخارج والصفات، غير عابثة بالجذور التى نشأت عنها تلك الصور النطقية . وهذا ماعبر عنه ابن جنى بالإعلال فى الحروف المعتلة، فهذه الحروف صورتها المثلى ألا تأتى على الأصل، فإذا حدث وجاء فعل أو اسم أو صفة فيه حرف من حروف العلة مكان فعل صحيح، ولم يعل، لكان مجيئه على تلك الصوة (غير المستخدمة) فى النطق، أى بالتصحيح فى حروف العلة.

وأن العرب لم تغير ما استقرت عليه - أى : من إعلال هذه الحروف دائماً - إلا عند الضرورة القصوي؛ كأن تحتاج إلى حرف متحرك مكان حرف ساكن، أو تحتاج إلى حرف تكمل به إيقاع بيت أو تفعيله، فتعود إلى ألفاظها التى يتكون منها بيت الشعر ، مثلاً ، فتصحِّح ما أعلَّت ، وترد ما حذفت لالتقاء الساكنين، وهكذا . . وهذا كلام واضح ومعروف لكل من له دراية بصنيع العرب فى أشعارهم ومأثورهم من لغتهم .

فالبيت الذى أورده ابن جنى إشارة إلى تلك الضرورة ، وهو :

صَدَدْتِ فأَطْوَلْتِ الصدودَ وقلما وصالٌ على طول الصدود يدومُ [(١)].

فلو قال : صددتِ فأطلتِ الصدودَ وقلَّما . . .

فإن التفعيلة ستتغير من (مفاعيلن) إلى (متفاعل) ، وهو تغيير كفيل بخروج البيت من البحر الذى صاغ الشاعر قصيدته على إيقاعه.

وكذلك قوله : [(٢)].

تراه ، وقد فات الرُّماةَ كأنَّه :. أمامَ الكلابِ ، مُصْغِيُ الخَدِّ أصلمُ

حيث أثبت الشاعر الياء فى مصغى وحركها بالضم، ولم يُعِلّها الإعلال

(١) السابق ١/٢٥٧.

(٢) السابق ١/٢٥٨ .

السابق شرحه : بحذف الياء لاجتماع الأمثال، ثم ادغام الضم فى الكسر فى صورة مد طويل للكسر، ثم حذف هذا المد الساكن لالتقاء الساكنين.

لأنه لو فعل هذا الإعلال الطبيعى الذى يُفْعَل بهذه الكلمة فى غير الشعر، لتحولت التفعيلة من (فعولن) إلى (فَعْلُن) ، وهذا غير مسموح به فى حشو هذا البحر الطويل ؛ لأن النبر الإيقاعى Ictus فى (فَعْلُن) يسقط على فتحة الفاء ، بينما النبر الإيقاعى فى (فَعُولُن) يسقط على ضمة العين، بمعنى : أن فَعْلُن تبدأ بنبر قوى، أما فَعُولن فتبدأ بنبر ضعيف، وشتان بين الاثنتين فى إيقاع الشعر العربى القديم . ومن ثَمَّ حرَّكها الشاعر على أصلها الجِذرى للضرورة الإيقاعية.

فإذا كانت ضرورة التخلُّص من التقاء الساكنين تُلزِم العربى بحذف الساكن الأول إن كان حرف علة، أو تحريكه إن كان حرفاً صحيحاً ، فإن ضرورة الإيقاع تُلزِمه فى المقابل بتحريك العلة الساكنة ، ليستقيم له الوزن إذا احتاج إلى ذلك .

رغم كل ذلك ، يرفض د. بشر، ويقول « القول بأن هذه الأمثلة ونحوها من ضرورات الشعر قول لامُسَوِّغ له » [(1)]. بل ، وقوله : « إن هناك عشرات من الأمثلة - من هذا الباب - وردت بالتصحيح لا بالإعلال، فى غير ضرورة فى الأسماء نحو : الهيَف والحوَر والعوَر»[(2)]، وأقول :

إن ورود تلك الأمثلة بالتصحيح وليس بالإعلال ، على خلاف من نهج العرب فى كلامها، كان يقتضى منه التريث، وإعمال النظر؛ لأن كلمة (الحَوَر) نجد أن أمن اللبس، بل والتنوع الاشتقاقى يحكمانها، فاللغة فيها : (الحُوْر العين)، أما الحور بالتصحيح والتحريك، فاستخدمته لـ (حَوَر العينين) وهو

(١) د. بشر. دراسات فى علم اللغة ٢٤٥.

(٢) السابق نفس الصفحة .

معنى آخر خلاف الأول ، كما أن اطرّاد الإعلال فى مثل هذه الكلمة موجود فى اللغة أيضاً ، ففيها الماء الحار والزيت الحار، ويمكن لنا تتبع كل كلمة معتلة، وردت بالتصحيح على خلاف الأصل فيها بالاعتلال، وبيان السر فى مخالفتها.

فكلمة: العور، لو أُعِلَّت الأعلال الطبيعى لصارت: العار ، وهى موجودة ومستخدمة فى اللغة، لكن التحريك هنا اقتضاه وفرضه تنويع الاشتقاق للدلالة على معان مختلفة.

إذن يصبح كلام د. بشر الالى لامعنى له ، بل مغالطة لاتجوز فى هذا الموضع عندما يقول : « ولسنا ندرى تماماً لماذا ينكر ابن جنى أن يكون لهذه الأبواب ، ونحوها أصول تاريخية ، مع وجود بقايا لهذه الأصول فى النثر والشعر كليهما» [1]. لأن ابن جنى لم ينكر ذلك ، بل كلامه واضح وقاطع وصريح ولا يحتمل التأويل ، إنه أنكر أن تكون الكلمة المشتملة على الواو أو الياء ، كانت مستعملة بالتصحيح فى يوم من الأيام ، بدلاً من نفس الكلمة التى أُعِلَّت فيها الواو أو الياء ، وبنفس المعنى .

وبالضرورة يبطل قول د. بشر : « أما أن التطور قد لحق هذه الأبواب ونحوها بحيث أصبحت (قَوَل وغَزَو قال وغزا) دون غيرها، فذلك أمر يسهل فهمه لو علمنا أن التطور هنا قد لحق أصوات العلَّة، وهى أسهل الأصوات قابلية للتطور، وقد ظل هذا الاتجاه سائراً فى العربية حتى أصاب لهجاتها الحديثة ، كما وقع لنحو : يَوْم وبَيْت bayt, yawm فصارتا: يُوم وبِيت beet, yoom ، حيث حلت الحركات محل أصوات العلة ، أو ما تسمى أنصاف الحركات» [2].

لأنه استنتاج توصَّل إليه عبر مقدمات خاطئة، وهى أن هذه الألفاظ

(١) السابق ٢٤٦.

(٢) السابق ٢٤٥.

بالتصحيح فى حروف العلة، كانت منطوقة فى يوم من الأيام، وهو ما لم يحدث ونفاه ابن جنى صراحة، وبتعبير ابن جنى « وليس الأمر كذلك، بل بضده وذلك أنه لم يكن قط مع اللفظ به إلا ما تراه وتسمعه» (راجع نص ابن جنى) لأن تعليل د. بشر فيه مغالطة علمية، لأنه يفترض أن هذه الألفاظ بالتصحيح قد تطورت فى لهجة القاهرة من يَوْم إلى يُوم yoom، ومن بَيْت إلى بِيت beet، وهو مالم يحدث ، فى لهجة القاهرة، ولا فى اللهجة التميمية فلم يحدث أن نطق القاهريون بـ (يَوْم) الفصيحة ولا بـ(بَيْت) الفصيحة، إنما استخدموا اللفظين وأمثالهما على ما نراه ونسمعه : بالإمالة فيهما . أى لم تعرف اللهجة القاهرية سوى الاستخدام اللهجى فى ألفاظها . بتعبير آخر : لم يحدث أن تطور هذا اللفظ على ألسنة المصريين من النطق الفصيح إلى النطق اللهجى، لأن النطق الأخير هو ميل لهجى قاهرى أو مصرى وجدت فيه لهجة القاهرة السهولة التى لم تجدها فى نطق غيره، بل طبعته بطابعها الخاص، بل اطرد هذا فى كل ألفاظها المشابهة لأنه ميل لهجى ولم يحدث أن نطقت بغيره. ويقاس على لهجة القاهرة فى هذا الاتجاه : « اللهجة التميمية التى تصحح ولاتعل نحو مبيوع ومديون ومخيوط ومصوون . . إلى غير ذلك مما قد ينظر إليه على أنه بقية تاريخية لظاهرة أصيلة فى اللغة العربية فى فترة من فتراتها السحيقة من الزمن » (١).

لأن نطق اللهجة التميمية ، إنما هو اتجاه لهجى ميزها عن غيرها ، ولم يحدث أن نطق أهلها بغير ذلك ، لنقول إنهم قد انتقلوا بنطقهم من حال إلى حال، أو إن حروف العلة كانت تصحح عندهم فى فترة زمنية وتُعَلّ فى فترة زمنية أخرى .

إن إعلال حروف العلة قد أخذت به اللغة الفصيحة منذ أن عُرِفَت أو منذ

---

(١) السابق نفس الصفحة .

أن وصلت آثارها الأدبية إلينا، ولم يحدث أن صُحِّحَت ثم أُعِلَّت في نطقها، وإذا وجدنا خلاف ذلك علينا أن نبحث عن سر ذلك، من خلال دراسة قوانينها الصرفية والنحوية بل والصوتية، لأن كل خروج على طريقة الفصحى المطردة، كانت له أسبابه وعلله وضروراته وليس الزعم بأنه تحول تاريخى قد أصابها.

نعود إلى د. أنيس فنراه يقرر أن ثمة إبدالاً تاريخياً قد حدث بين الواو والياء من ناحية، وبين كلٍ من النون واللام والميم، وشتان ما بين التعبيرين ! ! فإبدال د. أنيس قائم بين صورتين منطوقتين ، ومستخدمتين فى الفصحي، واحدة بحروف العلة : الواو أو الياء ، وأخرى بالأصوات الصامتة : اللام، أو الميم ، أو النون، والصورتان بمعنى واحد، أى : مترادفتان تماماً، هنا تكون له المشروعية فى دعوتنا إلى البحث عن التطور الذى حدث فى إحدى الصورتين، وأفضى بها إلى الأخرى . بينما حديث د. بشر عن تطور حدث بين صورة منطوقة بالفعل وأخرى وهمية يُدَّعَى أنها كانت موجودة بل ومنطوقة فى يوم من الأيام أو فى فترة زمنية سحيقة، لا دليل عليها، لأن ماذكره من أدلة مردود عليه ، كما أوضحنا.

أما لماذا دعانا د. أنيس إلى هذا البحث ، « فلأنه وجد ألفاظاً فصيحة اشترك معناها ، ولم يختلف لفظها إلا فى أنَّا نجد مكان الياء ، أو الواو منها لاماً، أو نوناً ، أو ميماً » (١).

خلص د. أنيس إلى أن « اللام والنون والميم تعد من الناحية الصوتية أشباهاً لأصوات اللين، وإلى أن الواو والياء أنصاف لأصوات اللين»(٢).

إذن : احتمال الإبدال بينهما وارد.

بالبحث عما قاله اللغويون عن هذه الحروف نجد أن الميم :

---

(١) د. أنيس . بحث فى اشتقاق حروف العلة ١١٢ .

(٢) السابق ١٠٧ .

« صوت شفوى أنفى مجهور»[1] . «لاهو بالشديد ولا بالرخو، بل مما يسمى بالأصوات المتوسطة [2]. بمعنى أن الميم تنتسب إلى مجموعة الأصوات المتوسطة، وهى : ر ل ن م ، وأضافوا إليها العين، وأهم خاصية تميز هذه الأصوات هى : « قوة الوضوح السمعى Sonority، كما أن هذه الأصوات مجهورة جميعها ، « كما أن الجهر فى الميم جهر محايد» [3]؛ إذ لا وجود لحروف مهموسة مقابلة له ، تؤدى دوراً وظيفياً دلالياً .

معنى ما سبق ، أن الميم بينها وبين الواو والياء شبه فى الجهر ، وفى مرور الهواء فى حرية ، ودون اعتراض، لكنه بدلاً من أن يمر من وسط الفم كالواو والياء ، فإن مروره يكون من الأنف، يضاف إلى ما سبق اشتراكها معهما فى قوة الوضوح السمعى، فهى شبيهة بالحركات فى هذا الملمح، شأنها شأن الواو والياء .

ليس هذا وحده « فالميم مشابهة للواو ، لأنهما من مخرج واحد، وهو الشفة، وفيها غنة تمتد إلى الخيشوم، فناسبت بغنتها حروف اللين» [4].

ومن ثم ، « تبدل الميم من أربعة أحرف ، وهى : الواو والنون واللام والباء. أما إبدالها من الواو فقولهم: فم ، وأصله : فوه بوزن سَوْط ، فحذفت الهاء تخفيفاً فصار التقدير: فَوْ ، فلما بقى الاسم على حرفين الثانى منهما حرف لين، كرهوا حذفه للتنوين، فيجحفوا به فأبدلوا من الواو ميما لقرب الميم من الواو، لأنهما شفهيتان ، وفى الميم هوى فى الفم يضارع امتداد الواو » [5] .

---

(١) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٣٠.

(٢) د. انيس . الأصوات اللغوية ٤٥ .

(٣) كانتينو. دروس فى علم أصوات العربية ٤٣ .

(٤) ابن يعيش . شرح المفصل ٩/ ١٤١ .

(٥) ابن جنى. الخصائص ١/ ٤١٣ - ٤١٤ الهُوِىُّ : الانفتاح والدَّوِىُّ يقال: هَوَت الطعنةُ هُوِياً : فتحت فاها بالدَّم ، وهوت الأذُنُ : دَوّت.

واما إبدالها مـن اللام، فيُرْوَى أن النمر بن تولب حكـى ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من امبر امصـيام فى امسفر» يريد : ليس من البر الصيام فى السفر ، فأبدل لام المعرفة ميماً [١].

ويقول ابن جنى فى إبدال الميم من الـنون « وأما ابدال الميم من النون فإن كل نون ســاكنة وقعت قـبل باء قلبت فـى اللفظ ميـماً ، وذلك نحو : عـنبر، وامرأة شنـباء ، وقنبر، فـإذا تحركت أظهـرت نحو : شَنَب ، وعَنَابِر، وقَنَابِر، ومَنَابِر وقَنَابِل ، وإنما قُلِبَت لَمَّا وقعــت ساكنة قَبْلِ البـاء، من قبل أن الـباء أخت الميم، وقد أدغمـت النون من الميم فى نحو : مَنْ مَّعك ، ومِنْ مُّحـمد ، فلما كانت تدغم النون مع الميم التى هى أخت الباء ، أرادوا إعلالها أيضاً مع الباء ، إذ قد أدغموها فى أختها الميم.

ولما كانت الميم التى هى أقرب إلى الباء من النون لم تدغم فى الباء فى نحو : أقم بكراً ، لاتقول : أقِبَّكرا، ولا فى نَمْ بالله نَبَّا لله، كانت النون التى هى من الباء أبعد منها من الميم أجدر بأن لايجوز فيها إدغامها فى الباء ، فلما لم يصلوا إلى إدغام النون فـى الـباء، أَعَلُّوها دون إعلال الإدغام؛ فقربوها من الباء، بأن قلبوها إلى لفظ أقرب الحروف من الباء وهو الميم، فقالوا: عَمْبَر، وقُمْبَلة» [٢].

وحرف اللام بدوره « يتكـون بأن يعتمد طرف اللسان عـلى أصول الأسنان العليا مع اللثة، بحيث توجد عقـبة فى وسط الفم تمنع مرور الهواء منه، ولكن مع ترك منفذ لهـذا الهواء من جانبى الفم، أو من أحدهـمـا ، وهذا هو معنى الجانبية، وتتذبـذب الأوتار الصوتية عند النطق به، فالـلام صوت أسنانى لثوى جانبى مجهور» [٣].

---

(١) السابق ١/ ٤٢٣ وأخرجه البخارى فى كتاب الصوم.

(٢) السابق ١/ ٤٢١-٤٢٢ الشنباء : العذبة الفم.

(٣) د. بشر . الأصوات اللغوية ١٢٩ .

وهذا الصوت، بدوره، من الأصوات الشبيهة بالحركات؛ لأن هواءه يخرج حراً طليقاً ، لا يحدث احتكاكاً فى أثناء خروجه من الفم، كالحركات، إنما هواؤه جانبى.

فإذا كان الهواء مع الميم ليس من وسط الفم، لكن من الأنف، فإنه مع اللام، ليس من وسط الفم أيضاً ، لكن من الجانبين، أو من أحد الجانبين، ولذلك وضع القدماء اللام ضمن ما أسموه بالأصوات المتوسطة، ذات الوضوح السمعى ، ويرى د. أنيس أن « اللام، وبعدها النون، أكثر الأصوات الساكنة شيوعاً فى اللغة العربية» [1].

«و هذا الألوفون - السابق وصفه - هو أكثر ألوفونات هذا الفونيم شيوعاً .. ومداه ٨٠/ ١٢٠م/ث »[2] بمعنى أنه من الصوامت ذات التردد العالى الشبيهة بالحركت ، إذا قيس بغيره من الصوامت.

وتتبادل اللام مع الأصوات المتوسطة؛ « وأبدلوا اللام من النون فى أصيلان فقالوا : أصيلال » [3] قال النابغة :

وقفت فيها أصيلالاً أُسَائِلُها عَيَّتْ جواباً ، وما بالرَّبعِ من أحدِ

بإبدال النون لاماً ، والمراد : أصيلاناً » [4].

وتبادل اللام مع النون أمره واضح، إذ المخرج والصفات واحدة، ولا يختلفان إلا فى خروج الهواء من جانبى الفم مع اللام، ومن الأنف مع النون وخروج الهواء من الأنف مع النون يضفى عليها وضوحاً سمعياً أقوى، حيث

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٧.

(٢) د. سلمان العانى. التشكيل الصوتى فى اللغة العربية ٧٧.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٣٢١.

(٤) ابن يعيش ٩/ ١٤٣ الهامش.

غنة « خاصة مع الصوت المشدد، فيهبها نغمة موسيقية مُحَبَّة إلى الأذن العربية » (١).

ويرى كانتينو أن « اللام بجوار لام أخرى يجوز إبدالها نونا تباينا»(٢). «والعلة فيه - أى فى التباين - نفسية محضة. نظيره الخطأ فى النطق . . . لأن النَّفْس يوجد فيها قبل النطق بكلمة تصورات الحركات اللازمة على ترتيبها، ويصعُب عليها إعادة تصوُّر بعينة بعد حصوله بمدة قصيرة ومن هنا ينشأ الخطأ » (٣).

كما أن اللام يصيبها الإدغام، ومعلوم « أن التضعيف Gemination هو إطالة الأصوات المتمادَّة Continuants، وقفل أطول فى الوقفيات »(٤) « وهو يعنى مضاعفه الصوت المفرد الساكن» (٥)، «ولذلك يدغم فيه النون نحو قوله (من لدنه) ، وقد يحذفون معها نون الوقاية، كما يحذفونها مع مثلها ، قالوا : (لعلّى) كما قالوا (إنّى) و (كأنّى) » (٦).

ومن دلائل شيوع اللام فى اللغة العربية، اتخاذهم لها حرفاً للتعريف دون سواها من حروف المعجم، وقد علل ابن جنى للسر فى اختيار اللام حرفاً للتعريف دون سائر الحروف « بأنهم أرادوا إدغام حرف التعريف فيما بعده، . . ليكون إدغامه دليلاً على شدة اتصاله ، وأقوى منه عليه لو كان ساكناً غير مدغم. فلما أرادوا ادغامه فيما بعده، اعتبروا حروف المعجم - أى تأملوها وأنعموا النظر فيها - فلم يجدوا فيها حرفاً أشد مشاركة لأكثر الحروف من

(١) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٧٢.

(٢) كانتينو ٧٩.

(٣) برجشتراسر. التطور النحوى ٣٤.

(٤) العانى ١١٩ .

(٥) ماريوباي. أسس علم اللغة ١٤٥ .

(٦) ابن يعيش ٩/١٤٣ .

اللام . . فعمدوا إلى اللام ، لأنها تجاور أكثر حروف الفم التى هى معظم الحروف، ليصلوا بذلك إلى الإدغام المترجم عما اعتزموا من شدة اتصال حرف التعريف بما عرَّفه ، فيُستَدَل بذلك على أنه قد نقله عن معنى التنكير إلى معنى التعريف . . وأنهم إنما خصوا اللام التعريف بأول الاسم، دون آخره من قبل أنهم صانوه ، وشحو عليه، لحاجتهم إليه ، فجعلوه فى موضع لايحذف فيه حرف صحيح البته . . ذلك الموضع هو أول الكلمة » [1].

نخلص مما سبق إلى أن كُلاً من اللام والميم فيهما من الصفات ما يجعلها أشباه أصوات اللين، شأنهما شأن الواو والياء تماماً ، من حيث حرية مرور الهواء؛ من وسط الفم مع الواو والياء ، ومن الأنف مع الميم ومن جانبى الفم مع اللام، وكذلك قوة الوضوح السمعى فيهما الناتج عن الجهر بهما، وزيادة ترددهما إذا قيس بتردد الصوامت الأخرى، وأخيراً نسبة شيوع استخدامهما فى اللغة وإبدالهما بما يجاورهما من أصوات أو إدغامهما فيها شأنهما شأن الواو والياء تماماً .

أما النون : فهى « صوت أنسانى لثوى أنفى مجهور» [2]، بمعنى : أن طرف اللسان يلتقى بأصول الثنايا العليا مع اللثة، بينما تغلق اللهاة فراغ الفم تماماً ، وينخفض الحنك اللين؛ ليسمح للهواء بالمرور من الأنف ، دون أن يحدث احتكاكاً مسموعاً ، سوى أن تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به. من ثَمَّ ، يُعَدُّ النون صوتاً شبيهاً بالحركات فى حرية مرور الهواء الجهر، ويختلف عنها فى أن هواءه من الأنف ، وليس ومن وسط الفم كالحركات .

« ولاتنطق النون نطقاً خالصاً - وهو مايُسَمَّى بالإظهار - إلا إذا كانت قبل

---

(١) ابن جنى . سر الصناعة ١/٣٤٦ - ٣٤٩.

(٢) د. بشر ١٣٠ .

إحـــدى الحروف الآتيـة : الـهمـزة ، والـهاء والحاء ، والعين ، والخـــاء والغين » [١]،

معنى ذلك : أن النون « لاتكاد تتـأثر بأصوات الحلق حين تجاورها ، وربما كان هذا لبعد مخرج النون عن مخرج هذه الأصوات » [٢].

وتتعرض النــون الساكنة للإبدال ، والإدغام ، والإخـفاء ، لأن الحركة مع النون غالباً ما تحفظها من التأثر بما يجاورها من أصوات ، وهذا الذى يطرأ على النون يسمــى : الغُنَّة ، « وهى وسيلة لجأ إليــها القراء منذ القدم لإعـطاء النون بعض حـقها الصوتى مـع غير أصوات الحلق ، ولـيس الغنة إلا إطالـة لصوت النون ، مع تردد موسيقــى محبب فيها ، فالزمن الذى يستغرقـه النطق بالغنة ، هو فى معظم الأحيان ضعف ما تحتاج إليه النون المظهرة [٣].

وتدغم النون مـع أصوات المجموعة الكبرى ، أى مجمـوعة أصوات الفم إذا سكنت وتـلاها أحد الحروف من مخـرجها، أو من المخرج الســابق لها، أو المخرج التالى لها ، شأنها فى ذلك شأن لام التعريف ، كما أنها تتبادل مع تلك الأصوات التى تشترك معها فى قوة الـوضوح السمعى، والجهر ، وحرية مرور الهواء ، مثل اللام والميم .

ويرى ابن جنى « أن النون فى : فعلان فـعلى ، نحو : سكران سكري، وغضـبان غضـبي، وولهـان وحيران بـدل من هـمزة فعـلاء ، نحو : حـمراء وصفراء » [٤]. « فإن قيل : فلِمَ أبدلت همزة فعلاء نوناً ؟ وما الذى سهَّلَ ذلك وحمل عليه ؟ فالجواب : أن للنون شبهاً بحروف اللين قوياً ، لأشياء: منها :

---

(١) كانتينو ٦٠.

(٢) د. أنيس . الأصوات اللغوية ٦٨.

(٣) السابق ٧٠.

(٤) ابن جنى. سر الصناعة ١/ ٤٣٥.

أن الغنة التى فى النون كاللين الذى فـى حروف اللين، ومنها اجتماعها فى الزيادة معـهن، ومعاقبتـها لهن فى الموضـع الواحد من المثال الـواحد ، وذلك نحو: شرنبث وشرابث، وجرنفس وجرافس، وعصنصر وعصيصر، وعرنقصان وعرَيْقصان[1] ألا ترى أن النون قد عاقبت الألف والياء فيما ذكرنا.

وقـالـوا أيـضاً : فَدَوْكَس، وسَرَوْمَط، وعَمَيْثَل، كـمـا قـالـوا : جَحَنْفَل وفَلَنْقَس، وفصلوا بها بين العينين، فقالوا : عَقَنْقَل ، وعَصَنْصَر ، وسَجَنْجَل، وهَجَنْجَل وعَبَنْبَل، كما قالـوا : غَدَوْدَن ، وقَطَوْطَى، وشَجَوْجَى فى أحد قَوْلَى سيبويه [2] وخَفَيْفَد.

وحذفوها أيـضاً لالتقاء الساكـنين فى نحو : (م الآن) فى بيـت أبى صخر الهذلى : [3].

كأنهما م الآن لم يتغيراً : . وقد مرَّ للدارين من بعدنا عَصْرُ .

(أى : منْ الآن) ، و (لاكْ اسقنى) فى بيـت النجاشى الحارثى[4] يذكر فيه ذئباً ، وهو :

---

(١) الشرنـبث : الغليظ الـكفين والرجلـين، ومثله الشـرابث والجرنفس والجرافـس: الضخم الشـديد من الرجال. وعصـنصر وعصيصر : هـو موضع، وفيه ثلاث لغات: عـصنصر وعصيصـر وعصوصر وعرنقصان وعريقصان : نبات .

(٢) انظر الكتاب لسيبويه ٢/ ١١١، ٣٢٩، ٣٤٥، ٣٨٦.

الفدوكس : الأسد. السرومط : الطويل . العميثل : الضخم الثقيل.

جحنفل : العظيم الجحفلة ، والجحفلة مشفر البعير. فلنقس : البخيل اللئيم.

عقنقل : الكثب العظيم المتداخل الرمل. سجنجل : المرآة .

هيجنجل : اسم . عبنبل : الضخم الشديد. عدودن : الطويل.

قطوطى : المتبختر. شجوجى : المفرط فى الطول . خفيفد : الخفيف من الظلمان.

(٣) ابن جنى. سر الصناعة ٢/ ٤٣٩وانظر فى أشعار الهندليين ٩٥٦ والخزانة ٣/ ٢٥٨ الشاهد ٢٠٥ بتحقيق هارون .

(٤) ابن جنى. سـر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والكـتاب ١/ ٩٠والخصائص ١/ ٣١٠ والأنصاف ٢/ ٦٨٤ والخزانة ٤/ ٣٦٧ الشاهد ٨٧٥.

فلست بآتيهِ ولا أستطيعهُ   ولاكِ اسقنى إن كان ماؤكَ ذا فضل.

(أى : ولاكن اسقنـى) . و (لم يك الحق) فى بيت حـسيل بن عُرفُطَةَ الأسدى [1].

لم يك الحق سوى أن هاجه   رسمُ دارٍ قد تعفَّى بالسِّرَر.

{ أى : لم يكن الحق } .

كما حذفوها لذلك فى نحو : غزا القوم، وتعطى ابنك، وتصبوا المرأة.

وجعلوها أيضاً علم الرفع فى نـحو : يومان ، ويقومون ، وتقومين، كما جعـلوا الـواو والألف عـلماً لـه ، فى نـحو : أخـوك ، وأبوك ، والـزيدان والزيدون . . إلى غير ذلك .

فلما ضارعت النون حروف اللين هذه المـضارعة ، وكانت الهمزة قد قلبت إلى كـل واحدة من الألـف والياء والـواو ، قلـبوها أيـضاً إلى الحـرف الذى ضارعهن وهو النون ، للتصرُّف والاتساع [2].

نخلـص مما سبق إلى أن حـروف الميم واللام والنون فـيها من الصـفات ما يجعلها تتشابه بحروف الـعلة واللين والمد : الواو والياء والألف ، ومن ثَمَّ كَثُرَ الإبدال فيما بينها، وبالبحث فى المعجم عن ألفاظ اتحد معناها واختلف لفظها : مرادفات تامـة ، وتركز البحث حول التـبادل الحاصل بين حروف العلـة الثلاثة (و.ا.ى) ، وبين حـروف (ل.م.ن) فى هذه الألـفاظ؛ لـنتأكـد إن كان ثَمَّة تطور قـد حدث بينهـا، خاصة أن الصورتـين موجودتان ومنـطوقتان فى الـلغة العربيـة الفصيحة، فـخرجنا بكم هـائل من هذه الأفعال يـؤكد أن الإبدال قد حدث فعلاً بين هذه المواد للأسباب التى ذكرها علماء اللغة القدماء والمحدثون.

---

(١) ابن جنى . سر الصناعة ٢/ ٤٤٠ والخصائص ١/ ٩٠ والخزانة ٤/ ٧٢ الشاهد ٧٤٥.

(٢) ابن جنى . سر الصناعة ٢/٤٣٨ - ٤٤٠.

بل إن هذا الإبدال قد حدث بين تلك الصور وبين نظائرها المشدد وغير خاف العلاقة بين التشديد وبين تلك الحروف جميعها كما سبق توضيح ذلك.

لكن الدافع إلى هذا الإبدال لم يكن واضحاً تماماً في كتب علماء اللغة الأقدمين؛ لأنهم ركزوا بصفة أساسية على مابين الصوتين المتبادلين من تشابه في الصفات والمخارج. أما علماء اللغة المحدثون فقد بحثوا في عوامل التطور بين الأصوات، وأرجعوها إلى عاملين مهمين، هما : عامل السهولة، وعامل الشيوع.

بمعنى أن الإنسان في نطقه يميل إلى تلمُّس أسهل الأصوات التي لا تحتاج إلى جهد عضلي، أو مجهود زائد في نطقها، فيبدل مع الأيام بأصوات لغته الصعبة نظائرها السهلة، ولاشك أن حروف العلة (و. ا. ي) أسهل من غيرها ؛ لحرية مرور الهواء معها، وجهرها. لكننا لاحظنا خلال عرضنا السابق أن الفرق بينها وبين كل من : اللام والميم والنون، ليس كبيراً، إذ تمتاز هذه الحروف الصامتة، بدورها، بأنها أشبه بأصوات اللين في خصائصها : من حرية مرور الهواء ، وجهر، بل وعلو وارتفاع ناتج عن زيادة في نسبة التردد معها إذا قيست بغيرها من الصوامت الأخري، بل وناتج عن غنة تصاحبها، أو إدغام يقوِّيها .. إلخ.

معنى ذلك أن مبدأ السهولة وحده، لم يكن منشوداً لدى من أبدل هذه الأصوات في لغته، لأن السهولة متحققة مع حروف العلة، ومع كل من اللام والميم والنون أيضاً ، ومن ثم يصبح القول بأن الإبدال الحاصل بين هذه الصيغ سببه السهولة اللفظية، غير كاف ، ولابد من البحث عن سبب آخر.

ثَمَّة نظرية أخرى تقولَ : بأن التبادل بين الأصوات قد ينشأ عن شيوع بعض الأصوات في الاستخدام، دون غيرها، فيستبدلون بالأصوات التي لا يشيع استخدامها الأصوات الشائعة الاستخدام، الكثيرة التردد في صيغهم، لأن

اللفظ لا يشيع على الألسن إلا إذا امتلك صفات تؤهله لذلك، والأصوات السابقة بنوعيها تمتلك - ولا شك - كل مقومات هذا الشيوع.

والناظر فى الإحصاء الذى قام به د. على حلمى موسى (١) لدرجة تردد الصوائت وبعض الصوامت فى القرآن الكريم يجد أن حروف المد الثلاثة قد ترددت بنسبة ٢٤,٣٩ ٪ وأن الحركات الثلاث قد ترددت بنسبة ٧٥,٦١ ٪ بمعنى : أن تردد حروف العلة إلى الحركات قد جاء بنسبة ١ : ٣ وهى نسبة صادقة تماماً ؛ لأننا نعلم أن النسيج المقطعى فى اللغة العربية لايسمح بتتابع أربعة متحركات فى الكلمة الواحدة أو مايشبه الكلمة، إذ لابد من كسر هذا التتابع الحركى بالمد أو بالسكون مثل : يَتَقَاتَل، كَتَبَ > كَتَبْتَ وهكذا .

أما الصوامت ، فنجد أن اللام تمثل أعلى نسبة تردد؛ حيث بلغ ترددها ١٤,١٠ ٪، يليها النون بنسبة ١٢,١٠ ٪ ، ثم الميم بنسبة ١٠,٦٦ ٪ بمجموع ٣٦,٨٦ ٪ بمعنى أن هذه الحروف الثلاثة قد استحوذت على هذه النسبة المرتفعة، أما باقى حروف العربية الخمسة والعشرين فقد كانت نسبتها مجتمعة ٦٣,١٤ ٪ وهذا ولا شك يؤكد حقيقة شيوع هذه الأحرف الثلاثة فى اللغة العربية، فإذا أضفنا حروف العلة الثلاثة إليها تصبح نسبة شيوعها فى الكلام العربى ٦١,٢٥ ٪ ، بمعنى أن خمسة حروف تحتل هذه النسبة الشائعة فى الكلام العربي، لابد وأن تتعرض لصنوف شَتَّى من الإدغام والإبدال والحذف والسقوط .. الخ ، وقد شاهدنا كيف أن حروف العلة الأصل فيها هو الإعلال، بينما الشذوذ فيها هو التصحيح أما اللام، فقد اتخذتها العربية حرفاً للتعريف ، ومعلوم أنه يدغم فى نصف أصوات اللغة : كل الأصوات التى تخرج من مخرجه ، والأصوات التى تخرج من المخرج السابق لمخرجه، والأصوات التى تخرج من المخرج التالى لمخرَجه. ورأيناها تتبادل مع حروف المجموعة الكبرى .. الخ .

---

(١) انظره فى الجدول رقم (٥) فى بحث د. محمد أمنزوى ٦٤.

كما رأينا الميم تبدل مع الأصوات من مخرجها كالباء والواو والنون وتبدل كذلك مع اللام : حديث الصيام فى السفر .

أما النون فتشبه اللام ، وتزيد للغُنَّة فيها .

نخلص مما سبق ، أن النظرية التى تقول : بأن الألفاظ التى تحتوى على لام ، أو ميم ، أو نون ، قد تعرضت أكثر من غيرها لأن تبدل هذه الأصوات بحروف العلة : الواو ، أو الياء هى نظرية لها مايبررها من الناحية العلمية ، وأن هذه النظرية وجدت أرضاً خصبة لها فى بعض البيئات العربية، دون البعض الآخر، ومن ثم ، حدث لهذه الحروف الإبدال فى تلك البيئات ، ونتج عنه وجود هذه الألفاظ المترادفة باللام، أو الميم، أو النون من ناحية والألفاظ بالواو أو الياء (أو ما اعتل منهما) من ناحية أخرى .

أما المرادف لتلك الألفاظ بالتضعيف « فهو ما كانت عينه ولامه من جنس واحد، ويغلب على هذه الألفاظ سقوط حركة العين؛ لأن النبرة على المقطع الأول من الفعل تُضَعِّف عادةً من مدى حركة العين، وتتفق اللهجات العربية القديمة فى إسقاط هذه الحركة عند تماثل العين واللام . وترجع ظاهرة إسقاط حركة العين فى المضاعف، بالإضافة إلى تأثير النبرة إلى ثقل تتابع مقطعين قصيرين متماثلين : شَدَدَ > شَدَّ ، لذلك لم تحتفظ العربية بحركة العين رغم التضعيف إلا فى أفعال قليلة على وزن (فعل) لتمييزها عن البقية ، لأن (فعل) خاص دائماً بالصفات مثل : لبب، شرر ، حبت ، خفف ، رمم »[(1)].

لأنه من المعروف لغوياً ، أن المقطع المنبور نبراً أولياً ، يصيب المقطع التالى له ، بل والسابق له بالإظلام الصوتى؛ بمعنى أن حركة المقطع الطويلة تَقْصُر ، والقصيرة تَسْكُن ، والساكن يحذف ؟ ففى الفعل : (ردد) يسقط النبر الأولى

---

(١) البكوش ٩٩ وراجع المزهر ٢/ ٣٧.

على الراء، فتسكن الدال الأولى نتيجة لهذا النبر القوى السابق لها، فيلتقى حرفان من نوع واحد، أحدهما ساكن والثانى متحرك فيدغم الساكن فى المتحرك ؛ توفيراً للمجهود العضوى، ونطقهما بعملية واحدة بدلاً من عمليتين .

ومن ثَمَّ ، تتضح العلاقة بين الصيغ المشدَّدة، والصيغ المعتلة؛ ففى كلتا الحالتين، تكون الصيغة مكونة من عنصرين، سواء اختفى العنصر الثاني، أو العنصر الثالث، فالنتيجة واحدة ؛ لأن سقوط حرف العلة كما رأينا ناتج إما عن توالى الأمثال، ونشوء المد من الحركتين، أو ناشئ عن حذف أحد المعتلين للثقل عند اجتماع المتماثلين أو المتنافرين.

وسقوط عنصر التضعيف ناشئ بدوره عن تماثل العين واللام، وسكون أحدهما بفعل النبر، وإدخاله فى العنصر الثالث .

وقد أنعمت النظر فى المعجم الوسيط ، حول هذه الأفعال أو الصيغ التى حدث فيها إبدال بين كل من اللام والميم والنون من ناحية، وبين حروف العلة الثلاثة (و . ا . ى) من ناحية أخري، بل الصيغ المشدَّدة التى جاءت مرادفة للنوعين السابقين فخرجت بثبت الكلمات التالية ولا أدَّعى لها الحصر ، بل هى نسبية ولا شك ، يمكن الإضافة إليها أو الحذف منها ، والله الموفق .

مراجع البحث

- أمنزوى . د. محمد أمنزوى

أشباه الصوائت في اللغة العربية (نظامها ووظائفها) . مجلة اللسان العربي. العدد الثامن والأربعون. ديسمبر ١٩٩٩ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. مكتب تنسيق التعريب. الرباط.

- الأنبارى . كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن سعيد الأنبارى النحوى . الإنصاف فى مسائل الخلاف (بين النحويين : البصريين والكوفيين) تحقيق محى الدين عبد الحميد.

المكتبة العصرية. صيدا بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

- أنيس . د. إبراهيم أنيس.
- الأصوات اللغوية .

الطبعة الخامسة ١٩٧٩ - مكتبة الأنجلو المصرية .

- بحث فى اشتقاق حروف العلة .

مجلة كلية الآداب - جامعة الإسكندرية - المجلد الثانى ١٩٤٤ . القاهرة. مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

- پاى . ماريو پاى.

أسس علم اللغة .

ترجمة وتعليق : د. أحمد مختار عمر .

الطبعة الثانية ١٩٨٣ . عالم الكتب ٣٨ش عبد الخالق ثروت القاهر.

- برجشترا سر .

التطور النحوى .

أخرجه وصححه وعلق عليه د. رمضان عبد التواب

مكتبة الخانجى القاهرة ١٩٨٢.

- بشر . د. كمال محمد بشر

الأصوات العربية .

الناشر. مكتبة الشباب ٢٦ش إسماعيل سرى بالمنيرة.

- دراسات في علم اللغة.

دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

- البغدادى. عبد القادر البغدادى.

خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب.

ط. بولاق ١٢٩٩ هـ .

وبتحقيق عبد السلام هارون ١٣٨٧ - ١٩٦٧ وما بعدهما . القاهرة.

- البكوش . الطيب البكوش .

التصريف العربى (من خلال علم الأصوات الحديث) .

تقديم : صالح القرمادى . تونس ١٩٧٣ .

الشركة التونسية لفنون الرسم ٢٠ نهج المنهجى - تونس .

- ابن جنى . أبو الفتح عثمان بن جنى ت ٣٩٢ هـ الخصائص .

بتحقيق : محمد على النجار.

الناشر : دار الكتاب العربي. بدون تاريخ . ط. ثانية .

مصورٌ عن ط. دار الكتب المصرية ١٣٧١ - ١٩٥٢ وما بعدها .

- سر صناعة الإعراب.

دراسة وتحقيق : د. حسن هنداوي.

دار القلم - دمشق ط. ثانية ١٤١٣ - ١٩٩٣.

- ديوان الهذليين.

دار الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٩٥٠ .

- سيبويه . أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبرت ١٨٠ هـ .

كتاب سيبويه.

تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون.

دار الجيل - بيروت ط. أولى .

- السيوطى . عبد الرحمن جلال الدين السيوطي.

المزهر فى علوم اللغة وأنواعها .

شرحه وضبطه وعنون موضوعاته محمد أحمد جاد المولى وآخرون.

دار إحياء الكتب العربية . عيسى البابى الحلبى وشركاه .

- العانى . د. سلمان حسن العاني.

التشكيل الصوتى فى العربية (فونولوجيا العربية) .

ترجمة : د. ياسر الملاح . مراجعة : د. محمود غالى .

ط. أولى ١٤٠٣ - ١٩٨٣ النادى الأدبى الثقافى . جدة - السعودية .

- عليوة د. عبد الحميد عليوة مسعد.

اتجاه حديث فى دراسة موسيقا الشعر العربى .

القاهرة ٢٠٠٠ (تحت النشر . مجلة الدراسات اللغوية. جامعة الأمام محمد بن سعود) .

إيقاع الشعر العربى بين الكم والكيف .

القاهرة ١٩٩٧ مكتبة القاهرة ٩ ش الصنادقة . القاهرة .

- عمر . د. أحد مختار عمر .

دراسة الصوت اللغوي.

عالم الكتب ١٩٩١ ٣٨ش عبد الخالق ثروت . القاهرة .

- كانتينو . جان كانتينو .

دروس فى علم أصوات العربية .

نقله إلى العربية : صالح القرمادى . الجامعة التونسية .

نشر : مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٦٦ .

- المبرد . أبو العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠ - ٢٨٥هـ كتاب المقتضب .

تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة القاهرة ١٣٩٩ هـ.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية. لجنة إحياء التراث الإسلامى .

- مجمع اللغة العربية.

المعجم الوسيط .

قام بإخراجه : د. إبراهيم أنيس .د . عبد الحليم منتصر. عطية الصوالحى محمد خلف الله أحمد . الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢م.

- مصلوح . د. سعد مصلوح .

دراسة السمع والكلام.

عالم الكتب ١٩٨٠ .

- ابن يعيش . الشيخ موفق الدين بن يعيش النحوى ت ٦٤٣هـ - شرح المفصل.

عالم الكتب - بيروت ، مكتبة المتنبى - القاهرة .

مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوى عند سيبويه

د. فكرى محمد سليمان
قسم اللغة العربية - كلية الألسن
جامعة عين شمس

مقدمة

موضوع هذا البحث هو : مصطلح علم الحديث والتقعيد النحوى عند سيبويه .

لقد كان علم الحديث من أهم العلوم التى حرص سيبويه على تعلمها منذ نشأته، فقد حضر حلقات علماء الحديث، الذين تلقى العلم على أيديهم حماد بن سلمة بن دينار البصرى، وقد أخطار سيبويه فى إعراب ونطق بعض الكلمات أمام حماد بن سلمة فصحح له حماد ما أخطأ فيه، وبسبب خطئه هذا، اندفع سيبويه نحو العلوم اللغوية ينهل من ينابيعها حتى أصبح إماما للعربية .

وتهدف هذه الدراسة إلى بيان مدى تأثر سيبويه بمصطلحات علم الحديث عند تقعيده القواعد والأصول النحوية، كما تهدف الدراسة أيضاً إلى معرفة المعايير التى استند إليها سيبويه عند إطلاقه الأحكام النحوية التى أصدرها على التراكيب المفترضة التى صنعها من أجل التفسير والشرح، والتراكيب المسموعة من العرب، مثل : صحيح ، حسن ، ضعيف، قبيح إلخ .

وهناك كتاب بعنوان : مصطلح الحديث وأثره على الدرس اللغوى عند العرب [د. شرف الدين على الراجحى، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، بدون تاريخ] .

يدور هذا الكتاب حول تأثر اللغويين بطريقة المحدثين فى اكتساب العلم، وطرق الأخذ، ونقد السند، والجرح والتعديل، والتصحيف والتحريف، ونقد المتن.

والدراسة السابقة تختلف فى موضوعها ونهجها عن الدراسة التى قام بها الباحث هنا، وأغلب ظن الباحث أن موضوع هذا البحث وهو مصطلح الحديث والتقعيد النحوى عند سيبويه لم يدرس من قبل.

وقد اعتمدت هذه الدراسة على أهم المراجع التى تناولت تدوين الحديث وكذلك التى اهتمت بمصطلح الحديث وأقسامه. كما اعتمدت على كتاب سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون. الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ - ١٩٧٩م.

وتتضمن هذه الدراسة النقاط التالية :

- تدوين الحديث .
- اهتمام سيبويه بتعلم الحديث، وأثر ذلك فى اتجاهه نحو العلوم اللغوية.
- مراعاة الدقة فى فصاحة النص اللغوى بين اللغويين والمحدثين.
- منهج سيبويه فى جمع اللغة.
- بين مصطلح الحديث ومصطلحات التقعيد عند سيبويه.
- أقسام الحديث : الصحيح ، الحسن ، الضعيف وأقسام كل قسم منها.
- التقعيد عند سيبويه .

- الأحكام النحوية عند سيبويه ومنها : صحيح مستقيم، حسن ، محال، جيد ، أجود ، ضعيف ، قبيح ضعيف ، خبيث ، خطأ ، ردئ . وارتباط هذه الأحكام بالظواهر التالية : الإعراب، التقديم والتأخير، العامل ، الحذف، الفصل ، بناء الكلام .

- الخاتمة ، وتتضمن أهم نتائج البحث.

مصطلح علم الحديث
والتقعيد النحوى عند سيبويه

الحديث :

المعنى اللغوى :

الحديث : نقيض القديم . وحدث أمر أى وقع. والحديث: الجديد من الأشياء . والحديث : الخبر يأتى على القليل والكثير. والجمع: أحاديث . والحديث : مايحدّث به المحدِّث.

ورجل حَدِث وحَدَث وحِدْث وحِدِّيث، ومُحدِّث بمعنى واحد : كثير الحديث حسن السياق له . كل هذا على النسب[1] .

الحديث : كل ما يتحدث به من كلام وخبر. والحديث : الجديد. يقال : هو حديث عهد بكذا : قريب عهد به[2] .

المعنى الاصطلاحى :

تطلق كلمة حديث على «ما أثر ونقل عن النبى محمد ﷺ من قول ، وفعل ، وتقرير ، وصفات .

ويراد بـ «التقرير» «مافعله أحد الصحابة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقره ولم ينهه عنه» ، كما يراد بـ «الصفات » « أقوال الصحابة فى وصف الرسول ووصف الحالات التى يمر بها »[3] .

---

(١) ابن منظور، لسان العرب ، مادة : حدث.

(٢) المعجم الوسيط ، مادة : حدث .

(٣) د. بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ، دار الشروق بيروت - القاهرة ط. الخامسة ١٩٨١م. ١٤٠١ هـ . ص١٠ .

مما تقدم من عرض للمعنى اللغوى والاصطلاحى لكلمة «حديث» نلاحظ وجود علاقة بين المعنيين، فمن المعانى اللغوية لمادة حدث : الخبر، والوقوع ، وهو مادل عليه المعنى الاصطلاحى ، من إخبار الرسول لأمته بأشياء وتقريره صلى الله عليه وسلم لأشياء حدثت من بعض الصحابة .

تدوين الحديث :

الحديث النبوى الشريف هو المصدر الثانى من مصادر التشريع فى الإسلام بعد القرآن الكريم.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن كتابة الحديث أول الأمر فقد روى مسلم فى صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «لاتكتبوا عنى شيئا إلا القرآن، ومن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحه » .

ويرجع نهى الرسول الكريم عن كتابة الحديث فى أول الأمر للأسباب[1] الآتية :

١ - خشية الرسول ﷺ اختلاط الحديث بالقرآن الكريم ، وذلك بأن يجمع كاتب آية قرآنية بحديث نبوى فى صحيفة واحدة فيؤدى ذلك إلى الخلط بينهما.

٢ - خشى الرسول ﷺ أن ينشغل المسلمون بالحديث عن القرآن الكريم.

٣ - أن النهى ربما كان موجهاً لمن لايجيد الكتابة ، أو فى حق من يوثق بحفظه وخيف اتكاله على الكتابة .

(١) د. بكرى شيخ امين ، أدب الحديث النبوى ص ٣١-٣٢.

وعندما زالت الأسباب المتقدمة، أذن الرسول بكتابة الحديث، فقد حفظ الكثيرون القرآن الكريم، وأصبح التفريق بين القرآن والحديث واضحاً وضوحاً شديداً أمام الصحابة .

فقد رُوِى أن الرسول ﷺ لما فتح مكة قام فخطب فى الناس، فقام رجل من أهل اليمن يقال له أبو شاه، فقال : «يارسول الله اكتبوا لى ، فقال عليه الصلاة والسلام : اكتبوا لأبى شاه » .

فقد سمح رسول الله ﷺ بالكتابة لأبى شاه. وبسبب حديث النهى وحديث الإباحة فى كتابة الحديث اختلف السلف من الصحابة فى حكم كتابة الحديث إلى طائفتين(١) :

الأولى : تكره كتابة الحديث ومنها : عمر ، وابن مسعود، وزيد بن ثابت ، وأبو موسى ، وأبو سعيد .

الثانية : وقد أباحت كتابة الحديث ومنها : على ، وابنه الحسن، وأنس، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وأكثر الصحابة .

ثم أجمع الصحابة والتابعين بعد ذلك على جواز تدوين الحديث ، وقد بدأ تدوين الحديث فى القرن الأول الهجرى بصفة غير رسمية، فكان عبد الله ابن عمرو بن العاص، يكتب كل مايسمع من رسول الله ﷺ ، وجمع كل ما سمع فى صحيفة تسمى «الصادقة»(٢) وقد اشتملت هذه الصحيفة على ألف

---

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م. ص ٨٨.

(٢) د. صبحى الصالح . علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، دار العلم للملايين ، بيروت، ط الخامسة ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م. ص ٢٧، د. أحمد عمر هاشم، أضواء على مصطلح الحديث. دار المنار. القاهرة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م. ص ٣٨.

حديث وسميت «الصادقة» لأنها أصدق وثيقة فى كتابة الحديث فى عهد الرسول ﷺ .

فلم يرخص الرسول ﷺ بكتابة الحديث ترخيصاً مطلقاً ، ولم يمنع كتابته منعا مطلقاً ، وإنما كان متفاوتا بتفاوت الظروف والأشخاص الكاتبين[1] .

فتدوين الحديث بدأ فى عهد الرسول الكريم ﷺ بجانب ما حفظ فى صدور الصحابة رضوان الله عليهم، ولكن هذا التدوين لم يكن شاملاً وكثيراً.

وفى عهد عمر بن عبد العزيز بدأ تدوين الحديث بشكل عام، فقد ظهر الكذب والنفاق، وبدأ المنافقون فى وضع بعض الأحاديث تأييداً للفرق والشيع المختلفة ، كما اتسعت الفتوحات وتباعدت الأمصار، وخيف على ذهاب العلماء، فأدت كل هذه الأسباب إلى جمع الحديث وتدوينه حتى لايضيع على الأمة الإسلامية المصدر الثانى من مصادر التشريع وهو السنة النبوية التى هى بيان لكتاب الله سبحانه وتعالى .

فبدأ الخليفة عمر بن عبد العزيز فى الحث على جمع الحديث وتدوينه فى نهاية القرن الأول الهجرى ، فأرسل إلى أبى بكر بن حزم وأمره بكتابة الحديث .

ففى الموطأ للإمام مالك وصحيح البخارى فى كتاب العلم، أن عمر ابن عبد العزيز كتب إلى أبى بكر بن حزم : «انظر ماكان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولايقبل إلا حديث النبى ﷺ ، وليفشوا العلم، وليجلسوا حتى يُعَلَّم من لايعلم ، فإن العلم

---

(١) د. بكرى شيخ أمين . أدب الحديث النبوى ص ٣٨.

لايهلك حتى يكون سراً »[1] .

وقد رُوِى أن عمر بن عبد العزيز كتب إلى محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن شهاب الزهرى (ت١٢٤هـ) ، وقد كان عالم أهل الحجاز والشام وأحد الأئمة الأعلام الموثقين، فكان أول من دون بأمر عمر بن عبد العزيز، ثم شاع التدوين فى الطبقة التى تلى طبقة الزهرى، فكان أول من جمعه :

- ابن جريج بمكة . (ت ١٥٠ هـ).
- ابن إسحاق (ت ١٥١ هـ) أو مالك (١٧٩هـ) بالمدينة .
- الربيع بن صبح (ت ١٦٠هـ) أو سعيد بن أبى عروبة (ت١٥٦هـ). أو حماد بن سلمة بالبصرة (ت ١٧٦ هـ) بالبصرة .
- سفيان الثورى (ت ١٦١ هـ) بالكوفة .
- الأوزاعى (ت ١٥٦ هـ) بالشام .
- معمر بن راشد (ت١٥٣ هـ) باليمن .
- جرير بن عبد الحميد (ت ١٨٨ هـ) بالرى .
- ابن المبارك بخراسان

فكل هؤلاء فى عصر واحد، فهم من أهل القرن الثانى الهجرى، ويلاحظ أن مما يتميز به هذا التصنيف فى القرن الثانى الهجرى، أن جمع الحديث كان جمعاً مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين، كما يرى فى موطأ الإمام مالك، ومصنف أبى بكر(ابن أبى شيبة ت ٢٣٥هـ) .

---

(١) د. محمد أديب صالح، لمحات فى أصول الحديث. المكتب الإسلامى بيروت - دمشق، ط الرابعة ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م ص ٦٧.

أما بدء إفراد الحديث النبوى بالتدوين مجرداً عن فتاوى الصحابة وأقوال التابعين فكان على رأس المائتين للهجرة »[1] .

سيبويه وعلم الحديث :

كان العلماء فى زمان سيبويه يهتمون أوّل مايهتمون بتعلم الفقه والحديث، وعندما نما سيبويه شغف بالعلم وأهله، وأقبل على تعلم الحديث والفقه، فصحب علماء الحديث، وحضر حلقاتهم العلمية، وكان من بين هؤلاء العلماء العالم المحدث اللغوى حمَّاد بن سلمة بن دينار البصري.

وقد حرص سيبويه على التعلم على يد حماد ، فكان حمَّاد من أوائل العلماء الذين وجهوا سيبويه ، ودفعوه إلى تعلم علم العربية. فقد روى نصر بن على أن سيبويه « كان يستملى من حماد بن سلمة يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما أحد من أصحابى إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء » فقال سيبويه : « ليس أبو الدرداء ، فقال : لحنت ياسيبويه، فقال سيبويه : لاجرم! لأطلبن علماً لاتلحننى فيه أبداً ، فطلب النحو ، ولم يزل يلازم الخليل »[2] .

فقد أخطأ سيبويه فى ضبط كلمة « أبو» ولم ينطقها بالألف ظناً منه أنها اسم ليس، و «ليس» هنا أداة استثناء ، كما ذكر له ذلك عالم الحديث حماد بن سلمة ، ففى الرواية التى رواها الزبيدى فى طبقاته أن سيبويه عندما نطق

---

(١) د. محمد أديب صالح. لمحات فى أصول الحديث ص ٦٨.

وانظر د. محمد محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين . سلسلة البحوث الإسلامية . مطبعة الأزهر الشريف بالقاهرة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص٤٣ - ٤٤.

(١) القفطى، جمال الدين أبو الحسن على بن يوسف، إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م. جـ٢ ص ٣٥٠.

الكلمة مرفوعة « أبو الدرداء » رد عليه حماد قائلاً « لحنت ياسيبويه» ليس هذا حيث ذهبت وإنما « ليس » ها هنا استثناء ، فقال : سأطلب علما لاتلحننى فيه، فلزم الخليل فبرع »[1] .

فخطأ سيبوبه فيما تقدم فى الروايتين السابقتين خطأ يرتبط بظاهرة الإعراب، ووظيفة الكلمة فى التركيب اللغوى ، وهو مادفع سيبويه إلى طلب علم العربية، وملازمته لمجالس علماء اللغة فى عصره، مثل مجلس الأخفش[2] مع يعقوب الحضرمى والخليل بن أحمد أستاذه الأول دون منازع.

ولم يكن خطأ سيبويه الإعرابى والذى يرتبط بعلم النحو هو الدافع الوحيد له فى طلب علم العربية ولزومه حلقات اللغويين والنحويين ، بل كان خطؤه فى نطق بنية بعض الكلمات وتغيير وزنها والذى يرتبط بعلم الصرف دافعاً كذلك على تصميمه على تعلم علم العربية حتى برع فيه وأصبح إماما له .

وكان حمّاد بن سلمة أيضاً هو الذى نبّه سيبويه إلى أنه يلحن فى نطق بنيه بعض الكلمات ، فيروى أن عبيد الله بن معاذ العنبرى قال : «جاء سيبويه إلى حماد بن سلمة فقال له : أحدثك هشام بن عروة عن أبيه فى رجل رَعُف فى الصلاة ؟ فقال : أخطأت يا سيبويه ! إنما هو رَعَف. فقال : فانصرف إلى الخليل فشكا إليه ما لقيه به حماد، فقال : صدق ، ومثل حماد يقول هذا . ورَعُف يجوز إلا أنها ضعيفة والكلام رَعَف »[3] .

---

(١) الزبيدى ، أبو بكر محمد بن الحسن، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف بمصر، ط. الثانية ١٩٨٤، ص ٦٤.

(٢) الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) ، مجالس العلماء ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض . ط. الثانية ١٤٠٣هـ. ١٩٨٣م ص ١١٨.

(٣) القفطى، إنباه الرواة على أنباه النحاة جـ٢ ص ٣٥٣.

فنُطْق سيبويه كلمة « رَعُف » بضم العين بدلاً من فتحها أوقعه فى «اللحن، لذلك هَمَّ إلى أستاذه الخليل ليشكوا له هذه الإهانة اللغوية التى لقيها من أستاذه حماد بن سلمة، ولقد لفت الخليل نظر سيبويه فى أول حياته العلمية إلى بعض الأحكام التى تطلق عند التقعيد اللغوى مثل الضعف ومايقابله من صحة وقوة، وهو ما أطلق عليه الخليل مصطلح الكلام حينما قال «والكلام رَعَف » فالكلام هنا عند الخليل هوالصحيح وهو المصطلح الذى ظهر فى رواية الزبيدى حيث قال : « فانصرف إلى الخليل فشكا إليه ما لقيه من حماد . فقال : صدق حماد ، ومثل حماد يقول هذا ، ورعف لغة ضعيفة ، والصحيح رَعَف »[1] .

ويعد هذا اللحن من أوائل الإشارات اللغوية التى تلقاها سيبويه على يد حمّاد بن سلمة المحدِّث اللغوى المشهور، والذى أكده الخليل بن أحمد .

وهناك حادثة أخرى ترتبط بوزن الكلمة وطريقة نطقها وأيضاً كتابتها ، كانت سبباً فى دفع سيبويه إلى تعلم العربية، فيقول الزجاجى : «حدثنا أبو جعفر قال : حدثنا ابن عائشة عبيد الله قال : حدثنا حماد بن سلمة قال : جاء سيبويه مع قوم يكتبون شيئا من الحديث ، فكان فيما أمليت ذكر الصفا عن رسول الله ﷺ فقلت : « صعد رسول الله ﷺ الصفا » وهو الذى كان يستمل فقال « صعد النبى ﷺ الصفاء » فقلت : يا فارسى لاتقل الصفاء ، لأن الصفا مقصور. فلما فرغ من مجلسه كسر القلم وقال : لا أكتب شيئاً حتى أحكم العربية »[2] .

فتوجيه اللوم من الأستاذ إلى تلميذه عن طريق أسلوب النداء، وندائه بالنسب إلى موطنه الأصلى ، ربما أشعر سيبويه أنه ليس من أصحاب السليقة

(١) الزبيدى، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ص ٦٦.

(٢) الزجاجى، مجالس العلماء . تحقيق عبد السلام هارون ص ١١٨.

اللغوية، فهو ليس بعربى ، وهذا مادفع سيبويه دفعاً قوياً إلى حضور حلقات العلماء ينهل من علمهم حتىٰ أصبح إماما للعربية .

مما سبق يتبين لنا أن سيبويه اتبع طريقة الاستملاء، وكذلك الاستفسار والسؤال عند تعلمه علوم العربية ، وكانت الأولى على يد حماد ابن سلمة ، والثانية على يد أستاذه الخليل بن أحمد وهى الأكثر استعمالاً كما يتضح ذلك فى كتابه .

وقد ظل سيبويه متصلاً بعلم الحديث، حتى عندما كبر وأصبح يلقى دروسه فى حلقة خاصة به بالبصرة ، كان يذكر لرواده بعض الأحاديث.

فيروى أن محمد بن سلام قال : « كان سيبويه النحوى جالساً فى حلقته بالبصرة فتذاكرنا شيئاً من حديث قتاده ، فذكر حديثاً غريباً وقال : لم يرو هذا إلا سعيد بن أبى العروبة . فقال له بعض ولد جعفر بن سليمان ماهاتان الزائدتان يا أبا بشر ؟ فقال : هكذا يقال ، لأن العروبة هى الجمعة ، ومن قال عروبة فقد أخطأ فقال ابن سلام : فذكرت ذلك ليونس فقال : أصاب لله دره ! »[1] .

فقد حرص سيبويه أول ما حرص على حضور حلقات أهل الفقة والحديث، وقد ساعده على ذلك معرفة أحكام هذين العلمين وطريقة العلماء فيهما ، مما جعله يعكس تلك المعرفة على علم العربية عندما اشتد عوده ، وأحكم قواعد العربية ، فبدأت تظهر عنده بعض المصطلحات التى ألم بها من علم الحديث عندما أراد أن يقعّد للغة .

(١) الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ص ٦٧ .

بين المحدّثين واللغويين :

لم يعرف علم من العلوم اهتماما شديداً برواته ومتنه مثلما عرف عن علم الحديث، فقد اهتم علماء الحديث اهتماما بالغاً براوى الحديث وكذلك بنص الحديث .

ولم يقنع علماء الحديث بأخذ الحديث من المدينة الموطن الأصلى للحديث، ولا من بلادهم التى نشأوا فيها، بل أرادوا أن يوسعوا دائرة سماعهم ، فرحلوا إلى جميع الأمصار يسمعون من أفواه العلماء مايطلبونه من أحاديث توثيقا للنصوص وتأكيدا لصحة السند.

وقد تكبد العلماء مشاق الرحلة ليحصلوا على مرادهم، ولو كان المراد حديثاً واحداً ، فيروى أن جابر بن عبد الله « ابتاع بعيراً فشد عليه رحله وسار شهرا حتى قدم الشام ليسأل عبد الله بن أنيس عن حديث فى القصاص . . . »[1] .

وقد اهتم علماء الحديث بدراسة الرواة دراسة دقيقة ترتبط بحياتهم العلمية والاجتماعية والعقلية فتتبعوا أحوالهم من حيث النشأة والتلقى، والعدالة أو الفسق، والضبط أو الغفلة ، والصدق أو الكذب ، وبسبب ذلك نشأ ما يسمى بعلم الجرح والتعديل ، وهو العلم الذى يتناول دراسة الرواة دراسة شاملة من جميع الجوانب التى تورث الشك أو الثقة بهم .

وكان الدافع الرئيسى إلى هذا التدقيق فى أحوال رواة الحديث هو صون حديث الرسول ﷺ من أى تغيير أو تبديل ، وكان يحدو العلماء فى ذلك قول ابن سيرين رضي الله عنه «إن هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم»[2] .

---

(١) د. صبحى الصالح، علوم الحديث ومصطلحه ، ص ٥٣ - ٥٤ .

(٢) د. بكرى شيخ، أدب الحديث النبوى ص ٢٥ .

وقد اشترط علماء الحديث شروطاً محـددة فيمن يحتج بحديثه وذلك « أن يكون عدلاً ضابطا لما يرويه ، وتفصيله أن يكون مسلما بالغا عاقلاً، سالما من أسبـاب الفسق وخـوارم المروءة ، متيـقظا غـير مغفـل ، حافظا إن حـدث من حفظه، ضابطاً ، لـكتابه إن حدث من كتابه ، وإن كان يحدث بـالمعنى اشترط مع ذلك أن يكون عالما بما يحيل من المعانى »[1] .

فالشروط الواجب توافرها فيمن يروى عنه الحديث أن يكون عدلا ضابطا، والعدالة معـناها أن يكون مسلما بالـغا عاقلا سليما من أسبـاب الفسق وخوارم المروءة ، أما الضبط فمـعناه أن يكون حافظا يقظا إن حدث مـن حفظه، ضابطا لكتابه إن حدث منه، فاهماً بما يحيل من المعانى .

وقد وضع علماء الحديـث ألفاظاً فى علم الجرح والتعديل فـألفاظ التعديل على مراتب أربع هى :

الأول : هو ثقة ، أو متقن ، أو ثبت أو حجة ، أو يقال فى العدل حافظ أو ضابط ، فهو ممن يحتج بحديثه.

الثانية : صدوق أو محله الصدق أو لابأس به .

الثالثة : هو شيخ.

الرابعة : صالح الحديث .

وألفاظ الجرح أيضا علىٰ مراتب أربع هى :

أولها : هو لين الحديث . الثانية : هو ليس بقوي

الثالثة : ضعيف الحديث . الرابعة : هو متروك الحديث [2] .

---

(١) ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح ص ٥٠ .

(٢) الطيـبى ، الخلاصة فى أصول الحديـث تحقيق صبحى السـامرائى ، مطبعـة الإرشاد بغداد ١٣٩١هـ - ١٩٧١م ، ص ٩٠ - ٩٢ .

فارفع الألفاظ فى أحوال رواة الحديث أن يقال حجة أو ثقة وأدناها أن يقال « كذاب ساقط »[1] .

المكان وعلاقته بالصحيح :

ارتبط المكان بالصحيح من الأحاديث النبوية، كما ارتبط أيضاً بالصحيح من اللغة ، فقد حدد علماء الحديث أصح الأحاديث وربطوها بأماكن معينة ، كما اجتهد علماء اللغة فى أخذ اللغة الصحيحة النقية من أفواه العرب فى أماكن محددة .

فنجد عند أهل الحديث أن أصح الأحاديث مارواه أهل المدينة يقول ابن تيمية « اتفق أهل العلم بالحديث على أن أصح الأحاديث ما رواه أهل المدينة ، ثم أهل البصرة ثم أهل الشام ، وقال الخطيب : أصح طرق السنن ما يرويه أهل الحرمين مكة والمدينة فإن التدليس عنهم قليل والكذب، ووضع الحديث عندهم عزيز، ولأهل اليمن روايات جيدة وطرق صحيحة إلا أنها قليلة ، ومرجعها إلى أهل الحجاز أيضاً ، ولأهل البصرة من السنن الثابتة بالأسانيد الواضحة ماليس لغيرهم مع إكثارهم، والكوفيون مثلهم فى الكثرة، غير أن رواياتهم كثيرة الدغل، قليلة السلامة من العلل ، وحديث الشاميين أكثر مراسيل ومقاطيع ، وما اتصل منه فإنه صالح والغالب عليه مايتعلق بالمواعظ »[2] .

وكما كان للمكان تأثير فى تحديد أصح الأحاديث ، كان له أيضاً أثر واضح فى تحديد الصحيح من اللغات فقد حدد علماء اللغة القبائل التى يؤخذ عنها

---

(١) ابن الصلاح . مقدمة ابن الصلاح ص ٥٩ .
وانظر ابن كثير الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تاليف أحمد محمد شاكر ، دار الكتب بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ص ١٣٠ ، ١٤٨ .

(٢) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه، ص ١٥٣ - ١٥٤ .

اللغة الفصيحة، وربطوا ذلك بأماكن معينة، فيؤخذ عن سكان البادية الذين يعيشون وسط الجزيرة، ولايؤخذ عن سكان الحضر الذين يعيشون فى أطراف البلاد.

يقول السيوطى « والذين عنهم نقلت اللغة العربية وبهم اقتدى، وعنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب ، هم قيس وتميم وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف ثم هذيل وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم .

وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضرى قط، ولاعن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم التى تجاور سائر الأمم الذين حولهم. فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام فإنهم كانوا مجاورين لأهل مصر والقبط، ولا من قضاعة ولا من غسان ولا من إياد فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون فى صلاتهم بغير العربية ، ولا من تغلب ولا من النمر فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونانية، ولامن بكر لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، ولامن عبد قيس، لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أزد عمان لمخالطتهم للهند والفرس، ولامن أهل اليمن أصلا لمخالطتهم الهند والحبشة ولولادة الحبشة فيهم، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وسكان الطائف لمخالطتهم تجار الأمم المقيمة عندهم، ولامن حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم ، وفسدت ألسنتهم »[1] .

---

(١) السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو، تحقيق وتعليق د. أحمد محمد قاسم. مطبعة السعادة بالقاهرة، ط الأولى ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، ص ٥٦ - ٥٧.

فشرط جمع اللغة عند اللغويين هو نقاؤها وصفاؤها من الشوائب التى يمكن أن تعلق بها نتيجة لاختلاط أصحابها بغير العرب الذين لايجيدون العربية.

فسبب عدم أخذ اللغة عن بعض القبائل هو الاختلاط الذى يؤدى بالضرورة إلى فساد اللغة وحدوث اللحن، يقول ابن جنى : « إن علة امتناع أخذ اللغة عن أهل المدر هو ماعرض للغات الحاضرة وأهل المدر من الاختلال والفساد والخطل. ولو علم أن أهل مدينة باقون على فصاحتهم، ولم يعترض شئ من الفساد للغتهم، لوجب الأخد عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر.

وكذلك أيضاً لوفشا فى أهل الوبر ماشاع فى لغة أهل المدر من اضطراب الألسنة وخبالها، وانتقاص عادة الفصاحة وانتشارها لوجب رفض لغتها وترك تلقى مايرد عنها »[1] .

إذن الأساس فى مسألة أخذ اللغة وتحرى الدقة فى نقلها عن قوم بعينهم هو المحافظة على الفصاحة والبعد عن الاضطراب والفساد اللغوي، سواء أكان الإقليم المأخوذ عنه هذه اللغة يمثل المدر أم الحضر.

فاهتمام علماء اللغة كان منصباً على اللغة الفصحى « ومن ثم فقد أهملوا تلك اللهجات التى أصبح البون بينها وبين الفصحى شاسعاً ولم ينظروا ويهتموا إلا باللهجات التى تقترب فى خصائصها من العربية الفصحى وهذه هى لهجات الحجاز وتميم وهذيل وطىء »[2] .

وسبب الدقة فى جمع اللغة يرجع إلى ظهور وضع اللغة وتسرب الشك فى بعض الروايات « إذ يبدو أن بعض الرواة من الأعراب كان احترف صناعة

(١) ابن جنى ، الخصائص ، حققه محمد على النجار، عالم الكتب بيروت، ط الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م جـ٢ ص ٥.

(٢) د. محمود فهمى حجازي، علم اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة ، بدون تاريخ، ص ٢٢٥ .

النصوص غير الصحيحة ، يحشوها بالغريب من الألفاظ. . ومنهم من أخذ يضع أشعاراً ينسبها إلى شعراء سابقين، على حين أن أهل الشعر لايقرونها ولايعترفون بصحتها »[1] .

فاحتاط اللغويون في قبول مايسمعون «فحدثنا على بن إبراهيم عن المعدانى عن أبيه عن أبى معاذ معروف بن حسان عن الليث عن الخليل قال « إن النحارير ربما أدخلوا على الناس ماليس من كلام العرب إرادة اللبس والتعنيت»[2] .

ونلحظ فى الرواية السابقة حرص علماء اللغة على اتباع منهج علماء الحديث فى الإسناد، وهو دقة التسلسل الإسنادى للخبر حتى يصل إلى قائله الأول، مع الفارق بين النصين، فنص الحديث نص لغوى تستنبط منه الأحكام والشرائع الدينية التى تنظم حياة البشر، أما النص اللغوى فهو مجرد نص تستنبط منه القواعد اللغوية سواء أكانت صوتية أم صرفية أم نحوية أم دلالية، وهى ترتبط جميعها بصحة وسلامة اللغة فى النطق والفهم.

«فالرواية اللغوية تختلف عن رواية الحديث فى أمر جوهرى هو توثيق الكلمة أو التركيب دون نظر إلى الحكم الوارد فى النص ، أكان صوابا أم خطأ»[3] .

لذلك كان على علماء اللغة أن يتحروا الثقة والصدق حتى يأمنوا ماليس من كلام العرب الفصحاء، يقول ابن فارس: «فليتحر آخذ اللغة . . أهل الأمانة والثقة والصدق والعدالة فقد بلغنا من أمر بعض مشيخة بغداد ما بلغنا »[4] .

---

(١) د. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، المطبعة العالمية بالقاهرة ، ١٣٩٦هـ ، ١٩٧٦م، ص ٢٧.

(٢) ابن فارس ، الصاحبى، تحقيق أحمد صقر ، عيسى البابلى الحلبى بالقاهرة بدون تاريخ، ص ٤٨.

(٣) د. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص ٢٧ .

(٤) ابن فارس، الصاحبى، ص ٤٣.

وخوفاً من اتساع رقعة التزييف فى اللغة التى تؤدى بالضرورة إلى فساد اللغة ، أخذ علماء اللغة على عاتقهم ضرورة التصدى لموجه التزييف، ونهجوا نهج علماء الحديث فى نقد النصوص وتوثيق نسبة الكلام إلى قائله ، ويرى بعض الباحثين أن السبب الذى ألجأ النحاة إلى التشدد والتزمت فى أخذ اللغة يرجع إلى أن اللغة كانت مكتوبة وليست منطوقة « فلما لم تكن هذه اللغة بنت وقتها، وكانت مروية عن عصور سابقة جاهلية وإسلامية، اضطر النحاة إلى توثيق الرواية كما فعل رجال الحديث بالحديث »(١) .

الأخذ عن الثقة :

عنى أصحاب الحديث بالأخذ عن أهل الثقة والأمانة واهتموا بدراسة أحوال الرواة اهتماما بالغا، حتى إنهم بعد دراسة مستفيضة انتهوا إلى تحديد أوهى الأسانيد حتى لايشتبه أمر الحديث على الناس ويختلط عندهم المقبول منه بالمردود. ومثال ذلك قالوا «إن أوهى أسانيد أهل البيت عمرو بن شمر الجعفى عن جابر عن يزيد الجعفى ، عن الحارث بن عبد الله الأعور الهمدانى عن على رضي الله عنه »(٢) .

منهج سيبويه فى جمع اللغة :

تأثر سيبويه بمنهج المحدِّثين فى جمع اللغة من أفواه العرب الفصحاء الذين اشتهروا بالثقة والأمانة ، سواء أكان ذلك بطريقة مباشرة أم كان بطريقة غير مباشرة. وذلك عن طريق سماعه من شيوخه الذين سمعوا بدورهم من ذوى الثقة من العرب .

وقد أشار سيبويه كثيراً إلى منهجه فى السماع من أهل الثقة وحرص على أن يروى ذلك بنفسه إيماناً منه بضرورة السعى من أجل الوقوف على اللغة النقية

---

(١) د. تمام حسان، الأصول ، الهيئة العامة للكتاب ١٩٨٢م ص ١١١ .

(٢) د. محمد اديب صالح، لمحات فى أصول الحديث ص ١٩٤ - ١٩٥ .

الفصيحة الخالية من الشوائب .

وقد استعمل سيبويه بعض الألفاظ التى تدل على اهتمامه بأخذ اللغة من ذوى الثقة مثل :

السماع ، والتحديث ، والإخبار ، والتبليغ .

السماع : أما من السماع فقد ذكر ما سمعه بنفسه عن العرب، وماسمعه ممن يثق به أنه سمع من العرب.

فمن النوع الأول نجده يستعمل ضمير المفرد أو الجمع فيقول :

- وسمعت من أثق به من العرب . ١/ ٢٣٠ .
- وسمعنا من العرب من يقول ممن يوثق به ١/ ٥٣ .
- سمعناه ممن يوثق بعربيته . ١/ ٧١، ١٥٥، ٣١٣ .
- وسمعنا العرب الموثوق بهم يقولون . ١/ ٣٣٠.
- سمعنا بعض العرب الموثوق به ١/ ٣١٩، ٣٢٠، ٤٢٣ .
- سمعنا ذلك ممن يوثق به من العرب . ١/ ٤٠٥.
- وسمعنا الثقة من العرب . ٢/ ٢٤٤ .
- سمعناه من أهل الثقة . ٣/ ١٣٧.
- وسمعنا من يقول ممن يوثق به من العرب. ٣/ ٤٢٥.
- وسمعنا فصحاء العرب يقولون . ٣/ ٥٠٣.
- وسمعنا من يوثق به من العرب ٣/ ٥٤٩.
- سمعنا من نثق به من العرب[1] ٤/ ١٣٩.

---

(١) يدل اهتمام سيبويه وحرصه على سماع اللغة النقية الصافية من أفواه العرب الفصحاء على أنه رحل إلى ينابيع اللغة، يجمع منها ما يستطيع حتى تعينه على استخراج قواعده وأحكامه .

ومن النوع الثانى وهو السماع غير المباشر عن العرب، يقول :

- هذه حجج سمعت من العرب وممن يوثق به، يزعم أنه سمعها من العرب. ١/ ٢٥٥ .
- وزعم أبو الخطاب أنه سمع بعض العرب الموثوق بهم ١/ ٣٠٤.
- وزعم من نثق به أنه سمع رؤية يقول . ٢/ ١١٣ .
- سمعناه ممن يرويه عن العرب الموثوق بهم. ٢/ ٣٣٦ .
- وزعم من يوثق به ، أنه سمع من العرب من يقول . ٣/ ٢٦٥ .
- وزعم أبو الخطاب أنه سمع من يوثق به من العرب. ٣/ ٢٩٤ .

التحديث (حدثنا) :

وهى عبارة ترتبط بمصطلح الحديث، وتبين مدى اهتمام العلماء بتتبع سلسلة السند حتى تصل إلى راويها الأول .

وقد اهتم سيبويه أن يكون المحدث من أهل الثقة والصدق فى القول، يقول :

- وحدثنا من لا نتهم أنه سمع من العرب من يقول. ١/ ٢٤٥،٤/ ٤٧٢ .
- وحدثنا من يوثق به أن بعض العرب قيل له . . . ١/ ٢٥٥.
- وحدثنى من لا أتهم عن الخليل أنه سمع أعرابيا يقول . ١/ ٢٧٩.
- وحدثنا الخليل أنه سمع من العرب من يوثق بعربيته. ٢/ ١١٠.
- وحدثنى أبو الخطاب أنه سمع من يوثق بعربيته من العرب . ٢/ ١١١.

- حدثنا يونس وعيسى أن بعض العرب الموثوق بعربيته يقول. ٢/ ٣١٩.
- حدثنا أبو الخطاب « أنه سمع من العرب الموثوق بهم» ٢/ ٣٢٩، ٣/ ٥٤٦.
- وحدثنا يونس أن بعض العرب الموثوق بهم يقولون . ٢/ ٣٣٧.
- وحدثني من لا أتهم عن رجل من أهل المدينة موثوق به، أنه سمع أعرابياً يتكلم . . . ٢/ ١٥٢.
- وحدثنا من نثق به أن . . . ٣/ ٣٣٦.
- وحدثني من أثق به أنه سمع عربيا ٤/ ١٧٢.
- وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب. ٤/ ١٨٣.

الإخبار (أخبرني):

- أخبرني من أثق به أنه يقول ٣/ ٤٦٢.

التبليغ (بلغني):

- وبلغني عن العرب الموثوق بهم أنهم يقولون . . . ٢/ ٣٥٩.
- وبلغنا أن أهل المدينة. ٣/ ٥٠.

فقد تأثر سيبويه بأهل الحديث تأثرًا واضحًا في طريقة جمعه اللغة فأخذها عن ذوي الثقة والأمانة ، فقد روى كثيرا عن أساتذته وهم أهل الثقة والعدل منهم : الخليل بن أحمد، وأبو زيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، وكان من رواة الحديث، عرف بالثقة والأمانة في الحديث واللغة.

ويبدو أن سيبويه كان إذا قال : حدثنى من أثق بعربيته فإنما كان يعنى أبا زيد الأنصارى، يقول أبو الطيب اللغوى « وقد أخذ عن أبى زيد اللغة أكابر الناس ، منهم سيبويه وحسبك. قال أبو حاتم عن أبى زيد : كان سيبويه يأتى مجلسى وله ذؤابتان . قال : فإذا سمعته يقول « حدثنى من أثق بعربيته » فإنما يريدنى »[1].

وفى رواية ابن قتيبة « فإنما يعنينى »[2] .

ولمكانة سيبويه العلمية، كان أبو زيد يرى أن رواية سيبويه عنه تعد نوعا من الفخرو والاعتزاز بين العلماء يقول السيرافى : « وذكر أبو زيد النحوى كالمفتخر بذلك بعد موت سيبويه قال : كل ماقاله سيبويه وأخبرنى الثقة فأنا أخبرته »[3].

ويبدو أن أبا زيد الأنصارى كان معروفا بالثقة بين علماء عصره، فقد ذكر يونس أنه من أهل الثقة، يقول السيوطى: « وكان يونس يقول: حدثنى الثقة من العرب، فقيل له : من الثقة ؟ قال : أبو زيد . قيل له : فلم لا تسميه ؟ قال : هو حى بعد فأنا لا أسميه »[4].

ولقد حرص علماء اللغة بعد سيبويه على توثيق المادة اللغوية فاهتموا بالبحث عن أحوال اللغات ورواتها متأثرين فى ذلك بمنهج المحدِّثين، فاستعملوا بعض مصطلحات علماء الحديث كالآحاد ، والمرسل والمنقطع .

(١) أبو الطيب اللغوى، مراتب النحويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر بالقاهرة ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م . ص ٧٤ .

(٢) الزبيدى ، طبقات النحويين واللغويين ، ص ٦٧ .

(٣) السيرافى [أبو سعيد الحسن بن عبد الله] أخبار النحويين البصريين، تحقيق طه محمد الزينى، محمد عبد المنعم خفاجى، مصطفى البابلى الحلبى بمصر، ط الأولى ، ١٣٧٤هـ ، ١٩٥٥م ص ٣٧ .

(٤) السيوطى، كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو ، ص ٧٤ وانظر المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى جـ١ ص ١٤٣ .

صحيح أن درجات النقل اللغوى لم تتنوع كشأنها لدى المتحدثين، فهؤلاء قد وجدت لديهم أنواع كثيرة ذات ألقاب مختلفة كالآحاد، والغريب، والمرسل، والمنقطع، والمتصل والمرفوع[1].

وقد قسم أبو البركات الأنبارى النقل الصحيح للكلام العربى الفصيح إلى قسمين : تواتر وآحاد . فأما التواتر فلغة القرآن، وماتواتر من السنة وكلام العرب وهذا القسم دليل قطعى من أدلة النحو. وأما الآحاد فما تفرد بنقله بعض أهل اللغة وأن يكون ناقله عدلا رجلا كان أو إمرأة حرا كان أو عبدا، كما يشترط فى نقلها ما اشترط فى نقله، فإن كان ناقل اللغة فاسقا لم يقبل نقله»[2].

ويقول أيضا : «واعلم أن أكثر العلماء ذهبوا إلى أن شرط التواتر أن يبلغ عدد النقلة إلى حد لايجوز على مثلهم الاتفاق على الكذب كنقلة لغة القرآن وما تواتر من السنة وكلام العرب، فإنهم انتهوا إلى حد يستحيل على مثلهم الاتفاق على الكذب»[3].

ونلاحظ أن أبا البركات الأنبارى متأثر بطريقة أهل الحديث ومصطلحاتهم فى كلامه عن النقل اللغوى وانقسامه إلى تواتر وآحاد.

---

(١) د. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية، ص ٢٤.

(٢) السيوطى، كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو، ص ٨٥ ، ٨٦. وانظر له المزهر فى علوم اللغة حققه محمد أحمد جاد المولى وآخرين، عيسى البابلى الحلبى بالقاهرة، بدون تاريخ . جـ١ ص ١٣٨.

(٣) السيوطى، المزهر فى علوم اللغة و أنواعها جـ١ ص ١١٤ .

بين مصطلح الحديث ومصطلحات التقعيد عند سيبويه :

أولاً : مصطلح الحديث :

عنى علماء الحديث بما سموه « مصطلح الحديث »[1]، وعرفوه كذلك باسم « الاصطلاح » .

« وكلمة (اصطلاح) تعنى الكلمات المتفق على استخدامها بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية لذلك التخصص، وبهذا المعنى استخدمت أيضاً كلمة (مصطلح) »[2].

فقد اتفق علماء الحديث كغيرهم من علماء العلوم الأخرى على استخدام كلمات محددة ذات دلالة معينة للتعبير عن المفاهيم التى يريدونها من علم الحديث .

اقسام الحديث :

وضع علماء الحديث بعض المصطلحات التى تشير إلى نوع الحديث من حيث الصحة أو الضعف ، وكان الحديث فى عصر الإمام أحمد بن حنبل وقبل الترمذى ينقسم إلى قسمين هما :

أ - الصحيح   ب - الضعيف .

ثم جاء أبو عيسى الترمذى وجعل الحديث ثلاثة أقسام هى : الصحيح، والحسن، والضعف. فالترمذى هو أول من قسم الحديث إلى الأقسام الثلاثة

(١) ويطلق عليه أيضا « علم مصطلح الأثر » ، وعلم أصول الحديث ، وعلم الحديث دراية ، وعلوم الحديث. انظر عبد الوهاب عبد اللطيف ، المعتصر من مصطلحات أهل الأثر، مطبعة الفجالة بالقاهرة. ط. الأولى ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠م ص ٤ - ٥ .

(٢) د. محمود فهمى حجازى ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، د. ت ص ٨ .

السابقة، «ولم تعرف هذه القسمة عن أحد قبله»[1].

ثم وضع أهل الحديث بعض المصطلحات تحت المسميات الثلاثة السابقة . ونتناول هنا مصطلحات الحديث على النحو التالى :

أ - الصحيح :

المعنى اللغوى :

صَحَّ الشئ يصح صُحّا وصِحّة وصحَاحاً : برئ من كل عيب أو ريب يقال: صحّ المريض وصحّ الخبر، وصحّت الصلاة ، وصحّت الشهادة، وصح العقد فهو صحيح .

والصحيح : السليم من العيوب والأمراض[2]، والصحيح من الشعر: ماسلم من النقص[3].

المعنى الاصطلاحى :

الصحيح : «هو الحديث المسند الذى يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه، ولا يكون شاذا ولا معللا»[4].

ويقول عنه ابن كثير « حد الصحيح أنه المتصل سنده بنقل العدل الضابط عن مثله حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ ، أو إلى منتهاه ، من صحابى أو من

(١) ابن تيمية ، أبو العباس أحمد، علم الحديث ، تحقيق وتعليق موسى محمد على ، عالم الكتب بيروت، ط الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م : ص ٨٢ .

(٢) المعجم الوسيط مادة : صحح .

(٣) لسان العرب مادة : صحح .

(٤) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨ م ص ٧ - ٨ .

دونه، ولايكون شاذا ولا مردودا، ولا معللا بعلة قادحة، وقد يكون مشهوراً أو غريباً »[1].

فالحديث الصحيح لابد أن تتوافر فيه بعض الشروط حتى يصح أن يطلق عليه مصطلح الصحة، وهذه الشروط هى :

١ - اتصال السند : أى يكون كل راو أو كل رجل من رجال الإسناد قد روى عمن قبله وهكذا من أول الإسناد إلى آخره حتى يصل إلى رسول الله ﷺ .

٢ - عدالة الرواى : والمراد بعدالته أن يكون موثوقا به فى دينه وذلك بأن يكون مسلما بالغا عاقلاً سالما من أسباب الفسق .

٣ - ضبط الراوى : والمراد بضبطه أن يكون موثوقاً به فى روايته، وذلك بأن يكون الرواى حافظا متيقظا لما يرويه، حافظاً لروايته إن كان يروى من حفظه ، وضابطا لكتابه إن كان يروى من الكتاب .

٤ - أن يكون الحديث خالياً من الشذوذ ، والشذوذ هو مخالفة الثقة لمن هو أوثق منه وأرجح، فيجب ألا يخالف الثقة من هو أوثق وأرجح منه من الرواة .

٥ - ألا يكون الحديث معللا بعلة قادحة ، والعلة وصف خفى يقدح فى قبول الحديث، ويكون ظاهره السلامة منه[2].

فالصحيح من الحديث ما اجتمع فيه شروط الصحة وهى اتصال السند، وعدالة الراوى وضبطه ، وخلا من الشذوذ ومن العلة ، فإن فقد الحديث شرطا من الشروط السابقة خرج من أن يكون صحيحاً ، وانتقل إلى نوع آخر

(١) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث - ص ٢٩ .

(٢) انظر د. أحمد عمر هاشم ، أضواء على مصطلح الحديث ، ص ٥٢ - ٥٥ .

هو الحسن أو الضعيف .

فهناك علاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الاصطلاحى وهى الخلو من النقص والعيوب .

وينقسم الحديث الصحيح - من حيث السند والنص إلى قسمين هما:

أ - صحيح لذاته. ب - صحيح لغيره .

أ - صحيح لذاته :

وهو الحديث الذى اشتمل على أعلى صفات القبول وهى :

- اتصال السند .
- عدل الراوى وضبطه
- خلوه من الشذوذ والعلة

فالصحة هنا نابعة من ذاته ، أى من السند والمتن لامن حديث آخر خارج عنه .

ب - صحيح لغيره :

وهو الحديث الذى قصر شرط ضبطه ، بأن كان غير تام الضبط، وهو الحديث الحسن الذى جبر قصوره عن طريق تعدد الروايات ، فانتقل إلى مرتبة الصحة، غير أن هذه الصحة جاءته من طريق آخر فسمى صحيحاً لغيره[1]، فالحديث هنا هو :

الحديث الحسن لذاته + تعدد طرق الرواية بشرط الاتصاف بالصدق ← صحيح لغيره.

(١) انظر ، د. أحمد عمر هاشم ، أضواء على مصطلح الحديث ص ٦٢ .

فقد صحح لأمر خارج عنه ، فالحسن لذاته إذا روى من وجه آخر انتقل إلى مرتبة الصحيح ، لأنه قوى من الجهتين، لأن راوى الحديث الحسن متأخر «عن درجة أهل الحفظ والإتقان غير أنه من المشهورين بالصدق والستر، وروى مع ذلك حديثه من غير وجه، فقد اجتمعت له القوة من الجهتين ، وذلك يرقى حديثه من درجة الحسن إلى بدرجة الصحيح»[1].

وقد ساوى بعض العلماء بين الجيد والصحيح من جهة الإسناد «فالجودة قد يعبر بها عن الصحة، فيتساوى حينئذ الجيد و الصحيح كالذى نرى فى قول أحمد بن حنبل ، وهو يتحدث عن أصح الأسانيد : (أجود الأسانيد الزهرى عن سالم عن أبيه) »[2].

والحديث الصحيح يوصف بأوصاف منها :

- المسند .
- المتصل .
- المتواتر
- الآحادى .
- الغريب
- المشهور.

« فالحديث الصحيح يسمى « غريبا » إذا تفرد براويته واحد ثقة، وتكون غرابته فى المتن تارة وفى الإسناد تارة أخري، ويسمى «مشهورا» إذا اشتركت جماعة فى روايته عن الشيخ الثقة »[3].

وهذه الأوصاف السابقة بالإضافة إلى أوصاف أخرى[4] مثل : جيد، مجود، وقوى، وثابت ، ومحفوظ ، ومعروف . وصالح، ومستحسن ،

---

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ١٧ .

(٢) د. محمد أديب صالح ، لمحات فى أصول الحديث ، ص ١٨٩ .

(٣) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث و مصطلحه ، ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٤) هذه الأوصاف يوصف بها الحديث الحسن أيضا .

لاتقلل من دقة مصطلح «الصحيح» ، «فليس من الضروري أن يحمل المصطلح كل صفات المفهوم الذي يدل عليه »[١].

فمصطلح «صحيح» عندما يطلق على الحديث إنما يعني صحة الحديث متناً وسنداً ، والمصطلح هنا مكون من كلمة واحدة، وهي أقوى من عبارة : صحيح الإسناد .

مضاف + مضاف إليه .

إذ إن هذه العبارة « تعني صحة السند من غير أن تستلزم صحة المتن، لجواز أن يكون في المتن شذوذا أو علة »[٢].

لأن المصطلح في هذه الحالة السابقة قد أشار إلى صحة السند دون صحة النص، فالعبارة حددت مفهوم الصحة في جانب دون الآخر ، أما إطلاق كلمة صحيح دون قيد ، فإن ذلك يعني تحقق الصحة في كل من السند والنص معاً.

ب - الحسن :

المعنى اللغوي :

حسُن يحسُن حُسْناً : جَمُل . فهو حَسَن واستحسن الشئ : عدّه حسنا[٣].

(١) د. محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، ص ١٥.

(٢) د. بكري شيخ أمين ، في أدب الحديث النبوي ، ص ٨٥.

(٣) المعجم الوسيط مادة : حسن .

المعنى الاصطلاحى:

الحسن فى اصطلاح الترمذى هو « ماروى من وجهين، وليس فى رواته من هو متهم بالكذب ، ولاهو شاذ مخالف للأحاديث الصحيحة»[1].

ويروى عن أبى سليمان الخطابى أن الحسن « ماعرف مخرجه واشتهر رجاله وقال وعليه مدار أكثر الحديث وهو الذى يقبله أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء »[2].

ويرى ابن الصلاح أن التعريفين السابقين للحديث الحسن لايتضح فيهما الفرق بين الحسن والصحيح فيقول «وليس فيما ذكره الترمذى والخطابى مايفصل الحسن من الصحيح وقد أمعنت النظر فى ذلك والبحث جامعا بين أطراف كلامهم ملاحظا مواقع استعمالهم، فتنقح لى واتضح أن الحديث الحسن قسمان :

أحدهما : الحديث الذى لايخلو رجال إسناده من مستور لم تتحقق أهليته، غير أنه ليس مغفلا كثير الخطأ فيما يرويه، ولا هو متهم بالكذب فى الحديث . . . ويكون متن الحديث مع ذلك قد عرف بأن روى مثله أو نحوه من وجه آخر . . . » .

الثانى : أن يكون راويه من المشهورين بالصدق والأمانة غير أنه لم يبلغ درجة رجال الصحيح ؛ لكونه يقصر عنهم فى الحفظ والإتقان. . . »[3].

ويرى ابن كثير أنه قد عسر على أهل الحديث التعبير عن الحديث الحسن؛ لأنه يقع وسطا بين الصحيح والضعيف، واعترض على تعريف الخطابى السابق

---

(١) ابن تيمية، علم الحديث ، ص ١٠١ .

(٢) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ١٥ .

(٣) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ١٥ - ١٦.

فقال أما قول الخطابى بأن الحسن هو ماعـرف مخرجه واشتهر رجاله « فالحديث الصحيح كذلك ، بل والضعيف »[1].

مما سبــق يمكن تعـريف الحديث الحسـن بأنه : ما اتصـل سنده بنـقل عدل خفيف الضبط ، وسلم من الشذوذ والعلة .

وبهـذا يكون الحـديث الحسـن قد اشتـمل عـلى معـظم شروط الحـديث الصحيـح ، غير أنه يخالـفه فى شرط الضبـط والإتقان فإن العدل فـى الحديث الصحـيح يتسم بـالضبط التام، إلا أنـه فى الحديث الحسـن يقل ضبطـه ، فهو خفيف الضبط، فالفرق بين الصحيح والحسن فى شرط واحد هو الضبط ، أما باقى الشروط فتوجد فيهما معا بدرجة واحدة .

فهناك صلة بين المعنى اللغوى والمـعنى الاصطلاحى للحديث الحسن، وهى عدم وجود الـنقص والخلـو من العيـوب، لأن الحديث الحسـن يعدُ نوعـاً من الصحيح عند بعض العلماء كالذهبى[2].

أقسام الحسن :

ينقسم الحديث الحسن إلى قسمين :

١ - حسن لذاته :

وسمى حسنا لذاته، لأن الحسن ناتج من شئ فيه .

٢ - حسن لغيره :

وهو الذى فى إسناده مستور لم تتحقق أهـليته، وهو غير مغفل، ولا كثير

---

(١) ابن كثير، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ص ٥٣ .

(٢) انظر د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه، ص ١٦٠ .

الخطأ فى روايته، ولا متهم بالكذب ويكون متنه معضدا بمتابع أو شاهد[1].

فأصل الحسن لغيره هو الحديث الضعيف، ثم يأتى ما يعضده فينتقل بسبب العاضد إلى مرتبة الحسن فهو على النحو التالى :

ضعيف + تعدد طرق روايته ← الحسن

فالحسن هنا من أمر خارج عنه، لذا سمى حسنا لغيره فشرط الضعيف هنا أن يكون راويه غير متهم بفسق أو كذب، فإذا روى من أوجه أخرى انتقل إلى الحسن، ولم يكن ضعفه لسوء حفظ راويه الصدوق الأمين، بل لأنه يرسل أويدلس، أو لأنه مجهول، وموافقة الضعيف لفسق راويه أو كذبه لاتوصله إلى مرتبة الحسن[2].

فالضعيف يرتقى إلى درجة الحسن لغيره بأمرين هما :

أ - أن يروى من طريق آخر فأكثر على أن يكون الطريق الآخر مثله أو أقوى منه .

ب - أن يكون سبب ضعف الحديث إما سوء حفظ راويه، أو انقطاع فى سنده أو جهالة فى رجاله[3].

الجمع بين مصطلحين فى مسمى واحد :

جمع الترمذى مصطلح « حسن » ومصطلح « صحيح » فى عبارة واحدة فقال هذا حديث «حسن صحيح» ، ويرى ابن الصلاح فى قول الترمذى السابق إشكالا « لأن الحسن قاصر عن الصحيح . . . ففى الجمع بينهما فى حديث

(١) انظر د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ص ١٥٦ - ١٥٧ .

(٢) عبد الوهاب عبد اللطيف ، المعتصر من مصطلحات أهل الأثر . ص ١٤ .

(٣) د. محمود الطحان . تيسير مصطلح الحديث ، مطابع دار التراث العربى. ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص ٤١.

واحد جمع بين نفى ذلك القصور وإثباته »[1].

والجواب عند ابن الصلاح على الإشكال السابق يتلخص فى نقطتين[2] هما:

١ - أن الحديث روى بإسنادين أحدهما إسناد حسن والآخر إسناد صحيح.

٢ - أن من « قال حسن صحيح » أراد بالحسن معناه اللغوى ، وهو ماتميل إليه النفس ولا يأباه القلب، دون المعنى الاصطلاحى .

ويعترض ابن كثير على النقطة الأولى وهى القول بأن الحديث هنا قد روى بإسنادين أحدهما يقتضى الحسن والآخر يقتضى الصحة يقول » وهذا يرده فى بعض الأحاديث :

هذا حديث حسن صحيح ، لانعرفه إلا من هذا الوجه »[3]. أى أن الحديث هنا ليس له إلا إسناد واحد.

ويرى ابن كثير أن عبارة « حسن صحيح » هى درجة من درجات المصطلح فهى تقع وسطا بين الصحيح والحسن.

يقول « فعلى هذا يكون ما يقوله فيه « حسن صحيح » أعلى رتبة عنده من الحسن ودون الصحيح، ويكون حكمه على الحديث بالصحة المحضة أقوى من حكمه عليه بالصحة مع الحسن »[4].

مما تقدم تكون رتبة الحديث من حيث الصحة والحسن من الأعلى إلى الأدنى على بالنحو التالى :

(١) ابن الصلاح ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ١٩ .

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة نفسها .

(٣) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، ص ٦١.

(٤) المرجع السابق ، ص ٦٢ .

١ - حديث صحيح .

٢ - حديث حسن صحيح .

٣ - حديث حسن .

وقد ذكر الترمذى بعض المصطلحات مصحوبة بالوصف مثل :

- صحيح غريب .
- حسن غريب .
- حسن صحيح غريب . والمقصود هنا أن الرواية جاءت من وجه واحد .

والغريب ما تفرد به واحد، والغرابة تكون فى المتن كما تكون فى الإسناد[١]، فعبارة « حسن صحيح غريب » معناها أن الحديث حسن عند قوم، صحيح عند قوم آخرين[٢].

وقد مزج الترمذى بين الجودة والحسن فى عبارة واحدة فقال : هذا حديث جيد حسن .

ويرى أن العبارة السابقة توقع الحديث فى مرتبة بين الحسن لذاته والصحيح ، فتكون رتبة الحديث الذى يقال عنه :

«جيد حسن» من حيث الصحة والحسن على النحو التالى :

- صحيح .
- جيد حسن .
- حسن لذاته .

(١) انظر ابن كثير . الباعث الحثيث فى شرح علوم الحديث . ص ٢٣٦.

(٢) د. محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، ص ٣٨ .

- فعبارة « جيد حسن » تعنى عند الترمذى ارتقاء الحديث « عن الحسن لذاته وتردده فى بلوغ الصحيح، فهو حسن لذاته، وصحيح لغيره، وذلك يعنى أن التعبير بالجودة يشمل الحسن كالصحيح»[1].

فكأن عبارة « جيد حسن » تساوى عند الترمذى عبارة «حسن صحيح» فالعبارتان عنده فى مرتبة واحدة فهما تقعان بين الحسن لذاته والصحيح .

جـ - الضعيف :

الحديث الضعيف هو « كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولاصفات الحديث الحسن »[2].

فتعريف الحديث الضعيف كما هو واضح فيما سبق تعريف سلبى أى أنه يعتمد على نفى صفات الحديث الصحيح وكذلك الحسن عن الحديث الضعيف، فهو أدنى رتبة من الحديث الصحيح والحديث الحسن، لفقده صفة أو أكثر من صفات الصحيح أو الحسن وهى :

١ - اتصال السند.

٢ - العدالة والضبط.

٣ - عدم الشذوذ .

٤ - عدم العلة .

٥ - أن يروى الحديث من وجه آخر ، إذا كان فى إسناده راو سئ الحفظ أو مستور لم تعرف أهليته غير متهم بالكذب ولا بكثرة الغلط .

فإذا فقدت صفة أو أكثر من الصفات السابقة انتقل الحديث إلى مستوى الضعف .

---

(١) د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه . ص ١٦٢.

(٢) ابن الصلاح . مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث . ص ٢٠ .

أقسام الحديث الضعيف :

ينقسم الحديث الضعيف إلى أقسام متنوعة باعتبار فقده صفة من صفات الصحة أو أكثر أو جميعها، ومن هذه الأقسام ما يلى :

الموضوع ، والمقلوب ، والشاذ[١]، والمعلل، والمضطرب، والمرسل، والمنقطع، والمعضل[٢].

وتستعمل بعض مصطلحات علم الحديث المندرجة تحت مصطلح الضعيف فى وصف الرواية اللغوية مثل المرسل ، والمنقطع .

فتوصف الرواية اللغوية أحياناً بالإرسال والانقطاع ، والمقصود منهما انقطاع مصدر النص وإرساله، وليس المراد أن النص «مرسل من النبى ﷺ أو منقطع السند إليه، فلسنا بصدد رواية حديث نبوى شريف ، وإنما هى رواية نص لغوى قد يكون مصدره أعرابيا معروفا أو مجهولا»[٣].

وقد ذكر بعض علماء الحديث أوصافا أخرى للحديث المقبول من ذلك: الجيد ، والقوى . «والجودة قد يعبر بها عن الصحة، فيتساوى الجيد والصحيح إلا أن المحقق منهم لايعدل عن الصحيح إلى الجيد إلا لنكته كأن يرتقى الحديث عنده عن الحسن لذاته، ويتردد فى بلوغه الصحيح»[٤].

---

(١) قال الشافعى : الحديث الشاذ « هو أن يروى الثقة حديثا يخالف ماروى الناس : وليس من ذلك أن يروى مالم يرو غيره » والمقصود بالناس هنا هم أهل الثقة . مقدمة ابن الصلاح ص ٣٦، والباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٧٩.

(٢) ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ص ٦٣ .
وانظر ، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ٢٠ .

(٣) د. عبد الصبور شاهين . دراسات لغوية . ص ٢٨ .

(٤) د. احمد عمر هاشم، أضواء على مصطلح الحديث ، ص ٩٦ .

فالجيد عند بعض علماء الحديث هو ما كان أقل درجة من الصحيح أى ما كان بين الحسن والصحيح ، وكذلك الحديث القوى .

مصادر التقعيد النحوى عند سيبويه :

اعتمد سيبوبه على بعض المصادر اللغوية التى استمد منها قواعده وأحكامه، وهى :

- القرآن الكريم ، وهو الأساس[1] الأول فى الاستشهاد .
- الشعر والرجز .
- العبارات المروية[2] عن العرب . ومنها التى سمعها بنفسه أو سمعها ممن يوثق بسماعه من العرب.
- الأمثال .
- المسائل المفترضة. وهى التى صنعها سيبويه من أجل المحافظة على القواعد المقررة، وكذلك العناية بظاهرة القياس اللغوى.
- الحديث النبوى الشريف[3]. وإن كان سيبوبه لم يصرح بأنها أحاديث مروية عن الرسول ﷺ ، وقد كانت قليلة جدا بالنسبة لباقى المصادر .

(١) د. خديجة الحديثى، دراسات فى كتاب سيبويه ، ص ١٤ .

(٢) انظر . على النجدى ناصف . سيبويه إمام النحاة ، عالم الكتب بالقاهرة ، ط الثانية ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م . ص ١٤٢ ، ١٤٣ . .

(٣) لم يذكر سيبويه سوى أربعة أحاديث . انظر د. مصطفى جطل، نظام الجملة، المؤسسة العلمية للوسائل التعليمية ، حلب ، ١٩٨٢م . جـ٢ ص ٤٧٣. وانظر د. محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية فى النحو العربى، مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م ص ٣٩-٤٠ .

التقعيد عند سيبويه :

اهتم سيبويه ببيان الصحيح وغير الصحيح من التراكيب اللغوية وسمى الصحيح أحيانا بالمستقيم، لبعده عن الانحراف اللغوي، وقد عنى فى صفحات كتابه بتوضيح المقصود من الاستقامة اللغوية وكذلك المحال منها .

والاستقامة عنده تعنى شيئين :

١ - الصحة التركيبية.

٢ - الصحة الدلالية المترتبة على الصحة التركيبية .

يقول سيبويه « هذا باب الاستقامة من الكلام والإحالة ، فمنه مستقيم حسن ، ومحال ، ومستقيم كذب ، ومستقيم قبيح وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك : أتيتك أمس ، وسأتيك غدا . وأما المحال فأن تنقض أول كلامك بآخره فتقول : أتيتك غداً وسآتيك أمس وأما المستقيم الكذب فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ونحوه ، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ فى غير موضعه ، نحو قولك : قد زيدا رأيت، وكى زيدا يأتيك . وأشباه هذا وأما المحال الكذب فأن تقول : سوف أشرب ماء البحر أمس »[1] .

فالمستقيم عند سيبويه ثلاثة اقسام هي:

- مستقيم حسن.
- مستقيم كذب .
- مستقيم قبيح .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٥ - ٢٦ .

فالأول وهو المستقيم الحسن يمثل أعلى درجات الاستقامة، لاشتماله على الصحة التركيبية وكذلك الدلالية.

والصحة التركيبية تعنى عند سيبويه الآتى :

- حسن اختيار الأصوات التى تتألف منها المفردات.
- اختيار المفردات التى تتفق مع الوزن العربى.
- حسن تأليف الكلام بوضع المفردات فى موضعها الصحيح.
- مراعاة الوظائف النحوية التى تشغلها المفردات.
- إقامة العلاقات المناسبة بين المفردات .

ومثّل لذلك بجملة .

أتيتك أمس. وسآتيك غداً .

فعل + فاعل + مفعول + ظرف

أما النوع الثانى وهو المستقيم الكذب ، فكذبه يرجع إلى مخالفة الصحة الدلالية من جهة الحقيقة .

ومثّل له بقوله . حملت الجبل

وشربت ماء البحر .

فالاستقامة أى الصحة التركيبية بكل شروطها متمثلة فى المثالين السابقين، إلا أن الكذب يرجع إلى عدَم استطاعة المتكلم فعل الحدث على وجه الحقيقة، فلا يستطيع حمل الجبل ولا شرب ماء البحر. أما إذا حمل المعنى على المجاز، فالكلام مقبول حينئذ.

والنوع الثالث وهو المستقيم القبيح، وقبحه يرجع إلى وضع الشئ فى غير موضعه أى مخالفة الأصل المحدد من قبل النحويين، وقد مثل له سيبويه بقوله :

- قد زيدا رأيت .
- كى زيدا يأتيك .

والتركيبان السابقان خالفا قاعدة الاختصاص ، وكذلك قاعدة الترتيب بين العناصر اللغوية المكونة لهما .

فالأداتان : قد ، وكى . تختصان بالدخول على العنصر الفعلى فى الجملة ، فلا يمكن أن يقال :

- قد علىٌ .

أو - كى خالد .

فهذا مخالف للتركيب اللغوى ، فكسر قاعدتى الترتيب والاختصاص، أدّيا إلى قبح التركيب .

فالقبح هنا لاعلاقة له بالمعنى المراد من التركيب، إنما يرتبط أساساً بعدم مراعاة المتكلم لحسن ترتيب العناصر المكونة للكلام. فهناك شروط محددة لصحة التركيب لابد من مراعتها حتى يوصف بالاستقامة الحسنة، فلو قال المتكلم : زيدا قد رأيت . لاستقام الكلام ووصف بالحسن.

أما وضع عنصر واحد أو أكثر فى غير موضعه فيؤدى إلى نقل التركيب إلى مستوى آخر هو المستقيم القبيح .

أما المحال فقد قسمه سيبويه قسمين هما :

- محال .
- محال كذب .

وعرف المحال من الكلام بأنه ما انتقض أول الكلام بآخره، ومثل له بقوله :

- أتيتك غداً .
- سآتيك أمس .

فقد انتقض الزمن بين أول الكلام وآخره فى المثالين السابقين ولم يراع الزمن بين الفعل والظرف، لأنّ الظرف يتعلق بالفعل ولابد من المطابقة الزمنية بينهما.

ففى المثال الأول يدل الفعل على وقوع الحدث فى الزمن الماضى ثم جاء الظرف معبرا عن زمن الاستقبال ، فحدث تناقض زمنى بين الظرف ومتعلقه ، فأدى ذلك التناقض إلى استحالة قبول التركيب.

والاستحاله هنا ترتبط بعدم مراعاة حسن اختيار المفردات الدالة على الزمن واتفاقه بين عناصر التركيب.

فلو قال قائل :

أتيتك أمس .

وسآتيك غداً .

لأصبح التركيب - بعد مراعاة الزمن بين عناصره - مستقيما حسناً.

والمحال الكذب هو ما تحقق فيه شيئان :

أ - عدم مراعاة اتفاق الزمن بين عناصر التركيب .

ب - عدم تحقق الفعل (الحدث) على وجه الحقيقة .

ومثل سيبويه لذلك بقوله :

- سوف أشرب ماء البحر أمس .

فالفعل المضارع «أشرب» قد سبق بالأداة « سوف » فدل على الاستقبال ، ثم جاء الظرف « أمس » الذى يدل على المضى ، وهو يتعلق بالفعل « أشرب » أى يرتبط به معنويا، فأدى هذا التناقض الزمنى إلى جعل التركيب من النوع المحال .

ثم أضيف إلى كسر قاعدة الاتفاق الزمنى بين الفعل والظروف عدم استطاعة المتكلم تحقيق الحدث ، وهو شرب ماء البحر على وجه الحقيقة، فأصبح التركيب لذلك من النوع المحال الكذب .

فقد فرق سيبويه فى الأمثلة السابقة بين نوعين من الكلام .

أ - المستقيم ، وهو الصحيح نحويا ودلاليا .

ب - المحال ، وهو مالايمكن تحققه فى الواقع، لفقده بعض شروط الصحة اللغوية .

وهذه التقسيمات اللغوية للمستقيم والمحال من الكلام ، والتى ذكرها سيبويه فى أول صفحات كتابه « لم يعد إليها فيما بعد فى الكتاب ، لأن هذه المتتابعات الصوتية التى تؤلف جملا غير صحيحة دلاليا مثل :

- أتيتك غدا .
- وسآتيك أمس.
- وحملت الجبل . . .

ليس لها معنى مفيد، وينبغى أن يتوجه الجهد والاهتمام والعناية إلى ماله معنى من الكلام »[1].

وقد عاد سيبويه إلى هذه الأحكام منفردة فتحدث عن المستقيم، والمحال. فنراه ينظر إلى المعنى المراد من الكلام، ويحكم على الكلام بالاستقامة من خلال هذا المعنى المراد، ففى قولك :

والله إن أتيتنى آتيك

يكون آتيك على معنى النفى أى : لا آتيك، أما إن كان على إرادة الإتيان فلا يجوز ، يقول سيبويه : «فإن أردت أن الإتيان يكون ، فهو غير جائز ، وإن نفيت الإتيان، وأردت معنى لا آتيك فهو مستقيم »[2].

فالاستقامة هنا ترجع إلى أن معنى النفى مفهوم من السياق، لأن الإثبات يقتضى توكيد الفعل باللام والنون، لأنه واقع فى جواب قسم ، فلما لم يأت الفعل مؤكدا علم أنه منفى، وإسقاط حرف النفى « لا » فى جواب القسم جائز فى الكلام.

كما تحدث سيبويه أيضاً عن الكلام المحال ، وربط حكم محال[3] ببعض الظواهر اللغوية ومنها :

أ - الاختصاص.

ب - تناقض الدلالة الزمنية .

---

(١) د. محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة، مطبعة المدينة دار السلام القاهرة ط الأولى ١٩٨٣، ص ٨٣ - ٨٤ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ٣/ ٨٤ .

(١) انظر سيبويه، الكتاب ٢/ ٨١، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٧، ٣٣١، ٣٦٢، ٣٩٥.

٣/ ٢٦، ٧٢، ٨٤، ٨٨، ٩٧، ١٠٣، ١٤٤، ١٦٩ .

أ - الاختصاص :

تختص اللام وحتى بالدخول على الأسماء وجرها ، عند سيبويه، فإذا وقع الفعل بعدهما منصوبا ، كان النصب بـ « أن » مضمرة ، لعدم اختصاصهما بالدخول على الأفعال فى مثل :

- جئتك لتفعل .
- جئتك حتى تفعل .

ينتصب الفعل بعد اللام وحتى بـ «أن» مضمرة ، وإلا كان الكلام محالا . يقول سيبويه : «فإنما انتصب هذا بـ «أن» وأن ههنا مضمرة، ولو لم تضمرها لكان الكلام محالا ، لأن اللام وحتى يعملان فى الأسماء فيجران » [1].

فوصف التركيب السابق بالمحال دون مراعاة للواقع اللغوى المنطوق، والاهتمام بتقدير أداة أخرى ناصبة ، سببه التمسك بظاهرة الاختصاص.

ب - تناقض الدلالة الزمنية :

يجب اتفاق عناصر التركيب فى الدلالة الزمنية التى تشير إليها فإن جاء عنصر يخالف العناصر الأخرى زمنيا ، أدى هذا التناقض إلى دخول التركيب فى دائرة المحال

مثل : والله ما أعدو أن جالستك غدا .

والله ما أعدو أن أجالسك أمس .

فالتناقض فى الزمن بين الفعل والظرف فى المثالين السابقين جعل سيبويه يصفهما بالمحال [2].

---

(١) المرجع السابق ، ٣/٦ .

(٢) انظر سيبويه ، الكتاب ، ٣/٥٥ .

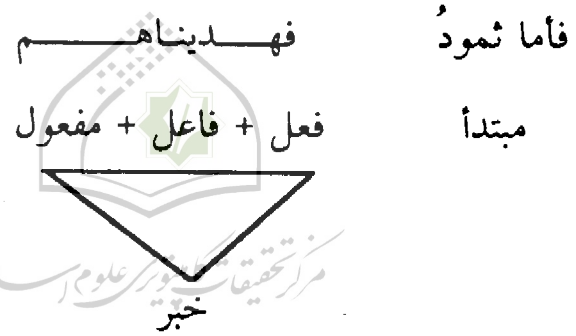
الأحكام النحوية عند سيبويه :

من الأحكام النحوية التى وضعها سيبويه مصطلح « جيد » وأحيانا يستعمل صيغة التفضيل فيقول « أجود » . ونرى سيبويه يفاضل بين حالتين من الإعراب فيصف إحداهما بأنها أجود من الأخرى .

ففى قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾[1]، برفع كلمة « ثمود » ، وقراءة بعضهم ﴿وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ بالنصب.

يعلق سيبويه قائلاً « والنصب عربى كثير والرفع أجود »[2].

وكأن سيبويه هنا يفضل عدم التقدير، لأن فى حالة رفع كلمة ثمود لانحتاج إلى تقدير عامل الرفع، لأن الكلمة تشغل وظيفة « المبتدأ » فلا نحتاج إلى عامل لفظى ، وذلك على النحو التالى :



وجودة هذه الحالة الإعرابية عند سيبويه ترجع إلى تعدى الفعل إلى ضمير الاسم المتقدم، فقد أخذ الفعل مفعوله ، فصح أن يبنى على الاسم ويشغل وظيفة الخبر.

أما فى حالة النصب فلابد من البحث عن عامل النصب وبالتالى اللجوء إلى التقدير ، والتقدير يبعد التركيب اللغوى عن روح اللغة؛ لأنه فيه تكلف

---

(١) سورة فصلت من الآية ١٧ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ، ١/ ٨٢.

فى البحث عن العـامل ، وهو تقدير عامل من لفظ الفعـل الموجود فى الجملة ويكون المعنى المراد :

فأما ثمود فهدينا فهديناهم

وواضح مدى التكلف فى مثل هذا التقدير ، أما فى حالة الرفع فلا نحتاج معها إلى التقدير .

وفى قولهم : أتميميا مرة وقيسيا أخرى .

ينصب الاسم على فعل تقديره : أتحول .

والنصب هنا الوجه ، لأن الاسم هنا معـاقب للفظ بالفعل ولو رفع الاسم فقال قائل :

أتميمى يريد : أنت

لكان الرفع هنا جيدا .

فالوجه والقياس هو نصب الاسم، لأنه على اللفظ بالفعل، ولورفع لكان خبرا لمبتدأ مضمر تقديره « أنت » وهو جيد[1].

فالاختيار هنا بين حالتين من الإعـراب ، وهما يحتاجان إلى التقدير إلا أن حالة النصب هى الوجه ، لوقوع كثير من المصادر منصوبة، وكذلك الأسماء .

وقد ربط سـيبويه مصطـلح « جيد » أو بمعنـى آخر حكم « جيد » بـالحالة الإعرابية ، ففى قوله تعالى :

﴿لَكِنِ الـرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنـزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾[2] .

---

(١) انظر سيبويه، الكتاب ، ١/ ٣٤٧.

(٢) سورة النساء من الآية ١٦٢

يقول سيبويه « فلو كان كله رفعا كان جيدا، فأما المؤتون فمحمول على الابتداء »[1].

وفى قوله تعالى ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ..... وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾[2].

يقول سيبويه[3]: ولو رفع الصابرين على أول الكلام كان جيدا، ولو ابتدأته فرفعته على الابتداء كان جيدا ، كما ابتدأت فى قوله «والمؤتون الزكاة» .

وفى قولك : فيها رجل وقد أتانى آخر كريمين .

يقول سيبويه : «ولو ابتدأ فرفع كان جيد ا »[4].

والحالات الإعرابية التى يحكم عليها سيبويه بالجودة هنا حالات غير موجودة فى البنية السطحية الظاهرة ، ولكن سيبويه يرى أنها لو نطق بها لكانت جيدة أى : مقبولة من جهة الصحة النحوية . وكان سيبويه يقوى أحيانا حكم الجودة ، لأنه عربى فكان يقول : وهو عربى جيد .

وقد ربط ذلك باتفاق الحالة الإعرابية مع توجيه المعنى يقول : «وتقول» أ أنت عبد الله ضربته. تجريه هاهنا مجرى : أنازيد ضربته .

لأن الذى يلى حرف الاستفهام أنت، ثم ابتدأت هذا وليس قبله حرف استفهام ولا شئ هو بالفعل وتقديمه أولى . إلا أنك لو شئت نصبته كما تنصب زيدا ضربته. فهو عربى جيد ، وأمره ها هنا على قولك : زيد ضربته»[5].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٦٣.

(٢) سورة البقرة من الآية ١٧٧ .

(٣) سيبويه، الكتاب ٢/ ٦٤ .

(٤) سيبويه ، الكتاب ٢/ ١٥١ .

(٥) المرجع السابق ١/ ١٠٤.

فالوجه هنا هو الرفع لعدم الحاجة إلى النصب، إلا أن النصب يجوز على الاشتغال أى على تقدير فعل يفسره المذكور فى الجملة، ويرى سيبويه أن هذا الوجه أى النصب على إضمار فعل ، هو عربى جيد .

والاسم المشغول عنه إن سبق بجملة فعلية فالأرجح والأحسن أن ينصب حتى يكون العطف فيه نوع من الاتساق ، وهو عطف جملة فعلية على جملة فعلية ، مما يؤدى إلى تشاكل الجملتين وهو أحسن من تخالفهما، وذلك مثل :

- رأيت زيدا وعمرا كلمته.
- ورأيت عبد الله وزيدا مررت به.

«وإنما اختير النصب هاهنا، لأن الاسم الأول مبنى على الفعل ، فكان بناء الفعل أحسن عندهم، إذ كان يبنى على الفعل، وليس قبله اسم مبنى على الفعل . . . وقد يبتدأ فيحمل على مثل ما يحمل عليه، وليس قبله منصوب وهو عربى جيد »[(1)].

وقد ربط سيبويه بين الحكم بالجودة وظاهرة ترتيب عناصر الجملة، فالأصل فى ترتيب عناصر الجملة الفعلية ذات الفعل المتعدى أن تأتى على النحو التالى :

فعل + فاعل + مفعول به

مثل : ضرب زيد عمرا .

وقد يتطلب المعنى تقديم المفعول به على الفاعل فيصير النمط هو :

فعل + مفعول به + فاعل .

أو يقدم المفعول به على الفعل والفاعل فيصبح النمط هو :

مفعول به + فعل + فاعل.

---

(1) سيبويه ، الكتاب جـ١ ص ٨٨ ، ٩٠ .

يقول سيبويه : « كما كان الحد ضرب زيد عمرا . . . وإن قدمت الاسم فهو عربي جيد، كما كان ذلك عربيا جيدا وذلك قولك : زيدا ضربت والاهتمام والعناية هنا فى التقديم والتأخير سواء مثله فى ضرب زيد عمرا وضرب عمرا زيد »[1].

وقد وصف سيبويه تقديم المفعول به على الفاعل لغرض معنوى وهو اهتمام وعناية العرب بالعنصر المتقدم.

ففى قولك : ضرب زيدا عبد الله

يقول سيبويه : « لأنك إنما أردت به مؤخرا ما أردت به مقدما، ولم ترد أن تشغل الفعل بأول منه ، وإن كان مؤخرا فى اللفظ .

فمن ثم كان حد اللفظ أن يكون فيه مقدما، وهو عربى جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذى بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى »[2].

واستشهد سيبويه على كثرة ورود الاسم المنصوب قبل المرفوع بما جاء فى القرآن الكريم وذلك كقوله تعالى :

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾[3].

فقال : « وهو عربى جيد كثير »[4].

وقد استعمل سيبويه حكم الجودة عند حديثه عن ظاهرة العامل ، ففى باب ظن وأخواتها، يكون الفعل قويا من جهة التأثير الإعرابى إذا تقدم على عناصر الجملة ، وكلما تأخر الفعل ضعف عمله ، فإذا توسط الفعل بين مفعولين جاز الإلغاء والإعمال ، وإذا تأخر عنهما كان الإلغاء أقوى .

---

(١) المرجع السابق ١/ ٨٠ - ٨١ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٤.

(٣) سورة الإخلاص / الآية ٤ .

(٤) انظر سيبويه ، الكتاب ١/ ٥٦ .

يقول سيبويه : فإن ألغيت قلت :

عبد الله أظن ذاهب .

. . . وكلما أردت الإلغاء فالتأخير أقوي. وكل عربى جيد »[1].

وقد وصف سيبويه حكم الجودة بالحسن فى بعض المواضع ففى قولك :

- سير عليه سيرا .
- وانطلق به انطلاقا .

يرى سيبويه أن الاسم المنصوب فى المثالين السابقين يجوز فيه وجهان من الإعراب هما :

١ - الحالية .

٢- المفعولية المطلقة .

وكأنك قلت فى الوجه الثانى ، يسيرون سيرا، وينطلقون انطلاقا ، فالمصدر صار هنا « بدلا من اللفظ بالفعل . . . وهو عربى جيد حسن»[2].

ومن الأحكام النحوية التى استعملها سيبويه مصطلح « حسن » .

وقد ذكره عند حديثه عن ظاهرة العامل، ففى باب الاشتغال الذى يعالج ظاهرة العامل والمعمول ، يرى سيبويه أن الفعل المتعدى إذا انشغل بضمير الاسم المتقدم عليه ، جاز أن يبنى على ذلك الاسم، أى أن يشغل وظيفة الخبر، فالذى حسن وقوع الفعل خبرا هو اتصاله بضمير الاسم المتقدم، يقول سيبويه « فإذا بنيت الفعل على الاسم قلت :

زيد ضربته

(١) سيبويه ، الكتاب ، ١/ ١١٩.

(٢) المرجع السابق ، ١/ ٢٣١ .

فلزمته الهاء . وإنما تريد بقولك مبنـى عليه الفعل أنه فى موضع منطلق إذا قلت : عبد الله منطلق . . . وإنما حسـن أن يبنى الفعل على الاسم حيث كان معملا فى المضمر وشغلته به، ولولا ذلك لم يحسن، لأنك لم تشغله بشئ» (١).

فعدم الحسن يرجع إلى عدم اتصال الفعل بضمير الاسم المتقدم مثل:

زيد ضربت

وهنا لايـجوز رفع الاسم المـتقدم، لأن الفـعل يطلـبه ، وكذلك لأنـه لم ينشغل بضميره ، لذلك يجب أن يقال :

زيدا ضربت

بالنـصب ، ولايجوز الـرفع، وبمصطلـح سيبويـه لايحسن الـرفع. ويرى سيبويه أن العامل إذا تقدم حسن عمله ، وأنه إذا تأخر حسن إلغاؤه .

ففى مثل :

- ما كان فيها أحد خير منك . [فيها هنا تكون مستقرا أى خبرا].
- ماكان أحد خيرا منك فيها. [فيها هنا ملغاة، والخبر هو «خيرا»]

فالحُسن إنما يكون فى تقديم مايراد عمله، ويكون فى تأخير مايراد إلغاؤه .

يقول سيبويه : « وتقول : ماكان فيها أحد خيرا منك . . .

إذا جعلت فيها مستقرا . . . وماكان أحد خيرا منك فيها إلا أنك إذا أردت الإلغاء ، فكـلما أخرت الذى تلغـيه كان أحسن ، وإذا أردت أن يكون مـستقرا تكتفى به فكلما قدمته كان أحسن » (٢).

(١) سيبويه، الكتاب ، ١/ ٨١.

(٢) المرجع السابق ١/٥٥ - ٥٦ .

فسيبويه يسمى الظرف الواقع خبرا مستقرا، لأنه يقدر باستقر، وإن لم يكن خبرا سماه لغوا.

وقد ربط سيبويه بين حكم « حسن » وبين الإعراب فاستعمل صيغة التفضيل « أحسن » ليفاضل بها بين حالتين من الإعراب ففى قولك :

- رأيتك قلت ذاك أنت وزيد.

يجوز رفع الاسم بالعطف على الضمير المرفوع « أنت » وفى قولك:

- رأيتك قلت ذاك وزيدا .

«فالنصب أحسن ، لأن المنصوب يعطف على المنصوب المضمر، ولايعطف على المرفوع المضمر » [١].

فالمشاكلة بين المعطوف والمعطوف عليه هى التى حسنت الحالة الإعرابية الثانية وهى النصب، لاتفاق المعطوف والمعطوف عليه فى الحالة الإعرابية .

ويفضل سيبويه حالة النصب على الرفع فى قول العرب :

من أنت زيدا

- ومن أنت زيد. ويرى أن النصب على إعمال الفعل، لأن الاسم هنا مفعول به لفعل محذوف، أما الرفع فعلى أن يكون الاسم خبرا لمصدر محذوف ليس له ، وهو قليل .

يقول سيبويه : «وإنما قل » الرفع لأن إعمالهم الفعل أحسن من أن يكون خبرا لمصدر ليس له » [٢].

ويفاضل سيبويه بين حالة الرفع وحالة النصب فى قولهم :

---

(١) سيبويه، الكتاب ، ١/٢٧٨.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٩٢.

الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخير .

وقول بعضهم : الناس مجزيون بأعمالهم إن خيرًا فخيراً .

يقول : « والرفع أكثر وأحسن . . . ، لأنك إذا أدخلت الفاء فى جواب الشرط استأنفت ما بعدها، وحسن أن تقع بعدها الأسماء »[١].

فسيبويه يرى أن الفاء من معانيها الاستئناف فإذا ربطت الفاء بين الشرط والجواب حسن أن ترفع بعدها الأسماء .

● وفى قولك : زيد مررت به .

وزيدا مررت به .

اختار سيبويه حالة الرفع ، لأنها أقرب إلى المعنى المراد، ولأنها تتفق مع السليقة اللغوية .

يقول سيبويه : « والرفع فى هذا أحسن وأجود لأن أقرب إلى ذلك أن تقول : مررت بزيد »[٢].

فالضمير فى المثال السابق لم يتصل بالفعل، ووصل الفعل إليه عن طريق « الباء » ، لأن الفعل هنا لازم لايتعدى إلى الضمير بنفسه بل لابد من واسطة حرف الجر « الباء » .

فحالة الرفع هنا عند سيبويه ، هى الأحسن والأجود لعدم احتياجها إلى تقدير عامل ، عكس حالة النصب التى تحتاج إلى تقدير عامل خارج عن السياق .

كما استعمل صيغة التفضيل « أحسن » عند حديثه عن ظاهرة العامل،

---

(١) سيبويه الكتاب ٢٥٨/١ .

(٢) المرجع السابق ٨٣/١، ٨٤ .

وإلغاء هذا العامل. فيرى أن الفعل فى باب « ظن » يمكن إلغاؤه إذا توسط بين المفعولين مثل : عبد الله أظن منطلق.

يقول : « فهذا أجمل من قولك أظنه ، وأظن بغيرهاء : أحسن لئلا يلتبس بالاسم ، وليكن أبين فى أنه ليس يعمل »[1] .

فسيبويه يرى عدم اتصال الفعل بضمير خوفا من الوقوع فى اللبس، لأن وجود الضمير فى الفعل يؤدى إلى عمل الفعل، والمراد هنا الإلغاء عن طريق توسط العامل، وخلو الفعل من الضمير يؤكد هذا الإلغاء .

وقد ربط سيبويه حكم « حسن » بتمام التركيب لإفادة المعنى المراد.

ففى قولك : كان رجل ذاهبا لم تفد السامع شيئا كان جهله ولو قلت : كان رجل من آل فلان فارسا.

حسن ، لأنك أعلمت السامع أنه من آل فلان وقد جهله ولو قلت : كان رجل من قوم عاقلا .

« لم يحسن، لأنه لايستنكر أن يكون فى الدنيا عاقل وأن يكون فى قوم» [2].

فالحسن فى التركيب اللغوى أساسه عند سيبويه إفادة معنى يحتاج إليه السامع، وعدم إتمام المعنى يؤدى إلى خروج التركيب من دائرة الحسن كما يرتبط الحسن أيضاً بتمام التركيب فى قولك :

كان سيرى أمس حتى أدخلها.

إذا جعلت أمس « مستقرا » أى خبرا لـ كان .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٢٥.

(٢) المرجع السابق ١/ ٥٤.

فهنا يجوز رفع الفعل بعد « حتى » ، لتمام البنية الأساسية للجملة.

يقول سيبويه : « لأنه استغنى فصار كسرت . . . ولايحسن :

كان سيرى فأدخل إلا أن تجئ بخبر لـ كان » (1).

فحذف عنصر أساسى من الجملة يخرجها من دائرة الحسن ، لعدم إفادة المعني، والا ستئناف بالرفع لايتأتى إلا بعد تمام عنصرى البنية الأساسية للتركيب.

وقد ارتبط الحسن أيضاً عند سيبويه بتمام التركيب الإضافى ، لأن التنوين وعدم إضافة بعض الأسماء فى بعض التراكيب يخرجها من دائرة الحسن ، وينعتها بعدم الجواز.

فالكلمات : خير ، وأفضل ، وأب ، وأى ، تنوينها وعدم إضافتها يخل بالمعنى المراد وبالتالى يخرج التركيب من دائرة الجواز والحسن.

يقول سيبويه : «لو قلت »

هذا رجل خير

وهذا رجل أفضل

وهذا رجل أب

لم يستقم ولم يكن حسنا وكذلك أى لاتقول :

هذا رجل أى

فلما أضفتهن وأوصلت إليهن شيئاً حَسُنَّ وتمكنَ به ، فصارت الإضافة وهذه اللواحق تحسِّنه » (2).

(1) سيبويه ، الكتاب ٣/ ٢٤.

(2) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٢٥ .

كما ربط سيبويه الحُسن بعطف النسق، فعطف الاسم الظاهر على (*)الضمير المرفوع يؤدى إلى خروج التركيب من دائرة الحسن، ووصفه بالقبح، لذلك يجب الفصل بينهما .

يقول سيبويه : « وأمّا ما يقبح أن يشركه المظهر فهو الضمير فى الفعل المرفوع، وذلك قولك : فعلتَ وعبدُ الله وأفعل وعبدُ الله

فإن نَعَتَّه حسن أن يشركه المظهر وذلك قولك : ذهبت أنت وزيد قال الله عز وجل (اذهب أنت وربك) وذلك أنك لما وصفته حسن الكلام حيث طوله وأكده. وقال عز وجل : (ولو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) حسن لمكان لا» (٢).

فإطالة الكلام عن طريق التأكيد بضمير فصل مناسب أو بأى فاصل يؤدى إلى جواز التركيب والخروج من دائرة القبح .

ضعيف:

ومن الأحكام التى استعملها سيبويه عند تقعيده ، حكم « ضعيف» ، فقد وصف بعض التراكيب بالضعف ، ودار الضعف ، فى نقاط ثلاث هى :

أ - حذف الضمير العائد على الاسم ، وهو يرتبط فى نفس الوقت بظاهرة التعدى.

يقول سيبويه : «ولايحسن فى الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم ولايذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال فى الأول ومن حال

(١) المرجع السابق ٢/ ٣٧٨ - ٣٧٩.

(*) كما ربط سيبويه الحسن بعطف النسق ، فعطف الأسم الظاهر على الضمير المرفوع يؤدى إلى خروج التركيب من دائرة الحسن ، ووصفه بالقبح ، لذلك يجب الفصل بينهما.

يقول سيبويه : « وأما ما يقبح أن يشركه المظهر فهو الضمير فى الفعل المرفوع ، وذلك قولك : فعلت وعبد الله وأفعل وعبد الله ، فإن نعتّه حسن أن يشركه . . .

بناء الاسم عليه، ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه، ولكنه قد يجوز فى الشعر وهو ضعيف فى الكلام قال الشاعر :

قد أصبحت أم الخيار تدعى على ذنبا كله لم أصنع

فهذا ضعيف »[1].

فالضعف هنا عند سيبويه يرجع إلى احتياج الفعل العامل « أصنع » إلى معمول ينشغل به عن الاسم المتقدم المرفوع « كله » ، فلا يحتاج إليه، أما خلو الفعل من الضمير العائد فيجعل الفعل فى حاجة إلى الاسم الأول، ليعمل فيه النصب وخصوصا أن نصب كلمة « كله » لايؤدى إلى كسر البيت بل يحافظ على وزنه.

ويقول سيبويه : « فإن قلت : زيدكم مرة رأيت

فهو ضعيف ، إلا أن تدخل الهاء ، كما ضعف فى قوله : كله لم أصنع »[2].

فالضعف هنا سببه خلو العامل من معموله المنصوب لأن الفعل هنا متعد، ولم يأخذ معموله، واتصال الضمير بالفعل يخرج التركيب من دائرة الضعف إلى دائرة الحسن، كما يمكن أيضا أن يعد حسنا إذا نصب الاسم الأول، وأصبح معمولا للفعل المتأخر تقول :

زيدا كم مرة رأيت .

فلا حاجة هنا للضمير، لأن الاسم المتقدم المنصوب صار معمولا للفعل المتأخر .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٨٥/١

(٢) المرجع السابق ١٢٧/١

وقد وصف سيبويه حذف الضمير العائد على الاسم بالقبح فى بعض المواضع يقول :

« فإن قلت : إن أفضلهم لقيت .

فنصبت أفضلهم بإن ، فهو قبيح حتى تقول لقيته »[1].

فالفعل « لقى » فعل متعد يحتاج إلى معموله، ليتم بناء التركيب نحويا، وكذلك يتم المعنى المراد منه .

ويرى الخليل بن أحمد أن أفضلهم منصوب بـ لقيت والمعنى عنده :

إنه أفضلهم لقيت

وبذلك يكون اسم إن ضميرا محذوفا، والجملة الفعلية فى محل رفع خبر إن. ويرى سيبويه أن ماذهب إليه الخليل غير حسن فى الكلام ولا يجوز إلا فى الشعر[2].

فسيبويه يرى أن سبب خروج التركيب من دائرة الحسن، هو تقدير ضمير محذوف ليس له مرجع يعود إليه، ويرى أن ذلك يمكن حدوثه فى المستوى الشعرى للكلام.

ب - الحالة الإعرابية :

ارتبط الضعف عند سيبويه بالحالة الإعرابية ، ففى قولك :

مازيد ذاهبا ولا محسن زيد

ضعيف أن تعطف بالنصب على خبر « ما » مع تكرار الاسم الأول الذى يشغل وظيفة اسم « ما » .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ، ٣٥٧/٢.

(٢) انظر المرجع السابق والصفحة نفسها.

فضعيف أن تقول فى المثال السابق :

مازيد ذاهبا ولا محسنا زيد فإن أضمرت الاسم الأول ، فقلت :

مازيد ذاهبا ولا محسنا هو

خرج عن الضعف ، لأنـك استغنيت عن الاسم بضميره. فإن كرر الاسم ولم يذكر ضميره كان الأجود والأحسن الرفع على الاستئناف ، وترك العطف بالنصب على الخبر.

تقول : مازيد ذاهبا ولا محسن زيد تشبيها للاسم بالأجنبى .

يقول سيبويه : « وتقول مازيد ذاهبا ولا محسن زيد ، الرفع أجود وإن كنت تريد الأول، لأنك لو قلت مازيد منطلقا زيد لم يكن حد الكلام، وكان ههنا ضعيفا، ولم يكن كقولك : مازيد منطلقا هو لأنك قد استغنيت عن إظهاره وإنما ينبغى لك أن تضمره . ألا ترى أنك لو قلت : مازيد منطلقا أبو زيد ، لم يكن كقولك : مازيد منطلقاً أبوه، لأنك قد استغنيت عن الإظهار، فلما كان هذا كذلك أجرى مجرى الأجنبى واستؤنف على حاله حيث كان هذا ضعيفاً فيه » [1].

فسبب الضعف عند سيبويه فى المثال السابق يرجع إلى العطف بالنصب دون ذكر الضمير. ويخرج الكلام من دائرة الجودة عن طريقين:

الأول : رفع الاسم بعد الواو على الاستئناف إذا كرر الاسم الأول بعد المعطوف.

الثانى : العطف بالنصب على الخبر إذا ذكر ضمير الاسم المتقدم.

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٦٢ .

جـ - ظاهرة العامل :

إن عدم تحديد معمول العامل ، يؤدى إلى وصف التركيب بالضعف عند سيبويه فى المستوى النثرى للكلام. مثل قولك :

خالد ضربت

يقول سيبويه : « ولا يحسن فى الكلام أن يجعل الفعل مبنيا على الاسم ولايذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال فى الأول، ومن حال بناء الاسم عليه ويشغله بغير الأول حتى يمتنع من أن يكون يعمل فيه، ولكنه قد يجوز فى الشعر وهو ضعيف فى الكلام»[1].

فالضعف هنا يرتبط بثلاث ظواهر هى :

١ - ظاهرة المستوى البنائى للتركيب

اسم مرفوع + فعل متعد + فاعل + ...

٢ - ظاهرة التعدى واللزوم.

٣ - ظاهرة العامل والمعمول.

فالفعل « ضرب » فى المثال السابق فعل متعد يحتاج إلى معمول (منصوب) يشغله عن الاسم المتقدم.

فسبب الضعف هنا يرجع إلى عدم وجود معمول منصوب للعامل «ضرب» ، ووجود هذا المعمول المنصوب سواء أكان ضميرا متصلا بالفعل يعود على الاسم المتقدم، أم كان الاسم المتقدم يخرج التركيب من دائرة الضعف إلى دائرة الحسن، وذلك بأن نقول :

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٨٥.

زيد ضربته

مبتدأ فعل + فاعل + مفعول = خبر

أو : زيدا ضربت

مفعول + فعل + فاعل

فالضعف هنا عند سيبويه معناه عدم الحسن، فهناك تركيب حسن هو حد الكلام، وهناك تركيب ضعيف يبعد عن طريق المستوى الحسن نحويا ودلاليا.

ويرتبط بالضعف أيضا عدم إعمال العامل مع تقدمه فالأصل عند سيبويه أن يعمل الفعل المتقدم على أجزاء الجملة، لأن الأصل فى العمل للأفعال، ثم مايحمل عليها مثل : المصدر و الوصف.

والموقع الإعرابى للعامل له أثر واضح فى العمل أو عدمه ، فالتقدم سبب فى ضرورة الإعمال ، والتأخير سبب فى الإلغاء.

فإذا عمل العامل وهو متأخر، أدى ذلك إلى وصف التركيب اللغوى بالضعف، وكذلك إذا ألغى عمله مع تقدمه.

فضعيف أن تقول :

زيدا أخاك أظن .

وزيدا قائما ضربت.

يقول سيبويه : « وكلما طال الكلام ضعف التأخير إذا أعملت وذلك قولك : زيدا أخاك أظن ، فهذا ضعيف كما يضعف زيدا قائما ضربت ، لأن الحد أن يكون الفعل مبتدأ إذا عمل » [1].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٢٠.

وضعيف أن تقول : أظن زيد ذاهب

فالضعف هنا سببه عدم إعمال الفعل العامل مع تقدمه؛ لأن الأصل أن يعمل إذا تقدم على أجزاء الجملة .

وهذا الضعف أيضا يحمل على ما يعمل عمل الفعل مثل : المصدر، وقد أطلق سيبويه عليه حكما آخر هو القبح فقال : « واعلم أن المصدر قد يلغى كما يلغى الفعل . وذلك قولك . . . زيد ظنى أخوك، وزيد ذاهب ظني. فإن ابتدأت فقلت :

ظنى زيد ذاهب كان قبيحا

كما ضعف أظن زيد ذاهب »[٢].

فقد أطلق سيبويه على عدم عمل العامل حالة تقدمه حكمين هما : الضعف والقبح ، ويعنى بهما الخروج عن أصل القاعدة، فالأصل أن يعمل الفعل أو ما يحمل عليه فى العمل فى حالة التقديم وأن يلغى عمله مع التأخير.

وقد أضاف سيبويه إلى الضعف وصفا آخر هو الخبث، ففى قولك :

إنّ أحدا لايقول ذاك.

يقول سيبويه: « وهو ضعيف خبيث ، لأن أحدا لايستعمل فى الواجب ، وإنما نفيت بعد أن أوجبت، ولكنه قد احتمل حيث كان معناه النفى »[٢].

فالضعف هنا ليس سببه الإعراب أو العامل بل يرجع إلى تركيب عناصر الكلام، فكلمة « أحد » لاتستعمل إلا منفية ، والخبث جاء من ذكر أول الكلام

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٢٤ .

(٢) سيبويه الكتاب . ٢/ ٣١٨

موجبا ثم نفيه بعد ذلك ، والذى سوغ قبول مثل هذا هو طريقة الاستعمال الشائع لكلمة « أحد » وهو النفى .

قبيح :

ومن الأحكام التى استعملها سيبويه فى التقعيد النحوى حكم القبح ، وهو يعنى بصفة عامة وضع الشئ فى غير موضعه .

وقد شمل حكم القبح بعض النقاط منها :

١ - بناء الكلام.

٢ - الإعراب .

٣ - العامل.

٤ - الفصل بين المتضايفين.

١ - بناء الكلام :

ويتضمن بعض النقاط منها :

أ - عدم الفصل بين المتعاطفين.

ب - وضع الشئ فى غير موضعه.

جـ - الاختصاص .

د - حذف الاسم وإقامة الصفة مقامه .

أ - عدم الفصل بين المتعاطفين :

يرى سيبويه أن عطف الاسم الظاهر على الضمير المرفوع المتصل لايصح إلا بعد الفصل بينهما بضمير يؤكد الضمير المرفوع ، يقول : «لوقلت : اذهب

نفسك كـان قبيحا حتى تـقول : أنت نفسُك . . . لوقلـت : اذهب وزيد كان قبيحا حتـى تقول : اذهب أنت وزيد » [1]. ويقول فى مـوضع آخر: [2] « لو قلت : اذهب وعبد الله .

كان فيه قبح ، فإذا قلت : اذهب أنت وعبدُ الله حسُن.

ومثل ذلك فى القرآن : (فاذهب أنت وربُّك فقاتلا) [3].

وقوله تعالى : ﴿ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ [4].

فسيبويه يستـشهد بالنص القرآنى على الوجه الحسن وهو الـفصل بالضمير بين المعطوف وهو الاسم الظاهر، والمعطوف علـيه وهو الضمير المرفوع المستتر، ويحـكم على بـعض الأمثلـة المقترحـة التى خلـت من الضمـير الفاصـل بين المتعاطفين بالقبح .

فالقبح هنا يـرتبط بمخالفة القاعدة النحوية وهـى ضرورة الفصل بين الاسم الظاهر المعطوف، والضمير المرفوع المستتر المعطوف عليه .

ب - وضع الشئ فى غير موضعه. ويشمل بعض النقاط منها:

١ - الخلاف فى الحالة الإعرابية :

حرص العرب على استعمال ألفاظ اللغة فى المواضع التى تساعد على إبراز المعنى المراد منها، وقد مثل سيبويه ببعض التراكيب الخاصة المسموعة عن العرب والتى يجب مراعاة ترتيب العناصر فيها، ومنها:

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٧٧ - ٢٧٨. وانظر ١/ ٢٩٨.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٤٧.

(٣) سور البقرة من الآية ٣٥.

(٤) سورة الأعراف من الآية ١٩ .

- ويل لك وعول لك .
- يسوءك وينوءك .
- سقياً ورعيا .

ولا يقال طعاما لك وشرابا لك ، تريد معنى سقيا.

يقول سيبويه فى هذه التراكيب : « ... فإنما تجريها كما أجرت العرب وتضعها فى المواضع التى وضعن فيها »[1].

وقد خالف بعض النحويين هذا الاستعمال، فوضعوا بعض الألفاظ فى غير مكانها الصحيح المستعمل من قبل أصحاب اللغة .

يقول سيبويه فى حديثه عن النكرة التى تجرى مجرى مافيه الألف واللام من المصادر والأسماء « هذا باب منه استكرهه النحويون ، وهو قبيح، فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب، وذلك قولك :

ويح له وتب ، وتبا لك وويحا

فجعلوا التب بمنزلة الويح ، وجعلوا ويح بمنزلة التب ، فوضعوا كل واحد منهما على غير الموضع الذى وضعته العرب »[2].

فالنحويون جعلوا التب مرفوعا يمكن الابتداء به، وكذلك جعلوا الويح منصوبا ، وهذا لم يرد فى استعمال العرب والوجه الحسن أن يقال كما ورد عن العرب.

- ويح له وتباله   - ويح له وتب له

أو تبالك وويح له

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١ / ٣٣٠ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٣٤ .

فالويح يجب أن يبتدأ به، ثم يبنى عليه الخبر شبه الجملة الجار والمجرور ، ويلحق بالويح كلمة التب، والأفضل فى التب النصب، ويمكن الاستغناء معها عن الجار والمجرور بعدها ، لـدلالة السياق على المستغنى عنـه، أما كلمة الويح فيشترط أن تبنى على الجار والمجرور .

فخطأ النـحويين من وجهة نظر سيـبويه أنهم وضعوا التـب موضع الويح، ووضعوا ويحـا موضع التب مع أن الويح يـجب الابتداء به، ولا يستـغنى أبدا معه عن الجار والمجرور ، أما التب فلا يبتـدأ به ويمكن الاستغناء بعده عن الجار والمجرور.

فسيبـويه فى النص السـابق يدافع عن الواقع الـلغوى المنطوق بـه من قبل العـرب، ويحكم عـلى الاستعـمال المفتـرض من قبل الـنحويين بـالقبح لـعدم مطابقته للواقع المستعمل.

يقول : « ينبغى لك أن تجرى هذه الحروف كما أجرت العرب وأن تعنى ماعَنَوْا بها » [1].

جـ - الاختصاص :

تختص بعض الكلمات بالدخول على الأسماء وبعضها الآخر بالدخول على الأفعال، وبعضها يعمل فيما يختص به وبعضها والآخر لايعمل ، أى لا أثر لها فى غيرها من الناحية الإعرابية .

ومن الكلمات المختصة العاملة: أن ، وكى ، وإذن. وهى حروف تختص بالدخول علـى الفعل، وتعمل فيه النـصب، فيتكون النمط فى الـتركيب من : أداة نصب + فعل مضارع .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٣٠ - ٣٣١.

فإذا جاء ما يخالف هذه القاعدة، أى ماينافى هذا الاختصاص كان ذلك قبيحا عند سيبويه ، لأن الكلمة وضعت فى غير موضعها المحدد طبقا للقواعد المفترضة من قبل النحاة .

وتتضمن ظاهرة الاختصاص ما يلى :

١ - حروف الاستقبال والتوكيد.

٢ - حروف نصب المضارع.

٣ - الاستفهام .

٤ - مخالفة الأصل (التنكير) .

٥ - عدم إفادة المعنى .

١ - حروف الاستقبال والتوكيد:

يقول سيبويه : « إن من الحروف حروفا لا يذكر بعدها إلا الفعل ولا يكون الذى يليها غيره مظهرا أو مضمرا . . . ولو قلت :

سوف زيدا أضرب .

أو قد زيدا لقيت

لم يحسن لأنها إنما وضعت للأفعال » [1].

فالذى أخرج الكلام السابق من دائرة الحسن هو وضع الاسم بعد ما يستحق الدخول على الفعل ، وهو سوف ، وقد ، لأنهما حرفان خصصا للدخول على الأفعال .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٩٨.

٢ - حروف نصب الفعل المضارع :

من الحروف الناصبة للفعل المضارع « إذن » ويشترط لعملها بعض الشروط منها : أن يليها الفعل الذى تعمل فيه ولايجوز الفصل بينهما إلا بالقسم [١]، فإذا فصل اسم بينها وبين الفعل بطل عملها.

يقول سيبويه : « وتقول : إذن عبد الله يقول ذاك، لايكون إلا هذا من قبل أن إذن الآن بمنزلة إنما وهل ، كأنك قلت : إنما عبد الله يقول ذاك. ولو جعلت إذن ههنا بمنزلة كى وأن لم يحسن من قبل أنه لايجوز لك أن تقول : كى زيد يقول ذاك ولا أن زيد يقول ذاك . فلما قبح ذلك جعلت بمنزلة هل وكأنما وأشباههما » [٢].

فسيبويه يرى أنه من القبيح أن تقول :

كى زيد يقول ذاك

وأن زيد يقول ذاك

لأن كى ، وأن لايليهما إلا الفعل، فهما من الحروف المختصة بالدخول على الأفعال ، فلا يعملان مع الفصل بينهما وبينه بالاسم ، والصحيح أن تقول : كى يقول زيد ذاك .

وإذا فصل بين إذن والفعل بالاسم ، بطل عملها وصارت مثل إنما وهل فى عدم التأثير الإعرابى ، لذلك نقول :

إذن عبد الله يقولُ « ذاك » برفع الفعل المضارع .

---

(١) أجاز بعض النحاة الفصل بشبه الجملة ، وبالنداء أو الدعاء ، أو بمعمول الفعل. انظر ابن هشام، أوضح المسالك ، ٤/١٦٨.

(٢) سيبويه ، الكتاب ٣/١٥ - ١٦ .

فالقبيح عند سيبويه هو عدم مراعاة قاعدة الاختصاص، ومن حروف الاختصاص أنْ الناصبة للفعل المضارع فهى تختص به، فمن القبيح أن يليها الاسم، وكذلك « كى » .

ففى قول العرب : أما أنت منطلقا انطلقت معك .

يرى سيبويه أن « أما » مركبة من أن + ما للتوكيد . وما هنا عوض عن الفعل المحذوف والتقدير : لأن كنت منطلقا انطلقت معك، ثم حذف الفعل وعوض عنه ما .

يقول سيبويه « فلما كان قبيحا عندهم أن يذكروا الاسم بعد أن ويبتدئوه بعدها كقبح كى عبد الله يقول ذاك حملوه على الفعل » [1].

٣ - الاستفهام :

يقول سيبويه فى اختصاص حروف الاستفهام « واعلم أن حروف الاستفهام كلها يقبح أن يصير بعدها الاسم إذا كان الفعل بعد الاسم، لو قلت هل زيد قام ، وأين زيد ضربته، لم يجز إلا فى الشعر ، فإذا جاء فى الشعر نصبته ، إلا الألف فإنه يجوز فيها الرفع والنصب، لأن الألف قد يبتدأ بعدها الاسم » [2].

ويقول : « فإن قلت : هل زيداً رأيت

وهل زيد ذهب

قبح ولم يجز إلا فى الشعر ، لأنه لما اجتمع الاسم والفعل حملوه على الأصل ، فإن اضطر شاعر فقدم الاسم نصب » [3].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٩٤ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٠١ .

(٣) المرجع السابق ١/ ٩٩ .

ويقول أيضاً فى أسماء الاستفهام : « وإن قلت أيهم زيداً ضرب ، قبح كما يقبح فى متى ونحوها ، وصار أن يليها الفعل هو الأصل ، لأنها من حروف الاستفهام » [1].

من النصوص الثلاثة السابقة فى الاستفهام لسيبويه نلاحظ أن حروف الاستفهام عدا الهمزة تختص بالدخول على الأفعال ، وذلك إذا اجتمع فى الكلام الاسم والفعل ، فإن وليها الاسم خرج الكلام من دائرة الحسن إلى دائرة القبح، لأن بعض أجزاء الكلام قد وضع فى غير موضعه المخصص له.

وقد حدد سيبويه المستوى الذى وصف بالقبح، وهو المستوى النثرى للكلام ، أما المستوى الشعرى منه، فيجوز للشاعر أن يدخل أحرف الاستفهام على الأسماء لضرورة النظم، بشرط أن تكون الأسماء منصوبة.

٤ - مخالفة الأصل (التنكير) :

يقول سيبويه : « وأما رب رجل وأخيه منطلقين ، ففيها قبح حتى تقول : وأخ له. و المنطلقان عندنا مجروران من قبل أن قوله وأخيه فى موضع نكرة ، لأن المعنى إنما هو وأخ له » [2].

فاتصاف التركيب السابق بالقبح يرجع إلى إضافة كلمة أخ إلى الضمير « الهاء » وهذه الإضافة وإن كانت إلى معرفة إلا أنها فى حكم النكرة، لأنه لايراد بها رجلا بعينه، وأصل الكلام الذى يخرج التركيب من مستوى القبح إلى مستوى الحسن هو « وأخ له » . فسقطت اللام الجارة للضمير ، فاتصل الاسم بالضمير .

---

(١) المرجع السابق ١/ ١٢٦ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٥٤.

فالقبح هنا فى عطف كلمة أخيه على مجرور رب، والكلام جائز مع قبحه، لأن كلمة أخ وإن كانت مضافة إلى معرفة إلا أنها فى حكم النكرة .

ولكن لايجوز أن تقول : رب أخيه

ولا رب رجل وزيد

لأن رب تختص بالدخول على النكرات .

٥ -عدم إفادة معنى :

الكلام الصحيح يتضمن شيئين هما :

أ - الصحة التركيبية.

ب - الصحة الدلالية.

والصحة الدلالية مترتبة على مراعاة صحة التركيب ، أى صحة وضع المفردات وحسن ترتيبها، وكذلك صحة الوظائف النحوية التى تدل عليه.

فإذا لم يراع فى بناء الكلام صحة وضع المفردات طبقاً لقاعدة الاختصاص، فقد الكلام بالتالى الصحة الدلالية لعدم إفادة المعنى المراد منه. وفى هذه الحالة لايسمى مثل هذا التركيب كلاما ، أو بمفهوم سيبويه « لم يكن كلاما » .

يقول سيبويه فى حديثه عن الأفعال المضارعة :

« ويبين لك أنها ليست بأسماء أنك لو وضعتها مواضع الأسماء لم يجز ذلك . ألا ترى أنك لو قلت :

إنّ يضرب يأتينا

وأشباه هذا لم يكن كلاَما ؟ ! إلا أنها ضارعت الفاعل لاجتماعهما فى المعنى » [١].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٤.

فسيبويه ينفى عن المثال السابق: إن يضرب يأتينا صفة الكلام، لأنه لم يراع فى ترتيب أجزاء التركيب قاعدة الاختصاص، فالفعل لايلى فى الكلام الصحيح إنّ ، لأن «إنّ» حرف يختص بالدخول على الأسماء، فوضع الفعل المضارع فى غير موضعه هنا وإن كان يشبه اسم الفاعل فى بعض الأوجه ، أفقد التركيب الصحة البنائية وبالتالى الصحة الدلالية، فلم يعد كلاما كما عبر سيبويه .

فالفعل لايصلح أن يقع مسندا إليه، بل يأتى دائماً مسندا فى البنية الأساسية للكلام ، فوضع الفعل هنا فى غير موضعه لم يجعل التركيب قبيحا فحسب ، بل ألغى عنه صفة الكلام .

ويلاحظ فى المثال السابق وهو « إن يضرب يأتينا » أنه من الأمثلة المفترضة عند سيبويه، فلم يذكره سيبويه على أنه من كلام العرب ، بل ذكره لغرض التمثيل والشرح .

د - حذف الاسم وإقامة الصفة مقامة :

إذا حذف الاسم وحلت الصفة محله أدى هذا التغير إلى وصف الكلام بالقبح ، لأن الصفة لاتحل محل الاسم ، يقول سيبويه فى باب ماينتصب على إضمار الفعل : « وذلك قولك :

أخذته بدرهم فصاعدا ، وأخذته بدرهم فزائدا. حذفوا الفعل لكثرة استعمالهم إياه ، ولأنهم أمنوا أن يكون على الباء ، لو قلت : أخذته بصاعد كان قبيحا ، لأنه صفة ، ولاتكون فى موضع الاسم، كأنه قال : أخذته بدرهم فزاد الثمن صاعدا أو فذهب صاعدا .

ولا يجوز أن تقول : وصاعد ؛ لأنك لاتريد أن تخبر أن الدرهم مع صاعد ثمن لشئ » [1].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٢٩٠.

فتحويل الكلام من : أخذته بدرهم فصاعدا

إلى : أخذته بصاعد .

وذلك بإحلال الصفة محل الاسم بعد حذفه ، ينقل الكلام من المستوى الجائز الحسن إلى المستوى القبيح ، لأن الصفة وهى كلمة «صاعدا» حلت محل الاسم وهو « درهم » المجرور بالباء ، ولا يجوز أن تقع الصفة موقع الاسم.

ويلاحظ أنه لايجوز العطف بالواو ، فلا تقول :

أخذته وصاعد

لأن الواو لمطلق الجمع ، أما الفاء فتدل هنا على تدرج ارتفاع الثمن، فهى أقوى على تصوير المعنى المراد من الكلام، لأن المعنى هو :

أخذته بدرهم فزاد الثمن (١) صاعدا. وصاعد بدل من زاد ويزيد .

وقد عبر سيبويه فى بعض المواضع عن حذف الاسم وإحلال الصفة محله بالضعف يقول :

« لو قلت أتانى اليوم قوى ، وألا بارداً ، ومررت بجميل كان ضعيفا، ولم يكن فى حسن :

أتانى رجل قوى وألا ماء باردا

ومررت برجل جميل

أفلا ترى أن هذا يقبح ههنا كما أن الفعل المضارع لايتكلم به إلا ومعه الاسم (٢).

---

(١) سيبويه الكتاب ١/ ٢٩٠ ، ٢٩١ .

(٢) المرجع السابق ١/ ٢١.

فالكلام الصحيح الحسن أن تقول :

أتانـــــى رجـــل قـــوى

فعل + مفعول + فاعل + صفة

إذا تحول إلى :

أتانـــــى قـــوى

فعل + مفعول + صفة (فاعل) .

أصبح ضـعيفا ، لأن الصـفة لاتقوى عـلى أداء المعنى دون الاسـم، فهى تحتاج إلى الاسم مثل احتياج الفعل إليه، فالـضعف والقبح حكمان عند سيبويه على حالة واحدة هى حذف الاسم وإحلال الصفة محله .

٢ - الإعراب :

تتضمن ظـاهـرة الإعراب بعض النقاط التـى وصفت الأمثلة فيهـا بالقبح وهى :

ا - مخالفة الأصل :

وضع النحويون القواعد التى تحكم الوظائف النحوية وتحدد صحتها، ومن هذه الوظائـف الحال ، والأصل فى الحال أن تكون نكـرة ، فإذا جاءت خلاف هذا الأصل ، وصف الكلام الذى وقعت فيها بالقبح .

يقول سيبويـه : « فإذا كان الاسم حالا يكون فيه الأمر لـم تدخله الألف واللام ولم يضف. لو قلت: ضربته القائم، تريد قائما كان قبيحا، ولو قلت : ضربتهم قائميهم تريد : قائمين كان قبيحا » [١].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٧٧.

ويقول أيضاً : « وأما الألف واللام فلا يكونان حالا ألبتة ، لوقلت : مررت بزيد القائم ، كان قبيحا إذا أردت قائما» [1].

فالقبح هنا يرتبط بمخالفة الأصول النحوية ، فوظيفة الحال يشترط فيها أن تكون نكرة ، فإذا جاءت معرفة عد ذلك قبيحا عند سيبويه ، ففي: مررت بزيد القائم .

إذا أراد المتكلم بكلمة « القائم » قائما ، أى نصبها على الحال، كان ذلك قبيحا منه ، لمخالفته الأصول النحوية المقررة، أما إذا نطق كلمة «القائم» بكسر الميم، أى جعلها صفة لزيد ، فإن ذلك يخرج الكلام من مرتبة القبح إلى مرتبة الحسن، لاتفاقه مع الأصول النحوية .

والقبح فى المثال السابق أيضاً يرجع إلى الخوف من حدوث اللبس بين الوظائف النحوية ، فإذا جاءت الحال معرفة التبست بالصفة المعرفة ، ولأن الحال وصف فى المعنى اشترط النحويون فيها التنكير حتى يفرقوا بينها وبين الصفة المعرفة . فالقبح هنا عند سيبويه جاء بمعناه العام وهو وضع الشئ فى غير موضعه [2].

ب - الحالة الإعرابية :

هناك كلمات يقتضى الاستعمال أن تشغل حالة إعرابية معينة، وذلك مثل الاسم المفرد الواقع بعد « أما » فالوجه فيه الرفع فى جميع اللغات مثل: أما العبد فذو عبد .

فإذا جاء فى كلام منصوبا ، أو عطف على منصوب أدى ذلك إلى وصف مثل هذا الكلام بالقبح عند سيبويه يقول : « أما العلم والعبيد فذو علم وذو

(١) سيبويه ، الكتاب ٢/ ٥٨ وانظر ٢/ ١١٣.

(٢) انظر المرجع السابق ٢/ ١١٤ .

عبيد . وهذا قبـيح ؛ لأنك لو أفردته كان الرفع أصوب، فـخبث إذ أجرى غير المصدر كالمصدر، وشبهوه بما هو فى الرداءة مثله وهو قولهم ويل لهم وتب» [1].

فالذى ينصب بعد « أما » هو المصدر، لأنه يمكن فى هذه الحالة تقدير فعل عامل فيه، أما الاسم فالوجه فيه الرفع .

والقبح الذى يراه سيبويه فى قول النحويين :

أما العلم والعبيد فذو علم وذو عبيد

سببه أن النحويين وضعوا الاسم «العبيد» مـوضع المصدر، ولو جاء مفردا ، أى غير معطوف لكان الصحيح رفعه .

وقد زعم يونس بن حبيب أن نصب الاسم بعد « أما » قد روى عن بعض العرب فهم يقولون :

أما العبيد فذو عبيد

أى يجرونه مجرى « المصدر » وهو قليل خبيث » [2].

فالقلة فى نظر سيبويه ترجع إلى الكم، فـالكثير المستعمل جاء بالرفع، غير أنه فى حكـمه هذا لم يذكر لـنا عدد الأمثلة المرفوعة بالنسـبة للمنصـوبة. أما الخبث ، فيعنى بـه وضع الشئ فى غير موضعه، وهو هـنا وضع المصدر، كما وضعوا التب موضع الويل . والتب[3] لاتأتى إلا منصوبة . فقالوا : ويل لهم وتب.

ومع أن رواية النصب التى ذكرهـا يونس - رويت عن قوم من العرب، إلا

---

(١) سيبويه ، الكتاب ١/٣٨٩.

(٢) المرجع السابق ١/٣٨٩ .

(٣) سبق أن تناولنا هذا المثال فى هذا البحث ص ٢٦٠ - ٢٦١ .

أن سيبويه حكم عليها بالقلة والخبث. ومع هذا نجد سيبويه يجيزها على اعتبار أن كلمة العبيد لايراد بها أشخاص بعينهم فهى فى حكم النكرة تشبيها لها بالمصدر المبهم، يقول : « وإنما جاز النصب فى العبيد حين لم يجعلهم شيئا معروفا بعينه لأنه يشبهه بالمصدر» (١).

جـ - صحة المعنى واتفاق الحالة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه :

يشترط سيبويه إذا عطف اسم على آخر بالواو أن يتفق هذا العطف مع المعنى وأن تكون الحالة الإعرابية للمعطوف والمعطوف عليه واحدة. يقول فى باب يضمر فيه الفعل لقبح الكلام إذا حمل آخره على أوله : «وذلك قولك : ما شأنك وعمراً

فإنما حد الكلام ههنا : ماشأنك وشأن عمرو.

فإن حملت الكلام على الكاف المضمرة فهو قبيح ، وإن حملته على الشأن لم يجز ، لأن الشأن ليس يلتبس بعبد الله ، إنما يلتبس به الرجل المضمر فى الشأن . فلما كان ذلك قبيحا حملوه على الفعل فقالوا : ما شأنك وزيدا ، أى : ماشأنك وتناولك زيدا » (٢).

فالقبح فى النص السابق يرجع إلى اختلاف الحالة الإعرابية بين المعطوف والمعطوف عليه فى البنية السطحية للكلام.

ففى مثل : ماشأنك وعمرا

لايمكن عطف الاسم المنصوب « عمرا » على الضمير « الكاف » لأنه فى محل جر، وشرط التابع أن يتفق مع المتبوع فى الحالة الإعرابية. ولايمكن عطفه على الشأن، لأن الشأن هنا لايلتبس بعمرو، بل هو شأن المخاطب «الكاف» .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٩٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ٣٠٧.

لذا يرى سيبويه أن النصب هنا على تقدير عامل خارج عن العناصر المذكورة ، فهو موجود فقط فى البنية العميقة للكلام وهو يتفق مع المعنى المراد من الكلام، والتقدير : ما شأنك وتناولك عمرا .

ويلاحظ فى المثال السابق مدى اهتمام سيبويه بالجانب الدلالى فى تفسير الحالة الإعرابية ، وكذلك مدى عنايته بحسن اختيار اللفظ المقدر الذى يتناسب من جهة المعنى مع سياق الكلام ومن جهة العمل مع المعمول.

وقد استشهد سيبويه على مايذهب إليه ببعض الأشعار(١) .

وعن أهمية دور المعنى فى توجيه الإعراب يقول سيبويه :

« وتقول : لاتدن منه يكن خيرا لك . فإن قلت :

لاتدن من الأسد يأكلك

فهو قبيح إن جزمت، وليس وجه كلام الناس ، لأنك لاتريد أن تجعل تباعده من الأسد سببا لأكله. فإن رفعت فالكلام حسن كأنك قلت: لاتدن منه فإنه يأكلك. وإن أدخلت الفاء فهو حسن وذلك قولك: لاتدن منه فيأكلك» (٢) .

فسيبويه يرى أن جزم الفعل فى :

لاتدن من الأسد يأكلك .

ينافى المعنى ، لأنه لايمكن أن يكون تباعد الإنسان « المخاطب » من الأسد سببا فى أكله ، بل العكس هو الصحيح ، لذا حكم سيبويه على هذا التركيب بالقبح، لأن الإعراب تناقض هنا مع المعنى ، ومن الضرورى أن تتفق الحالة الإعرابية للكلمة مع المعنى المراد من الكلام .

---

(١) سيبويه الكتاب ٣٠٧/١ ، ٣٠٨ .

(٢) المرجع السابق ٩٧/٣ .

والذى ينقل الكلام السابق من دائـرة القبح إلى دائرة الحسن، هو أن يأتى الفعل مرفوعا، فيقال :

لاتدن من الأسد يأكلك

أو يكون منصوبا بشرط أن يسبق بالفاء ، فيقال :

لاتدن من الأسد فيأكلك.

لأن حالتى الرفع والنصب هنا تتفقان مع المعنى المفهوم من سياق الكلام.

وقد أراد سيـبويه أن يؤكـد ماذهب إليـه من جواز حالـة الرفع عن طـريق الاستشهاد بما سمعـه من بعض العرب. فقال : « وسمعنا عربيا مـوثوقا بعربيته يقول : لاتذهب به تغلب عليه ، فهذا كقوله :

لاتدن من الأسد يأكلك » (١).

وكلـما كان التـفسير الإعـرابى لعنـاصر الكلام مـعتمدا عـلى السمـاع من أصحاب اللغة كان أقرب للواقع اللغوى وبعيدا عن المعيارية .

٣ - ظاهرة العامل :

الأصل فى الـعمل للأفعال ، وتـعمل المصادر عـمل أفعالها ومـن الأفعال العاملة ظن وأخواتها . ولموقع هذه الأفعال تأثير واضح فى العمل أو عدمه.

فإذا تقدمت الكلام أى سـبقت ما تعمل فيه كان ذلك سببا قـويا فى تأثيرها الإعرابى على ركنى الجـملة الاسمية التى دخلت عليهـما، أما إذا توسطت بين المعمولين أو تأخرت عنهما فيلغى عملها.

ويرى سيبويـه أن ظن إذا ابتدأ بها الكلام، وألـغى عملها أى بطل تـأثيرها

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٩٨/٣ .

الإعرابى على معموليها، كان ذلك قبيحا وكذلك المصدر منها. يقول: « واعلم أن المصدر يلغى كما يلغى الفعل ، وذلك قولك : متى زيد ظنك ذاهب ، وزيد ظنى أخوك، وزيد ذاهب ظنى ، فإن ابتدأت فقلت : ظنى زيد ذاهب كان قبيحا لايجوز ألبتة ، كما ضعف أظن زيد ذاهب»[1].

فسيبويه يحكم على إلغاء عمل الفعل ظن بالضعف ، ويحكم على إلغاء مصدره بالقبح، فالقبح حكم يتساوى مع الضعف فى وصف ظاهرة واحدة هى إلغاء العامل مع تقدمه على أجزاء الجملة .

٤ - الفصل بين المتلازمين [المضاف والمضاف إليه]:

لايجوز الفصل بين المضاف والمضاف إليه لأنهما بمنزلة شئ واحد فهما وحدة لغوية واحدة.

ولكن يجوز الفصل بينهما بالظرف والجار والمجرور فى المستوى الشعرى للغة، لضرورة الوزن والقافية، ومع هذا ، فالفصل بهما قبيح عند سيبويه، وقد استشهد سيبويه على الفصل بين المضاف والمضاف إليه بشبه الجملة ببعض أبيات من الشعر ، يقول :

قال ذو الرمة :

كأن أصواتَ من إيغالهنَّ بنا ... أواخرِ الميسِ أصواتُ الفراريج

فهذا قبيح » [2].

فالقبح فى البيت السابق سببه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور ، والمضاف والمضافِ إليه بمنزلة شئ واحد.

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٢٤ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٧٩ - ١٨٠ .

وهذا تحكم من سيبويه فى لغة العرب أصحاب السليقة اللغوية، وكان عليه أن يقبل هذه اللغـة فى هذا المستوى اللغوى الخاص بالشعر ويـصفها كما جاءت عن العرب.

فقد ذكر سيـبويه فى أكثر من موضـع أن بعض الظواهر اللغـوية تجوز فى الشعر[1] دون النثر، والـقاعدة يجب أن تستخـرج من المستوى النثـرى للكلام، لأن الشعر له خصوصيته التى تتضح فى الضرائر .

قبيح ضعيف:

قرن سيبويه حكم القبح بحكم الضعف ، وجعلهما حكما واحدا .

وقد تضمن هذا الحكم بعض النقاط منها :

أ - مخالفة الحالة [التعريف والتنكير] .

ب - ظاهرة ضعف العامل .

جـ - كثرة الحذف .

أ - مخالفة الحالة [التعريف والتنكير] .

الأصل فى الصفة أن تتفق مـع الموصوف فى النوع ، والعدد، والإعراب، وأيضا الحالة ، ويرى الخليل بن أحمد أنه يمكن أن يقال :

هذا رجل أخو زيد

وقد اعترض سيبويه على المثال السابق ووصفه بأنه :

«قبيح ضعيـف» يقول سيبويه «وزعـم الخليل أنه يـجوز أن يقول الرجل : هذا رجل أخـو زيد ، إذا أردت أن تشبـهه بأخى زيد. وهـذا قبيح ضـعيف ،

(1) المرجع السابق ١/ ٨٥ .

لايجوز إلا فى موضع الاضطرار ، ولو جاز هذا لـقلت : هذا قصير الطويل ، تريد : مثل الطويـل . فلم يجز هذا كما قبح أن تكون المعـرفة حالا للنكرة إلا فى الشعر وهو فى الصفة أقبح » [1].

فوجه اعتراض سيبويه يرجع إلى مخالفة قاعدة التعريف والتنكير، فكلمة « رجل » نكرة وأخو « زيد » معرفة بالإضافة .

ومثّل سيبويه لهذه المخالفة بمثال هو :

هذا قصيرٌ الطويلْ

وهذا المثـال لايجوز ، لأنه لم يـراع فيه قاعدة وجوب اتـفاق التنكـير بين الموصوف والـصفة ، كما أنـه لايجوز أيضا لمـا فيه من تـناقض فى المعـنى بين القصر والطول .

وسيـبويه يسـمح لمثل هـذه الأمثلة - التى لم يـراع فيها قـاعدة التعـريف والتنكير بين عناصر الكلام - أن تستعمـل فى المستوى الشعرى لخصوصيته التى تتمثل فى ضرورة الوزن والقافية .

ب - ظاهرة ضعف العامل :

الأصل فى الحال أن تـتأخر عن عاملهـا وكذلك عن صاحبـها، ويجوز أن تتقدم عـلى عاملها إذا كان الـعامل فعلا متصـرفا أو وصفا يشبهـه ، فإذا تقدم الحال على عامل جامد أو ضعيف ، أو تقدم على صاحب الحال المجرور، كان ذلك قبيحا عند سيبويه ، يقـول : « ومن ثم صار مررت قائما برجل لايجوز ، لأنه صار قـبل العامل فى الاِسـم وليس بفعل ، والـعامل الباء ولو حـسن هذا لحسن ، قائما هذا رجل .

(1) سيبويه ، الكتاب ١/ ٣٦١ .

فإن قال قائل : أقول مررت بقائماً رجل ، فهذا أخبث ، من قبل أنه لايفصل بين الجار والمجرور ، ومن ثم أُسقط رُبَّ قائما رجلٍ . فهذا كلام قبيح ضعيف، فاعرف قبحه، فإن إعرابه يسير » [1].

فالقبح هنا عند سيبويه يرتبط بمخالفة القواعد بين العامل والمعمول ففى : مررت قائماً برجل .

تقدمت الحال على صاحبها المجرور بحرف جر أصلى .

وفى مثل : قائماً هذا رجل .

تقدمت الحال على عامل ضعيف ، لأنه عامل معنوي، أى فى معنى الفعل المفهوم من اسم الاشارة ، فالعامل تضمن معنى الفعل أشير دون حروفه.

وقد ألمح سيبويه إلى أن إعراب الأمثلة السابقة سهل يسير لكن الأجدى والأنفع معرفة قبحها ، أى المخالفة فى ترتيب بناء عناصر الكلام طبقا للعامل والمعمول .

والجائز فى المثالين السابقين أن يقال :

مررت برجل قائما

وهذا رجل قائما .

ويلاحظ أن سيبويه يجيز أن يكون صاحب الحال نكرة يقول :

ومثل ذلك : مررت برجل قائماً ، إذا جعلت المجرور به فى حال قيام . وقد يجوز على هذا : فيها رجل قائماً ، وهو قول الخليل ، ومثل ذلك: عليه مائة بيضا » [2].

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٢/ ١٢٤ .

(٢) سيبويه ، الكتاب ٢/ ١١٢.

جـ - كثرة الحذف:

أطلق سيبويه حكم « قبيح ضعيف » عند تناوله حذف الفعل بعد أداة الشرط « إن » إذا اتصلت بالاسم ، فقال :

« و من ذلك قولك : مررت برجل صالح وإن لا صالحا فطالح» .

ومن العرب من يقول : إن لاصالحاً فطالحاً ، فكأنه يقول :

إن لايكن صالحا فقد مررت به أو لقيته طالحا .

وزعم يونس أن من العرب من يقول : إن لاصالحٍ فطالحٍ على : إن لا أكن مررت بصالحٍ فبطالحٍ .

وهذا قبيح ضعيف ، لأنك تضمر بعد إن لا فعلاً آخر فيه حذف غير الذى تضمر بعد إن لا فى قولك : إن لايكن صالحاً فطالحٍ »(١) .

فسيبويه يرى أنه يجوز فى المثال السابق وجهان من الإعراب هما :

١ - نصب الاسم الأول « طالحا » وجر الثانى « فبطالح » .

٢ - نصب الاسمين معاً .

أما جر الاسمين معا فيؤدى إلى كثرة الحذف ، وبالتالى إلى كثرة التقدير فسيبويه يحكم القاعدة التى تقول : إن كثرة الحذف تضعف الكلام، وتصفه بالقبح والضعف، وهذه القاعدة من صنع سيبويه .

والذى رواه يونس مسموع من العرب ، ويونس عالم ثقة عند سيبويه، ومع هذا وصف سيبويه كلام بعض العرب - الذى رواه يونس - بالقبح والضعف .

---

(١) سيبويه الكتاب ١/٢٦٢ - ٢٦٣ .

والواجب أن تؤخذ القاعدة من النص اللغوى المسموع من العرب لا أن تكون سهما خارقا يمزق أجزاء الجملة ويصفها بالضعف والقبح .

وقد حكم سيبويه على التركيب الذى وضع فيه بعض الأجزاء فى غير موضعها بالخبث ، وهو حكم يرادف عنده القبح ففى مثل :

هذا زيد أسودَ الناس

وهذا أخوك عبدَ الله

يرى سيبويه أن الكلام السابق « كلام خبيث يوضع فى غير موضعه »[1].

ووجه الخبث هنا هو مجئ الحال معرفة فى المثال الأول {أسود الناس} ومخالفة عبد الله ما قبله فى الحركة الإعرابية فهو مبين له والحال الأصل فيها أن تكون نكرة ، يقول سيبويه :

« فالنكرة تكون حالا وليست شيئا بعينه قد عرفه المخاطب قبل ذلك »[2].

ردئ :

وصف سيبويه بعض لغات العرب بالرداءة لأنها خالفت الكثرة المضطردة فى الاستعمال ، مثل :

العدد المركب مثل : خمسة عشر يبنى على الفتح دائما سواء أكانت العشرة مقترنة بأل أو مضافة ، هذا ماجاء عن العرب يقول سيبويه « واعلم أن العرب تدع خمسة عشر فى الإضافة والألف واللام على حال واحدة »[3].

ومن العرب من أعرب كلمة عشر عند الإضافة فيقول :

---

(١) المرجع السابق ٢/ ١١٤ .

(٢) سيبويه الكتاب ٢/ ١١٤ .

(٣) المرجع السابق ٣ / ٢٩٨ - ٢٩٩ .

خمسة عشرك

يقول سيبويه « وهى لغة ردئية » [1].

ووصف سيبويه تغيير حركة بنية الكلمة بالرداءة والغلط فى قول بعض العرب على لسان أبى الخطاب[2] ادْعِهْ من دعوت فيكسرون العين على التوهم، أى توهم سكون العين للجزم وقبلها ساكن، فيحركون العين بالكسر حتى لايلتقى ساكنان .

وقد كسر قوم من ربيعة الهاء فى قولهم : منهم ، فأتبعوا كسر الميم كسر الهاء، لأن النون ساكنة وليست حاجزا حصينا، وقد وصف سيبويه هذه اللغة فقال : « وهذه لغة رديئة » [3].

ووصف أيضاً قول ناس من بكر بن وائل حين نطقوا كلمتى أحلامكم وبكم، بكسر الكاف فيهما بشدة الرداءة ، فقال وهى رديئة جدا» [4].

خطأ :

خطأ سيبويه بعض التراكيب فى المستوى النثرى للكلام وأجازها فى المستوى الشعرى لحاجته إلى الضرورة، ومثال ذلك الجزم بـ « إذا » وجعلها بمنزلة إن الشرطية ، وإذا أداة شرط تربط بين الشرط والجواب ، ولكن ليس لها تأثير إعرابى ، فهى أداة شرط غير جازمة .

ولكن يجوز أن تأتى جازمة[5] فى الشعر مثل قول الفرزدق :

---

(١) المرجع السابق ٣/ ٢٩٩.

(٢) المرجع السابق ٤/ ١٦٠ .

(٣) سيبويه الكتاب ٤/ ١٩٦ .

(٤) المرجع السابق ٤ / ١٩٦ .

(٥) المرجع السابق ٣/ ٦١ ، ٦٢ .

ترفع لى خِنْدِف والله يرفع لى

ناراً إذا خَمَدت نيرانُهم تَقِدِ

فسيبويـه يراعى هنا المستوى الشعـرى للكلام ، ويعترف بخصـوصيته وأنه يجوز فيه مالا يجوز فى المستوى النثرى .

وعند إضافة الكاف إلى ياء المتكلم فـى الضرورة الشعرية يقال : كى بكسر الكاف ، أما كى بفتح الكاف فخطأ عند سيبويه ، لأنه « ليس فى العربية حرف يفتح قبل ياء الإضافة » (١).

فسيبويه خَطّأ هنا مثالا مفترضا الغرض منه بيان الخطأ من الصواب.

كما ارتـبط حكم « خطـأ » عنده أيضا ببـنيه الكلـمة ، فلا يجوز أن يـثنى عشرون ، ومائتان ، وألفان ، فلا يقال : عشرونان ، ولامائتانان ، وألفانان « وهذا لايكون وهو خطأ لا تقوله العرب » (٢).

وقد فاضل سيبويه فى تقعيده بين التراكيب ، فذكر منها :

القوى ٢/ ١٦ ، ١٥٨	والأقوى ١/ ١٧٤.
والجيد ١/ ١٦٩ ، ١٨١ ، ٢٦٠	والأجود ١/ ٧٦، ٨٠ ، ٨٢ ، ١٧٠ ٢/ ١٣٦ ، ٣/ ٣٣٦.
والحسن ١/ ٥٤، ٥٨، ١٣٩	والأحسن ١/ ٥٦، ٨٤، ٨٧، ١٢٥
والخبيث ٢/ ١١٤	والأخبث ٢/ ١٢٤
والقبيح ١/ ٢٧٧، ٢٩٤ ، ٣٠٧	والأقبح ١/ ١٠٧، ٣٦١ ، ٣/ ١١.

(١) المرجع السابق ٢ / ٣٨٥ .

(٢) سيبويه الكتاب ٣/ ٣٩٣ .

ونذكر هنا بعض الأمثلة على مفاضلة سيبويه بين التراكيب[1] فى القوة :

التركيب القوى	التركيب الأقوي
١ - كم لك درهما .	كم درهماً لك .
٢ - كم أتاك رجلاً .	كم رجلاً أتاك.
٣ - كم ضربت رجلاً .	كم رجلاً ضربت .

فـ « كم » لها الصدارة ، لأنها استفهامية ، ويجوز أن يفصل بينها وبين تمييزها بالجار والمجرور ، والجملة الفعلية، وهذا أسلوب قوي، والأقوى منه أن يلى كم التمييز، فلا يفصل بينهما.

فالتفاضل هنا عند سيبويه يرتبط بترتيب الوظائف داخل التركيب اللغوى .
فالأقوى فى الأمثلة السابقة أن يأتى الكلام على النمط التالى :

مبتدأ + تمييز + خبر

مثل : كم رجلا أتاك .

مما تقدم من طريقة سيبويه فى تقعيده اللغوى نلاحظ مايلى :

١ - أنه تأثر ببعض مصطلحات الحديث عند حكمه على بعض التراكيب اللغوية ، وهذا التأثر كان له قاسم مشترك هو المعنى اللغوى للكلمة قبل أن تصبح مصطلحاً ذا دلالة معينة عند أهل كل علم ، وتأخذ مفهوما خاصا يتفق أو يتغير بين العلوم ومن هذه المصطلحات مصطلح ضعيف ، والضعف فى اللغة : هو ما انحط عن درجة الفصيح[2]، أى أنه أقل منزلة من الفصيح ، وبهذا المعنى عرف عند أهل الحديث ، فالضعيف

(١) انظر المرجع السابق ٢/١٥٨ ، ١٥٩ .

(٢) السيوطى ، المزهر جـ١ ص ٢١٤.

مابعد عن صفات الصحيح، والحسن، وقد قسم علماء الحديث الضعيف إلى أقسام مختلفة منها : المرسل ، والمنقطع، والمعضل، والمدلس، والمعلل، والمضطرب ، والمقلوب ، والشاذ، والمنكر ، والمتروك .

أما سيبويه فقد اعتمد على المعنى اللغوى للكلمة ، وأصبح مصطلح الضعف عنده يعنى البعد عن الاستقامة النحوية و الدلالية ، وكان هذا المصطلح يتساوى أحيانا فى الرتبة عند سيبويه مع مصطلح القبح ، فيقول أحيانا « وهذا قبيح ضعيف »[1].

٢ - وضع سيبويه بعض الأحكام التى تعبر عن حالة الجواز، وكذلك القرب من الاستقامة اللغوية ، وهو ماأسماه مستقيم حسن ، مثل : جيد ، وقوى ، وحسن ، وكلها أحكام تدل على جواز التركيب وقبوله نحويا ودلالياً .

وفى المقابل وضع بعض الأحكام التى تدل على عدم الاستقامة اللغوية ، مثل : قبيح ، ضعيف ، قبيح ضعيف ، خبيث. كما وضع أيضاً بعض المصطلحات التى تصف التراكيب الممنوعة مثل : محال ، محال كذب .

والأحكام الخاصة بعدم جواز التركيب مثل : قبيح ، وضعيف ، وخبيث صدرت من سيبويه على أمثلة مفترضة مصنوعة ، لم تدخل فى دائرة المسموع من العرب ، وكان الغرض منها هو بيان الخطأ من الصواب.

كما كان الهدف منها أيضاً هو التدريب على حفظ القواعد النحوية، فهى نماذج للشرح والإبانة ، كأن يقول مثلاً :

- فلو قلت .
- فإن قال قائل .

وانصب القليل من هذه الأحكام على المسموع من العرب .

---

(١) سيبويه ، الكتاب ٢/ ١٢٤.

مثل قول ذى الرمة :

كأن أصواتَ من إيغالهن بنا أواخرِ الميس أصواتُ الفراريج

فقد فصل ذو الرمة بين المضاف والمضاف إليه بالجار والمجرور لذا وصف سيبويه هذا الفصل بالقبح [1].

وفى قول بعض العرب كما رواه يونس :

مررت برجل صالحٍ إن لا صالح فبطالح

وصف سيبويه القول السابق بأنه قبيح ضعيف [2].

وكان على سيبويه ألا يخطّئ النصوص اللغوية المسموعة من العرب، وألا يصدر أحكاما عليها بالقبح والضعف ، بل كان عليه أن يصف هذه النصوص ، ويشير إلى أنها لاتتفق مع الكثرة المضطردة من النصوص الأخرى .

ويلاحظ أن سيبويه لم يضع المعايير الدقيقة التى تفرق بين هذه الأحكام ، فلم يكن هناك فرق عنده بين القبيح والضعيف ، ولا بين الجيد القوى ، فأحيانا يصف الظاهرة اللغوية بالقبح ويصفها نفسها بالضعف أو الخبث ، ويعنى بذلك عدم الجواز والبعد عن التركيب المستقيم الحسن .

(١) سيبويه ، الكتاب ١/ ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٦٢ .

الخاتمة

يمكن أن نستخلص النتائج التالية :

١ - التأثر بالمنهج :

تأثر سيبويه بمنهج أهل الحديث فى مراعاة الدقة التامة فيمن يؤخذ عنه النص اللغوي، فقد اهتم سيبويه بهذا المنهج، وأخذ اللغة عن أهل الثقة من العرب ، وعمن يوثق به من الرواة ، فالتثبت فى مصدر الرواية اللغوية، والأخذ عمن يوثق به كان منهجا لسيبويه ، كما كان منهج علماء الحديث من قبله .

٢ - التأثر بالمصطلح :

تأثر سيبويه ببعض المصطلحات عند علماء الحديث ، وجعل هذه المصطلحات أحكاما ، يصدرها على بعض التراكيب اللغوية مثل :

حسن ، جيد ، قوى ، ضعيف كما أضاف بعض المصطلحات الخاصة به، مثل : قبيح ، خبيث ، ردئ، مستقيم، خطأ .

٣ - **الأحكام التى أطلقها سيبويه** كانت تقع على التراكيب اللغوية المفترضة والمصنوعة لغرض الشرح والتعليم، وأن القليل منها انصب على الأمثلة المسموعة من العرب.

٤ - التراكيب اللغوية عند سيبويه تنقسم إلى قسمين :

جائزة ، وغيرجائزة وقد وصف النوع الأول ببعض الأوصاف منها :

مستقيم ، وحسن ، وقوى ، وجيد ، وعربى جيد ، وجائز .

أما النوع الثانى فقد أصدر عليه بعض الأحكام منها :

قبيح ، ضعيف ، خبيث ، ردئ ، محال ، خطأ .

٥ - **لم يضع سيبويه المعايير الدقيقة** التى تفرق بين الأحكام التى أصدرها على التراكيب اللغوية ، فلا نجد عنده فرقاً بين القوى والجيد ، والحسن ولابين القبيح ، والضعيف والخبيث ، وإن كان يجمع كل هذه الأحكام فى دائرتين :

الأولى : المستقيم الحسن [الجائز] .

وهو التركيب الذى وضع فيه كل عنصر فى موضعه الصحيح نحويا .

الثانية : غير الجائز .

وتضم التراكيب التى وضعت فيها بعض العناصر فى غير موضعها الصحيح نحويا .

المصادر والمراجع

- د. أحمد عمر هاشم ، أضواء على مصطلح الحديث ، دارالمنار القاهرة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م.
- د. بكرى شيخ أمين ، أدب الحديث النبوى ، دار الشروق بيروت - القاهرة ، ط الخامسة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.
- د. تمام حسان ، الأصول ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٨٢م.
- ابن تيمية (أبوالعباس أحمد) ، علم الحديث ، تحقيق وتعليق موسى محمد على ، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثانية ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- ابن جنى، الخصائص ، حققه محمد على النجار، عالم الكتب ، بيروت ، ط الثالثة ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- د. خديجة الحديثى ، دراسات فى كتاب سيبويه ، وكالة المطبوعات - الكويت ، دار غريب للطباعة ، القاهرة .
- الزبيدى (أبو بكر محمد بن الحسن) ، طبقات النحويين واللغويين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط الثانية ، ١٩٨٤م.
- الزجاجى (أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق) ، مجالس العلماء، تحقيق عبد السلام محمد هارون مكتبة الخانجى بالقاهرة ، ودار الرفاعى بالرياض ، ط الثانية ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ، الكتاب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٣ - ١٩٧٩م .

• السيرافى (أبو سعيد الحسن بن عبد الله) ، أخبار النحويين البصريين ، تحقيق طه محمد الزينى ، محمد عبد المنعم خفاجي، مصطفى البابلى الحلبى بمصر ، ط الأولى ، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م.

• السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن) .

* كتاب الاقتراح فى علم أصول النحو ، تحقيق وتعليق د. أحمد محمد قاسم، مطبعة السعادة بالقاهرة ، ط الأولى .

* المزهر فى علوم اللغة وأنواعها ، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وآخرين، عيسى البابلى الحلبى بالقاهرة، بدون تاريخ .

• د. صبحى الصالح ، علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة ، دار العلم للملايين، بيروت ط الخامسة ، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٦م.

• ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح فى علوم الحديث، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

• أبو الطيب اللغوى (عبد الواحد بن على) ، مراتب النحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار نهضة مصر بالقاهرة ، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

• الطيبى (الحسين بن عبد الله ت ٧٤٣)، الخلاصة فى أصول الحديث، تحقيق صبحى السامرائى ، مطبعة الإرشاد - بغداد ، ١٣٩١هـ - ١٩٧١م.

• د. عبد الصبور شاهين، دراسات لغوية ، المطبعة العالمية بالقاهرة ، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

- عبد الوهاب عبد اللطيف ، المعتصر من مصطلحات أهل الأثر ، مطبعة الفجالة بالقاهرة ، ط الأولى ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م.
- على النجدى ناصف ، سيبويه إمام النحاة ،عالم الكتب بالقاهرة ، ط الثانية ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ابن فارس ، الصاحبى ، تحقيق أحمد صقر ، عيسى البابلى الحلبى بالقاهرة ، بدون تاريخ.
- القفطى (جمال الدين أبوالحسن على بن يوسف ، إنباه الرواة على أنباه النحاة ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- ابن كثير ، الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، تأليف أحمد محمد شاكر ، دار الكتب - بيروت - لبنان ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- د. محمد أديب صالح ، لمحات فى أصول الحديث ، المكتب الإسلامى بيروت - دمشق ، ط الرابعة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- د. محمد حماسة عبد اللطيف :
  * الضرورة الشعرية فى النحو العربى ، مكتبة دار العلوم ١٩٧٩م.
  * النحو والدلالة ، مطبعة دارالسلام بالقاهرة ، ط الأولى ١٩٨٣م.
- د. محمد محمد أبو شهبة ، دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، سلسلة البحوث الإسلامية ، مطبعة الأزهر الشريف بالقاهرة، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- د. محمود الطحان ، تيسير مصطلح الحديث ، مطابع دار التراث العربي، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

- د. محمود فهمي حجازي .

* علم اللغـة العربية ، دار غريب للـطباعة والنشر والتـوزيع ، القاهرة، بدون تاريخ.

* الأسس اللغوية لعـلم المصطلح ، دار غريب للطباعـة والنشر والتوزيع بالقاهرة ، بدون تاريخ.

- د. مصطفى جطل ، نظـام الجملة ، المؤسسة العلمية للوسائـل التعليمية، حلب ، سوريا ، ١٩٨٢م.
- ابن هشـام ، أوضح المسالك إلى ألـفية ابن مالك ، تحـقيق محمد مـحيي الدين عبد الحميد ، ط الخامسة ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.